اعداد مكتبة الروضة الحيدرية

المكتبة الرقمية

الرسائل الجامعية

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة - كلية التربية للبنات
قسم اللغة العربية

بلاغة الحكاية في نهج البلاغة

رسالة تقدمت بها الطالبة
بدور عبد السجّاد خادم
إلى مجلس كلية التربية للبنات - جامعة الكوفة
وهي من متطلبات شهادة الماجستير في اللغة العربية

بإشراف
الأستاذ الدكتور
عباس علي حسين الفحام

محرم / ١٤٤١هـ أيلول / ٢٠١٩م

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾

صَدَقَ اللهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمِ

[سورة الرعد : آية ٤٣]

الإهـــــــــــداء

إلى . . . الَّذي حَباهُ اللهُ علـمَ الكتابِ

فقال : ((فلأنا بطرقِ السّماءِ أعلـمُ مِني بطرقِ الأرضِ))

سيّدِ الكَلـم . . . ومعجزةِ البَيـانِ

إليك . . . أبا حســـــــــنٍ

فتصدق بالقبـــــــول

شكر وعرفان

﴿ لَئِن شَكَرْتُم لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾

الحمد لله الذي تغمدني لطفُه وشملني عطفه ورزقني توفيقه حمدا عدد ما أحاط به علمه وأحصاه كتابه فبفضله ذلّت المصاعب وسُهل العسير .

شكري لنعمة ربي (والديّ) ولاسيّما أمي التي غيبتها يد المنون قبل أن ترى بركة دعائها وثمرة تعبها وأفراد عائلتي الذين حملوا عني الكثير فجزاهم الله عني خيراً .

خالص امتناني وجزيل شكري وعرفاني إلى أستاذي الكبير الدكتور عباس علي الفحام الذي يُعدُّ درسه نقطة تحول وانطلاقة لدارس اللغة العربية عامّة والبلاغة على وجه الخصوص . . . فإليه يعود فضل اقتراح الموضوع ، كما لم تقف مهام منصبه حائلاً أمام حضوره معي في كلّ خطوة من خطوات عملي موجهاً ومقوماً ومسدداً متجلبباً بجلباب سعة الصدر وكرم الخلق حتى خرج البحث على ما هو عليه فجزاه المولى عنّي خيراً وحفظه علما من أعلام العربية ونفع به وسدد خطاه . الشكر والامتنان إلى قسم اللغة العربية رئاسة وأساتيذ .

شكري الجزيل لأستاذي الفاضل الدكتور حسن الفيّاض الذي لم يبخل عليّ بنصح وتوجيه و مصادر وفّرت عليّ كثيراً من عناء البحث فجزاه الله عني خير جزاء ووفقه لكلّ خير .

امتناني لصديقتي ورفيقة مشواري العلمي زينب ثجيل نعمة لما قدمته لي خلال البحث من مصادر مهمة وتوجيهات سديدة فوفقها الله وجزاها خيراً .

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمـــــــة	أ – ج
التــمهيـد : أولا: الحكاية في اللغة والاصطلاح أ- **الحكاية لغـــــــــة**	١ – ٢
ب- **الحكاية في المفهوم الاصطلاحي** ١- الحكاية عند النحويين	٣- ٤
٢- الحكاية عند البلاغيين والنقاد السرديين	٥ – ١٠
٣- الحكاية في نهج البلاغة	١٠ – ١٢
ثانيا : أنواع الحكاية في نهج البلاغة ١- الحكاية الشفوية	١٣-١٤
٢- الحكاية المكتوبة	١٤-١٥
الفصل الأول : البنــاء التـركيبــي للحكــايـة	
المبحث الأول : الحكاية المفصّلة ووسائل تشكّلها	١٦
بناء الحكاية :	١٦-١٨
أولا : الإطناب وعناصره	١٨ – ١٩
١- الاعتراض	١٩- ٢٣
٢- التكرير	٢٣-٢٧
٣- الإيضاح بعد الإيهام	٢٨- ٣٠
٤- ذكر الخاص بعد العام	٣٠- ٣٢
٥- التذييل	٣٢- ٣٤
٦- التكميل أو الاحتراس	٣٤- ٣٦
٧- الإيغــال	٣٦- ٣٧
٨- ذكر العام بعد الخاص	٣٨
٩- التوشيع	٣٩
ثانيا: بناء الجملة الطويلــة	٤٠
١- أسلوب الاستفهام	٤٠- ٤٤
٢- أسلوب الشرط	٤٤ – ٤٦

٣- أسلوب النداء	٤٧- ٤٨
المبحث الثاني : الحكاية الموجزة وعناصر بنائها	٤٩
بناء الحكاية :	٤٩- ٥٠
أولاً: الإيـــجـــاز ١- إيجاز الحذف	٥١ - ٦٧
٢- إيجاز القصر	٦٧- ٦٩
ثانياً : بناء الجملة القصيرة	٧٠
١- أسلوب التقديم والتأخير	٧٠ - ٧٦
٢- أسلوب القصر	٧٦
أ - النفي والاستثناء	٧٦- ٧٧
ب- القصر بـ (إنّما)	٧٧- ٨٠
الفصل الثاني : بلاغة التصوير البياني في الحكاية	
بناء الصور الفنية :	٨٠-٨٣
المبحث الأول : بلاغة الحكاية في التصوير التشبيهي المقارن	٨٣- ٨٦
أولا : بلاغة التشبيه البليغ	٨٦- ٩١
ثانيا : بلاغة التشبيه المركب أو التمثيلي	٩١- ٩٨
المبحث الثاني : بلاغة الحكاية في التكثيف الاستعاري	٩٩
بلاغة الاستعارة :	٩٩ - ١٠١
١- التصوير بالاستعارة المكنية	١٠١- ١١٣
٢- التصوير بالاستعارة التصريحيّة	١١٣- ١١٩
٣- التصوير بالاستعارة المرشّحة	١٢٠- ١٢٢
المبحث الثالث : بلاغة الصورة المتوارية في الكناية	١٢٣
بلاغة الكناية :	١٢٣- ١٢٥
أولا : حكاية الكناية بحسب صورة المكنى عنه ١- صورة الكناية عن الصفة	١٢٥- ١٣٢
٢- صورة الكناية عن الموصوف	١٣٢- ١٣٦
٣- صورة الكناية عن النسبة	١٣٦-١٣٧
ثانيا : حكاية الكناية بحسب الوسائط والسياق ١- صورة التعريض	١٣٧- ١٣٩

٢- صورة الإيماء والإشارة	١٤٠- ١٤٢
٣- صورة الرمز	١٤٢- ١٤٤
الفصل الثالث : أثر الفنون البديعية في إخراج الحكاية	
التنغيم وأثره	١٤٥- ١٤٦
المبحث الأول : الأثر التنغيمي في الحكاية **أولا:** الجناس وأنواعه	١٤٧
١- الجناس الاشتقاقي	١٤٨-١٥٠
٢- الجناس المضارع واللاحق	١٥٠- ١٥٢
٣- جناس الناقص	١٥٢- ١٥٣
٤- الجناس التصحيف	١٥٣- ١٥٤
٥- جناس التحريف	١٥٤-١٥٥
ثانيا : الطباق والمقابلة	١٥٥- ١٦٣
ثالثا : السجـع	١٦٤- ١٦٧
رابعا : الـتوازن	١٦٧- ١٧٠
المبحث الثاني : التفاعل النصّي في الحكاية	١٧١- ١٧٢
أولا: الاقتـباس	١٧٢- ١٧٤
أ - الاقتباس من القرآن الكريم	١٧٤
١- الاقتباس الإشاري أو غير المباشر	١٧٥-١٨٠
٢- الاقتباس النصّي أو المباشر	١٨٠-١٨٤
ب - اقتباس الحديث النبوي الشريف	١٨٤-١٨٧
ثانيا : التضمين	١٨٧-١٨٩
أ - التضمين الشعري	١٨٩
١- تضمين البيت الشعري	١٩٠- ١٩٢
٢- تضمين شطر البيت الشعري	١٩٢- ١٩٤
ب - تضمين المثـل	١٩٥- ١٩٨
ثالثا : الاستشهـاد	١٩٨-٢٠١
رابعا : المذهب الكلامي	٢٠١- ٢٠٧
الخاتمة والنتائـج	٢٠٨- ٢١٠
مسرد الحكاية في نهج البلاغة	٢١١-٢١٣

جدول إحصائي بالألوان البلاغية في الحكاية	٢١٤- ٢١٧
المصادر والمراجع	٢١٨- ٢٣٨
الملخص باللغة الانكليزية	A -B

المقـــدمـــــة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُقـــــــدّمَـــــــة

أَلْحَمْدُ للهِ الَّذي لَبِسَ الْعزَّ والْكِبْرِياءَ وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ ، والْسَّلامُ عَلَى أَشْرَفِ مَبْعُوثٍ النَّبِيِّ الأَعْظَمِ مُحَمدٍ الْمُصْطَفَى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وَعَلَى وصيِّه المرتضى وبضعته الطاهرة الزهراء وعلى أَئِمَةِ الْهُدى الْمُنْتَجَبِينَ مِنْ وُلْدِهِ الأَطْهَارِ وصَحْبِهِ ومن والاه بِإِحْسَانٍ .

نهج البلاغة ذلك الإرث العظيم الذي يمثل شذرات من كلام سيّد المتقين الذي خطّ لكلِّ قلمٍ نهجه القويم ، كان ومازال الفيض العلوي الثّر ، الذي يلقف منه كلُّ ذي شغف للعلم ، وباحثٌ عن حقٍّ، لذا الدراسات التي دارت حول فلك هذا السفر الخالد كثيرة جداً ، جاءت محاولة لاستكناه جزء من ملامح عظمة قائله ، وإلى أي درجة بلغ فن القول عنده ، وإلى أي مرتبة سما به وعلا ، وعلى الرغم من كثرة تلك الدراسات ، إلا أنّ الدراسات التي تناولت السردية في نهج البلاغة من القلّة ما يجعل عنوان الدراسة مرجعاً يضاف إلى ما قلّ وندر ؛ لذا جاءت هذه الرسالة الموسومة بـ (**بَلاغَةَ الْحِكَايَةِ فِي نَهْجِ الْبَلاغَةِ**) لبيان مفهوم الحكاية عند أمير المؤمنين ، ومستوياتها ، وكيفيّة أخرجها بصورة بلاغية متماسكة ، يتسلسل الحدث فيها تسلسلا منطقياً دقيقاً ، وبلاغة ردّه الذي شكّل المرتكز الحقيقي في نقل الحكاية ، الذي تقف وراءه أهداف توسل الإمام في بيانها بشتى الطرق ، بما يتناسب وطبيعة المتلقي ، والحال والموضوع .

أسباب البحث

١_ خدمة لهذا النهج العظيم في مضامينه وأسلوبه وأهدافه .

٢_ الرغبة في الوقوف على جانب من جوانب هذا البحر الزاخر والعباب الآسر، ليكون مُزَوِّداً يقي لهيب الجهل ، ويُنير غياهب الضّلال ، بما حواه من علوم ومعارف .

منهج البحث

اقتضت خطة البحث إتباع المنهج الوصفي في تتبع الظواهر البلاغية ، والمنهج الإحصائي، والتحليلي؛ لأجل الوقوف على الكيفية التي جرت عن طريقها بناء الصورة داخل الحكاية العلوية.

خطة البحث

بُنيت خطة البحث على ثلاثة فصول تسبقها مقدمة وتمهيد ، وتلحقها خاتمة بأهم النتائج ، ثم قائمة المصادر والمراجع ، وملخص باللغة الانكليزية .

تضمن **التمهيد** محورين، **الأول** : بيان مفهوم الحكاية في اللغة وما ذهبت إليه المعاجم في بيان معنى الحكاية ، والاصطلاح عند النحويين ، ثمّ عند البلاغيين والنقاد السرديين ، ومفهوم الحكاية في نهج البلاغة وسماتها التي انمازت بها ، وتناول المحور **الثاني** : أنواع الحكاية في نهج البلاغة .

اشتمل **الفصل الأول** : البناء التركيبي للحكاية على مبحثين ، تناول **المبحث الأول** منه : الحكاية المفصّلة ووسائل تشكّلها ، أمّا **المبحث الثاني** فدرس : الحكاية الموجزة وعناصر بنائها .

أمّا **الفصل الثاني** فدرس: بلاغة التصوير البياني في الحكاية في نهج البلاغة ، وقُسِمَ على ثلاثة مباحث سبقها مدخل تناول بناء الصورة الفنية ، اهتم **المبحث الأول** : بدراسة بلاغة التصوير التشبيهي المقارن في الحكاية ، **والمبحث الثاني** : ببلاغة الحكاية في التكثيف الاستعاري ، على حين تناول **المبحث الثالث** : بلاغة الصورة المتوارية في الحكاية .

أمّا **الفصل الثالث** فقد درس: أثر الفنون البديعية في إخراج الحكاية ، بدأ ببيان التنغيم وأثره ، وقد ضمّ هذا الفصل مبحثين ، تناول **المبحث الأول** : الأثر التنغيمي في الحكاية وأهم عناصره ، واهتم **المبحث الثاني** : بدراسة عناصر التفاعل النصّي داخل الحكاية ، وانتهى البحث إلى خاتمة ضمّت أهم النتائج التي خلصت إليها الدراسة.

استقى البحث مادته العلمية من المصادر القديمة والمراجع الحديثة المهمة ، التي أغنته ليخرج على ماهو عليه ، أمّا النصوص العلوية فقد استقاها من نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين بتحقيق قيس بهجت العطّار، وتجدر الإشارة إلى مسألتين، **الأولى** : إنّ تنوع الشروحات التي رجعنا إليها كان بحسب الحاجة وما اقتضته الدّراسة ، أمّا **الثانية** : فقد أشرنا في الدّراسة إلى الخطبة بالرَّمز (خ) ، والكتب بالرَّمز (ك) ، وإلى ما ورد عنه من كلام بالرَّمز (م) .

ولا يخلو عمل كلِّ باحثٍ من صعوباتٍ تكتنفه ، فأكثر الطرق صعوبة تلك التي تبني باحثاً ، متسلحاً بالصبر ، قادراً على تذليل مشاق البحث ، ليحيل نتاج بحثه ثمراً قطوفه دانية .

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب والحمد لله في الآخرة والأولى

الباحثة

التمهيـــــــــــد

أولاً : الحكاية في اللغة والاصطلاح .

أ_ الحكاية في اللغة

ب_ الحكاية في المفهوم الاصطلاحي

١_ الحكاية عند النحويين .

٢_ الحكاية عند البلاغيين والنقاد السرديين .

٣_ الحكاية في نهج البلاغة .

ثانيا : أنواع الحكاية في نهج البلاغة .

١_ الحكاية الشفاهية .

٢_ الحكاية المكتوبة .

الحكاية في اللغة والمصطلح

قبل الولوج في موضوع الحكاية في نهج البلاغة ومعرفة أنواعها وما تضمّنته من أساليب بلاغية ، لابدَّ من بيان المهاد النظري لمفهوم الحكاية ، ويتضمن التمهيد محورين ، الأول : الحكاية في اللغة والاصطلاح ، ثانيا : أنواع الحكاية .

أولا : الحكاية في اللغة .

أ_ الحكاية لغةً : الحكاية مشتقة من الفعل الثلاثي (حكا) أو (حكي) ، وقد يأتي الفعل المهموز (حكأ) ، وقد وردت في المعاجم معانٍ متعددة للفعل منها : **المشابهة** ، كما في ((حكى : أحكيت فلاناً وحاكيته إذ فعلت مثل فعله أو قوله سواء)) [١] ، ويأتي بمعنى **الاقتداء** ((حكى : حكيت الشيء أحكيه إذا فعلت شيئاً تقتدي فيه بغيرك وتحب أن تأتي به على الصفة التي أتى بها))[٢] ، وبمعنى **الثبات والإبانة** كما ورد في لسان العرب ((احتكأ الشيء في صدره : ثبت ، و يُقال : سمعت أحاديث فما احتكأ في صدري منها شيء ؛ أي ما تخالج ، وفي النوادر يقال: لو احتكأ لي أمري لفعلت كذا ؛ أي لو بان أمري في أوله))[٣] ، وبمعنى **الشدّ والإحكام** إذا كان الفعل

---

١) العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، مادة (حكى) : ٢٧٥/٣ ، و ظ : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، للجوهري : ٦/ ٣٢١٧ .

٢) مجمل اللغة ، ابن فارس، مادة (حكى) : ٢٤٦ .

٣) ابن منظور ، مادة (احتكأ) : ٨٥/١ .

مهموز الآخر ((أحكأت العقدة لغة في أحكأتها : إذا قويتُها وشددتُها))[١] ، كذلك يأتي بمعنى **المماثلة** مثل ((حكيت الشيء أحكيه حكاية إذا أتيتَ بمثله على الصفةِ التي أتى بها غيرك فأنت كالناقل))[٢] ، ويأتي بمعنى **النقل** ومنه ((حكوت الحديث أحكوه ، كـ حكيته أحكيه ، وعنه الكلام حكاية: نقلته))[٣] ، ويأتي بمعنى **القص** ، فـ ((الحكاية : ما يحكى ويقصُّ وقع أو تخيل ، أو اللهجة تقول العرب هذه حكايتنا))[٤] ؛ أي لهجتنا .

أمّا المحاكاة فهي مشتقة من الفعل الرباعي (حاكى) وتعني المشابهة أيضاً ((يُقال : فلان يحكي الشمس ويحاكيها))[٥] ، ومن هذا التعدد المعنوي للحكاية في المعجمات اللغوية ، نلحظ وجود معنيين يتلقيان مع ما نريد بيانه من الحكاية في نهج البلاغة وهما (المشابهة والنقل) ، وإذا كانت المشابهة قد تكون بالفعل والقول ، فإنّها تلتقي بالأخير مع النقل ، وهما تحديد ما نريده من الحكاية .

---

[١]) لسان العرب ، ابن منظور ، مادو (حكأ) : ١/ ٥٣١.

[٢]) المصباح المنير ، أحمد بن علي الفيومي مادة (حكى)،: ١ / ١٤٥ .

[٣]) القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، مادة (حكى) : ١٢٧٥ .

[٤]) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون ، مادة (حكى) : ١ / ١٩٠ .

[٥]) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، مادة (حاكى) : ٦/ ٣٢١٧ .

ب_ الحكاية في المفهوم الاصطلاحي :

١_ الحكاية عند النحويين

لا يختلف مفهوم الحكايةِ في النحو عن معناه المعجمي ، فقد تناول علماء النحو الحكاية عند حديثهم عن الفرق بين الكلام والقول ، فالقول هو : ((كلُّ لفظٍ مذِل به اللسان ، تاماً كان أو ناقصاً))[١]، أمّا الكلام فـ ((هو الجمل المستقلة بأنفسها ، الغانية عن غيرها))[٢] ، ثمَّ قسّموا الجمل تقسيمات متعددة ليس من مهمة البحث عرضها ، لكن ما يهمنا منها هو الجمل المحكية ، التي أفردَ لها علماءُ النحو أبواباً مستقلة توسعوا في شرحها ، فالحكاية تعني : ((نقل كلمة من موضعٍ إلى موضعٍ آخر بلا تغيير حركةٍ ولا تبديل صيغةٍ ، وقيل هي إتيان اللفظ على ما كان عليه من قبل))[٣] ، أو ((هي إيراد لفظ المتكلم على حسب ما أورده في الكلام))[٤] ، فقد قال سيبويه (ت ١٨٠هـ) : ((أمّا أهل الحجاز فإنّهم حملوا قولهم على أنهم حكوا ما تكلم به المسؤول ، كما قال بعض العرب : دعنا من تمرتان على الحكاية لقوله ، وسمعْتُ أعرابياً مرةً يقول لرجل سأله فقال : أليس قرشياً ؟ فقال : ليس بقرشياً))[٥] ، ونظير ذلك ما جاء عند المبرد(ت ٢٨٥هـ) : ((يقول الرجل : أرأيْتَ زيداً ؟ فتقول: من زيداً ؟ وإنّما حكيت قوله ليعلم أنّك إنّما تستفهمه عن الذي ذُكِرَ

---

١) الخصائص ، أبو الفتح بن عثمان ابن جني : ١ / ١٧ .
٢) المصدر نفسه : ١ / ١٩ .
٣) التعريفات ، الجرجاني : ٩٦ .
٤) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين السيوطي : ٣ / ٢٦٥.
٥) الكتاب : ٢ / ٤١٣ .

بعينه ولا تسأله عن زيدٍ غيره))[١] ، ومثله ما أورده ابن السرّاج (ت ٢١٦هـ)[٢] ، وكذلك العكبري البغدادي (ت٦١٦هـ) ، يقول : ((فإذا قال القائلُ : جاءَني زيدٌ قلت مَن زيدٌ))[٣] ، فقد رفع الاسم حكاية على اللفظ الذي ورد عليه .

أمّا عند المحدثين فلم يختلفوا مع القدماء في شيءٍ ، إلّا أنّهم وضعوا تعريفاً أشمل ضمَّ القول المكتوب أيضاً ، فقد عرف الدكتور عباس حسن الحكاية بأنّها ((أن تردد اللفظ بحالته الأصلية وتُعيد نطقه أو كتابته بالصورة التي سمعناها أو قرأناها من غير أن نغّيرَ شيئاً من حروفه أو حركاته مهما عبرنا عنه بالجمل والتراكيب ، ويجوز أن نرددَهُ بمعناه إن لم يمنع مانع ديني))[٤] ، ويرى أنّ ((مزية الحكاية أنّها تحمل الذهن سريعاً إلى الحكم على اللفظ بأنه معاد ومردد لداعٍ بلاغي))[٥] ، وقد ورد عن بعضهم تقسيم الحكاية إلى مفرد وجملة ، فالمفرد إما يكون بإيراد لفظ المتكلم كما هو أو حكاية العلم ، أمّا الجملة فقد تكون بغير القول ، أو بفعل القول[٦] ، ، أو ما ينوب عنه مثل زعم وظنَّ وذكر ونبّأ وسيأتي بيانها إنْ شاء الله خلال البحث .

---

١) الكامل باللغة والأدب : ٣ / ١٩٨.

٢) ظ : الأصول في النحو ، ابن السّراج : ١/ ٨٥ .

٣) اللباب في علل البناء والإعراب ، أبو البقاء العكبري البغدادي : ٢ / ١٧٥ .

٤) النحو الوافي : ١ / ٣١٠ .

٥) المرجع نفسه ، هامش ص : ٣١ .

٦) ظ : الجملة العربية تأليفها وأقسامها ، الدكتور فاضل صالح السامرائي : ٢٠٢ .

٢_ الحكاية عند البلاغيين والنقاد السرديين

إنّ مفهوم الحكاية عند البلاغيين لا يكاد يبتعد عن معنيين من المعاني المعجمية وهما : المشابهة ، والنقل ، فمثال المعنى الأول ما ذكره الجاحظ (ت٢٥٥هـ) في قوله : ((نجد الحاكية من الناس يحكي ألفاظ سكان اليمن مع مخارج كلامهم ، لا يغادر من ذلك شيء ، وكذلك تكون حكايته للخراساني والأهوازي والزنجي والسندي والأجناس وغير ذلك))[١] ؛ فحكايتها يعني محاكاتها كما جاءت عنهم ، وقد يتجاوزها إلى حكاية الأصوات ، كذلك ما أورده ابن وهب (ت٣٣٥هـ) عند حديثه عن اللفظ السخيف : ((وهو في الحكاية والنوادر والمضاحك وألفاظ السخفاء والسفهاء ، فإنّه متى حكاها الإنسان على غير ما قالوا خرجت عن معنى ما أُريد بها ، وبردت عند مستمعها ، وإذا حكاها كما سمعها وعلى لفظ قائلها وقعت موقعها ، وبلغت غاية ما أريد بها))[٢] ، فالحكاية هنا يتجاذبها معنيان ((**الأول:** التقليد والمشابهة ، وهذا ما كان سائداً في عصره ، والمعنى **الثاني** : هو رواية الخبر ونقله))[٣] ، والأخير يمثل المعنى الثاني الذي تشير الحكاية إليه ، وقد وردت بهذا المعنى عند ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) ، إذ يرى أنّ الحكاية هي عين المحكي ، ثمَّ ينقلُ قولاً : ((إنّ التالي للقرآن يوجد مع تلاوته كلامان أحدهما من فعله والآخر هو كلام الله تعالى))[٤] ، وبعد ذلك يذكر أن الحكاية غير المحكي وإن كانت مثله ، معنى ذلك أنّ صوتَ القارئِ شيء ، وكلام الله شيء فهو غير الله ، إنّما هو يحاكي كلام الله ،

---

[١]) البيان والتبيين : ١/ ٧٧.

[٢]) البرهان في وجوه البيان : ٢٠١/١ .

[٣]) الخبر في الأدب العربي ، محمد القاضي : ٢٨ .

[٤]) سر الفصاحة : ٤٦ .

فالحاكي ينقل ما أتى به المحكي عنه وحكايته تلك هي فعل له ، وهذا المعنى ورد عند ابن طاهر العلوي(ت ٧٤٩هـ) في قوله : ((تسميتهم حكاية كلام المتكلم بأنّه كلامه ، كما يقال لمن أنشد قصيدة لامرئ القيس : بأنّه كلام امرئ القيس لأن كلامه بالحقيقة هو ما نطق به ، وأمّا حكايته فكلام غيره ، وإضافته إلى الغير مجاز))[١] ، فالحكاية على هذا الأساس هي ((إعادة الكلام عن شيء))[٢] ، وعملية النقل هذه ارتبطت بالحديث الذي كان يُستعمل مرادفاً للخبر ؛ لكثرة استعمال اللفظين ، والحديث في أصله المعجمي يشير إلى الخبر ((الذي يأتي على القليل والكثير))[٣] ، وهناك من فرق بينهما فـ ((الحديث هو ما تخبر به عن نفسك من غير أن تسنده إلى غيرك ، وسمي حديثا ؛ لأنّه لا تقدم له ، وإنّما شيء حدث لك فتحدثت به ، أمّا الخبر : هو الذي يصح وصفه بالصدق والكذب ويكون الإخبار به عن نفسك وعن غيرك ، وأصله أن يكون الإخبار عن غيرك))[٤] ، والحديث والخبر كلاهما مرتبطان بالقصّة ، فـ ((القصّة : الخبر وهو القصص ، وقصَّ عليّ خبره ، يقصّه قصاّ وقصصاً ، والقصّة : الأمر والحديث ، واقتصصت الحديث : رويته على وجهه))[٥] ، فالمعاني المعجمية لهذه الألفاظ كلها تشير إلى عملية النقل ، التي تتطلب التوالي في نقل الحدث أو الأحداث ، وهذا ما يشير إلى مفهوم السرد الذي عُنيت به **الدراسات النقدية الحديثة** سواء أكانت عربية أم غربية ، وحاز على مساحة واسعة من الاهتمام

---

[١] الطراز المتضمن لأسرار البلاغة : ١/ ٣١ .

[٢] كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، محمد علي التهانوي : ١/ ٦٩٢.

[٣] لسان العرب ، ابن منظور، مادة (خبر) : ٢/ ١٣٣ .

[٤] الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري : ٢١٠_٢١١.

[٥] لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (قص) : ٧/ ٧٤ .

، فالسرد من منظورهم ((نقل حادثة من صورتها الواقعة إلى صورة لغوية))[١] ، وقد انطلقت الدراسات العربية النقدية ، من تتبع ألوان السرد في الأدب العربي القديم ، وتمييز الحدود الفاصلة بينها ، وتأطيرها بإطار يفصلها عن غيرها ، ومن تلك الدراسات هي دراسة لسعيد يقطين حين تناول الأنواع الخبرية الأصول (الخبر ، الحكاية ، القصة ، السيرة) ، وانتهى إلى تحديد ((الأساسين في الكلام العربي هما : القول والخبر ، وعوض عن لفظ القول بلفظ " الحديث " باعتباره أكثر استعمالا في الثقافة العربية القديمة ... ثم يميز داخل السرد بين نوعين هما : الخبر والحكاية))[٢] فالخبر هو ((أصغر وحدة حكائية ، والحكاية تراكم مجموعة من الأخبار المتصلة ... فالخبر والحكاية يرتكزان بشكل خاص على أحداث معينة))[٣] ، ويرى سعيد يقطين أنّ الفارق بين الإخبار والقول هو فارق زمني ، فالقول يكون متصلا بالمتكلم بشكل مباشر، أمّا الخبر فهو في الغالب يتصل بالماضي وبالصوت غير المباشر، وأن كان ناقل الخبر هو الذي يخبر به[٤] ، فالخبر المنقول يتجاذبه زمنان : الزمن الذي حدث فيه ، والزمن الذي نُقل فيه ، وهناك من أفاد من معنى الحكاية الوارد في كتب اللغة والحديث وكتب الأخبار الذي يفيد النقل الحرفي للحدث فيخرج بتعريف للحكاية وهو ((نقل الأحداث كما هي دون زيادة أو نقصان مع الدقّة والضبط في عملية النقل بشكلٍ يجعلها متكاملة الصورة غير مفككة كالعقدة المفتولة))[٥] ،

---

[١]) الأدب وفنونه ، عز الدين إسماعيل : ١٠٤_١٠٥.

[٢]) الخبر في السرد العربي القديم ، سعيد جبار : ٨٢ .

[٣]) الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي ، سعيد يقطين : ١٩٥ .

[٤]) ظ : المرجع نفسه: ١٩٠ .

[٥]) القصة والحكاية في الشعر العربي ، د . بشرى محمد علي الخطيب : ٢٤.

ونلحظ من التعريفين السابقين للسرد والحكاية أنّ الحدث يشكل عنصراً مهماً في السرد الحكائي، غير ((أنّه ليس الحدث الذي يروى ، بل الحدث الذي يقوم شخص ما يروي شيئاً ما))[١] ، فالحكاية سواء أكانت حدثاً واحداً ، أم مجموعة أحداثٍ ، فهي تحتاج إلى :

_ ناقل لهذا الحدث وهو (الحاكي أو الراوي أو السارد) .

_ المخاطب وهو(المنقول أو المسرود له) .

_ الحكي وهو (الحدث المنقول أو المسرود) .

والحدث السردي ليس كالحدث الواقعي ، فالراوي يمكن أن ينقل حدثاً واقعياً أو متخيلاً ، وممكن أن يضيف للحدث أو يحذف منه ممّا يجعله بعيداً عن الواقع [٢] ، وقد يشترك في نقله مجموعة من الشخصيات يحددها الراوي ، ممّا يولد نوعين من الأقوال هما :

أ_ القول المباشر : ((قولٌ يصدر عن إحدى الشخصيات فيُنقلُ بحرفيته ، وتكمن مهمة الراوي في إيراد كلام الشخصية الذي ينتهي إلى المروي له بطريقة مباشرة دون وساطة هذا الراوي))[٣] ، ونقله بحرفيّته ؛ يعني من دون إضافة من قبل الراوي .

---

[١]) خطاب الحكاية ، جيرار جنيت : ٣٧ .

[٢]) ظ : تقنيات السرد بين النظرية والتطبيق ، د. آمنة يوسف : ٣٧ .

[٣]) معجم السرديات ، محمد القاضي وآخرون : ١٨٦.

ب – القول غير المباشر: هو ((نقل أقوال الشخصيات ولكن ليس بلغتها ولسانها وإنّما بلسان الراوي مسندة إلى ضمير الغائب))[١] ، فقد يطرأ عليها نوع من الزيادة والنقصان بحسب ما يراه الراوي .

والعملية السردية داخل الحكاية ، لا يحكمها نوع واحد من السرد ، فقد قسم السرديون ، السرد إلى أنواع هي ((السرد التابع ، والمتقدم ، والآني ، والسرد المدرج))[٢] ، نستشف من السابق ذكره ، إنّ الحكاية في مضمونها هي عملية نقل ، يشترك في هذه الخاصية : المعنى المعجمي والنحوي والبلاغي ، والنقل يكون نقلاً حرفياً ، أمّا المعنى السردي فيفيد النقل لكن أمّا نقلاً لحدث واقعي نقلاً أميناً ، أو متخيلاً فيكون عرضة للزيادة والنقصان ، ويمكن بيان ذلك عن طريق المخطط الآتي :

---

[١]) ظ : معجم السرديات ، محمد القاضي وآخرون : ١٨٠.

[٢]) ظ : أساليب السرد في رواية ملكة العنب لنجيب الكيلاني، محمد الأمين يزيد (رسالة ماجستير) : ١٨_ ٢٢ .

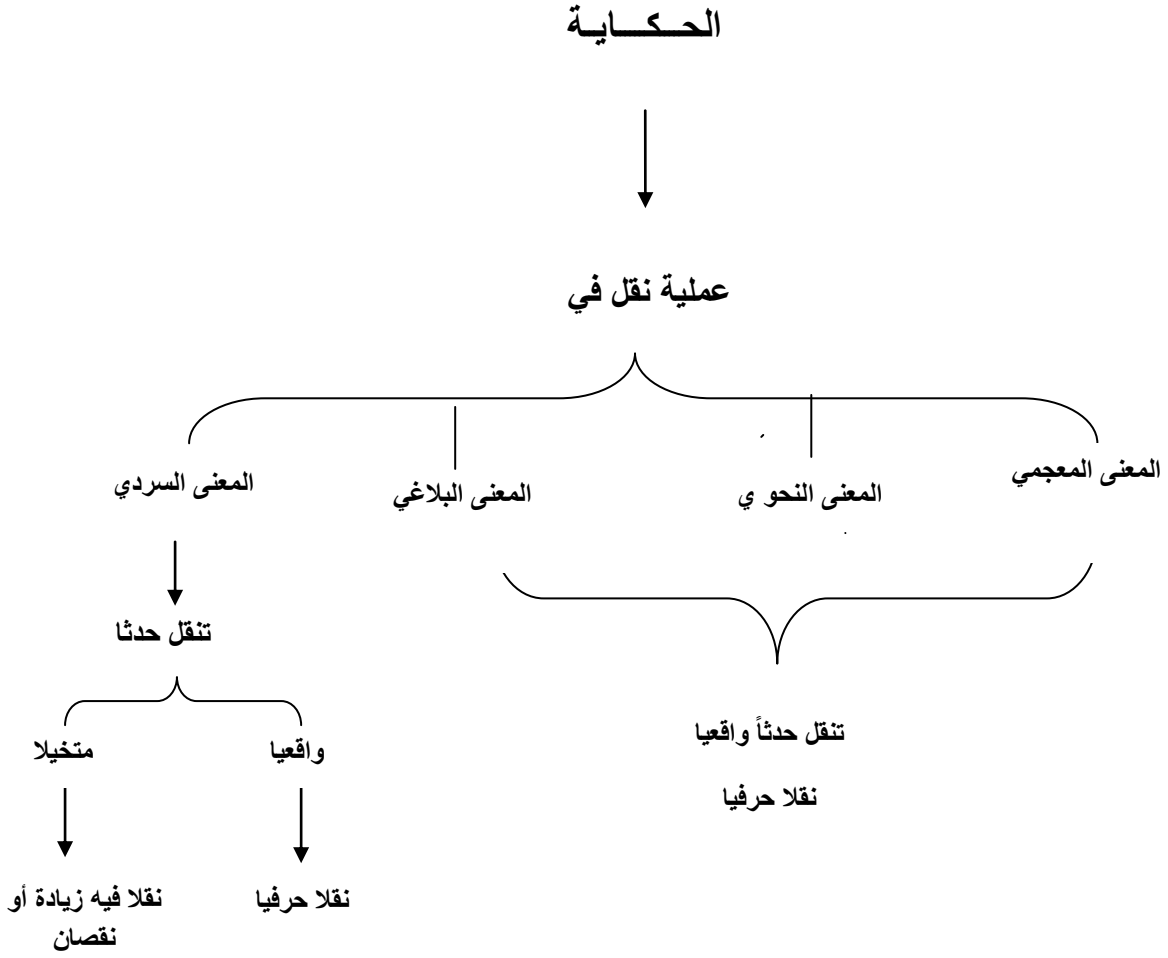

٣_ الحكاية في نهج البلاغة

إنّ مفهوم الحكاية في نهج البلاغة يمكن تعريفه بأنّه: نقل الإمام **عليه السلام** لما يقوله الآخرون نقلاً أميناً من دون زيادة أو نقصان ، وهي بهذا التحديد تلتقي مع المعنى المعجمي والنحوي والبلاغي ، أمّا المعنى السردي فنلحظ أنّ الحكاية العلوية تلتقي معه في نقاط وتفترق بنقاط أخر، **فنقطة التقائهما** : كلاهما يشكلان فناً سردياً قائماً على نقل حادثة ، تتشكل الحكاية في كليهما من سارد أو ناقل للحدث ، والحدث ، والمسرود له أو المنقول له ، وقد تعددت أساليب العرض في الحكايتين العلوية والسردية منها: التربوية ، التذكيرية والإرشادية والاستدلالية

وغيرها ، أمّا **افتراقهما** : فيكمن في واقعية الحدث المنقول في الحكاية العلوية ، نقلاً لا تشوبه زيادة أو نقصان ، أمّا السردية فالحدث يكون فيها ، أمّا واقعياً أو متخيلاً خاضعاً للزيادة والنقصان ، اعتماد الحكاية العلوية متلقياً واحداً أو أكثر بحسب ما يقتضيه المقام والموضوع ، أمّا الحكاية السردية فتعتمد على أكثر من متلقٍ ، تقوم الحكاية العلوية على شخصية واحدة متمثلة بالإمام **عليه السلام** حتى وأن نُقل إليه خبر ما ، فالناقل أو المخبر الحقيقي له يبقى الإمام ، أمّا الحكاية السردية فقائمة على شخصيات متعددة ، وأثناء تتبعنا للحكاية العلوية ، لاحظنا الآتي:

_ إنّ الحكاية العلوية كفنٍ سردي جاء فيها نوعان من أنواع السرد ، هما : السرد التابع القائم على سرد أحداثٍ مضت ، والسرد المتقدم الذي ((يُعدُّ أحد خصائص السرد التنبؤي))[١] ، والنوع الأول من السرد كان الأظهر في الحكاية .

_ إنّ الغرضَ منها ليس مجرد نقل الإمام لما يُقال، إذ إنّ مجرد النقل لما قيل تبدو عملية لا طائل منها ، لأن المنقول معروف بالنسبة لطرفي عملية الحكي ، وإنّما الغرض هو تعليق الإمام وردّه على ما قيل ، فكلامه عملية كشفِ حقائق وإماطة اللثام عنها ، وإبانةِ وقائع ، وسدِّ طرق الذرائع ، ورفع كلّ شكٍّ يعتمل في النفوس ، وقد جاءَ كلامُه مستوفياً لتلك الحقائق كاشفاً عنها بأوضح أسلوبٍ ، وأعلى بيانٍ ، يتراوح كلامه مابين التفصيل والإيجاز بحسب ما يقتضيه مقام الحال .

---

[١]) أساليب السرد في رواية ملكة العنب لنجيب الكيلاني ، محمد الأمين يزيد : ١٩ .

_ إنّ أسلوب الحكاية في نهج البلاغة ، هو من الأساليب القرآنية التي اقتفى الإمام أثرها ، فقد وردت الحكاية في القرآن الكريم ، إلّا إنّها وردت بلفظ القرآن المعجز وحروفه ، لا بلفظ من نُقل عنهم ، فلم يكن لسانهم عربياً ، فهو نقل بالمعنى لا باللفظ فالحكاية ((مرة تكون مع التزام اللفظ ، ومرة تكون بالمعنى غير متبعة للفظ))[١] ، وقد أشار الرضي في شرح الكافية إلى هذا المعنى بقوله : ((جاز أن يُغيّر اللفظ ، شرط وفاء اللفظ المُغيّر بالمعنى الذي يُفهم من الأصل ؛ لأنّه ربّما يتعسّر أداء اللفظ المقول بعينه من بعض القائلين ، فجوّز تغيير اللفظ في كلام من لا يتعسّر عليه ذلك أيضا كالباري ، وكذا غيره ممن يسهل عليه ذلك ... لذا الكتاب العزيز ، يُقصُّ فيه عن الأمم السابقة المختلفة الألسن ، باللسان العربي))[٢] ، وقد ردّ القرآن الكريم كثيراً من الحكايات منها ما جاء حكاية عن اليهود ﴿**وَقَالَتْ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلّتْ أَيْدِيهِم وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بِلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾[٣]، فنقل القرآن قول اليهود وردّه عليهم ، وتتبع الإمام هذا النهج في حكايته ، وهذا ما يؤكد تلك العلاقة الوطيدة بين القرآن الكريم ، ونهج البلاغة [٤] ، الذي استقى ثراءه من فيض القرآن ، بيد أنّ الفارق بين الحكاية في القرآن الكريم ، والحكاية العلوية يكمن في أسلوب النقل (معنى أو لفظاً) ، فاقتفاء الإمام أسلوب القرآن ، هو ناتج وعيه بما لهذا الأسلوب من قدرةٍ كبيرةٍ على التأثير ، لاسيّما إذا عُرفت الغايات التي تقف خلف النقل .

---

[١]) التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي : ١٨/ ٤١٧ .

[٢]) شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ، محمد بن الحسن الإستراباذي : ٤/١٧٤_١٧٥.

[٣]) سورة المائدة ، آية ٦٤ .

[٤]) ظ : الأثر القرآني في نهج البلاغة ، د. عباس علي حسين الفحام : ٢٨ _ ٣٢.

ثانيا / أنواع الحكاية في نهج البلاغة

لم تجرِ الحكايةُ في نهج البلاغة على نمطٍ واحدٍ، وإنّما تنوعت مابين حكاية شفاهية شاعت في خطب الإمام (عليه السلام) ، وبين المكتوبة التي تمثلت وتجلت في رسائله عليه السلام لعمّاله في الأمصار، كذلك في رسائله وردودِه لمعاوية ، وفيما يأتي بيان لكل نوعٍ منهما :

١- الحكاية الشفوية :

يعد الكلام أكثر ارتباطاً بحياة الناس ونشاطاتهم ، فهو ميدانهم الفسيح للتعبير عن أفكارهم وثقافتهم وظروف حياتهم ، أمّا الكتابة وإن كان وجودها قليلاً ، لكن لم تكن لها تلك المنزلة التي حظي بها الكلام الشفوي ، وبدأت تحتل مكانة مهمة منذ ظهور الإسلام لما كانت تقوم به من مهام كبيرة ، مع ذلك بقي للكلام الشفاهي منزلته ، الذي يمكن تعريفه بأنّه الخطاب الذي ((ينُجزه قائله شفاهة إلى متلقٍ ، وتدخل فيه عناصر تعبيرية صوتية وغير لغوية ، يشارك فيه السياق الخارجي والذي يُعرف بمقام الخطاب أو المقال ، ويتميز هذا النوع بالسهولة والاختصار وقصر الجمل وتكثيفها في وحدات بسيطة مباشرة ، والاتصال المباشر الموجه ، والإحالات الخارجية والفواصل الاعتراضية ، ومحفزات المتلقي والتنبيهات والعناصر الصوتية التعبيرية ، والتعبيرات الجسدية ، والتكّيف مع التلقي ، وتعديل توجيه الخطاب بحسب درجة التلقي وتنوع الأساليب استجابة لأقدار المتلقين))[١] ، فالكلام ((يعتمد على أساسين: أحدهما حركي (المخارج) ، والثاني سمعي (الصفات) وهذا التنوع الذي يُتيح مقابلاته وقيمه الخلافية – بين المَخرج والمَخرج وبين

[١]) تحليل الخطاب في ضوء أحداث اللغة ، محمود عكاشة : ٢٦ .

الشدة والرخاوة ، والجهر والهمس، بين التفخيم والترقيق – نظام صوتي لغوي))[١] ، أذاً ميدان الحكاية الشفوية يشمل كل تلك العناصر التي تسهم في إيصال ما يريد المتكلم إيصاله إلى المتلقي ، وهذا بيّنُ في كلام الإمام (عليه السلام) في تعليقه على ما ينقله إذ أسهمت تلك العناصر من نبرٍ وتنغيمٍ وإيحاءات و تعابير جسدية وعبارات قصيرة مكثفة وتنوع في الأساليب بتنوع المخاطبين في إيصال رسالة إلى المتلقين ، وبحسب المقام قد يجئ الكلام مفصلًا أو موجزاً وهذا ما تشترك به مع الحكاية المكتوبة.

٢- **الحكاية المكتوبة :**

تجلّت الحكاية المكتوبة في الكتب والرسائل التي تبادلها الإمام (عليه السلام) مع معاوية أو مع عمّاله على البلدان الأخرى ، ويمكن تعريفها : ((إنّها أفكارٌ وأصواتٌ تحولت إلى نصٍ ثابتٍ ، تضمنَ عناصر الحال ، وتفاصيل المعنى ، وامتاز بطول الجمل المركبة))[٢]، ونقصد بعناصر الحال : المتكلم ، والمخاطب ، والموضوع ، وهي تعتمد على متلقٍ واحدٍ ، كما تعتمد وتستند على طبيعة كلٍّ من المتكلم والمخاطَب وثقافتهما الدينية ومكانتهما الاجتماعية وصفاتهما الخَلْقية والخُلقية ومعرفة كلّ واحدٍ منهما بالآخر، والمناسبة للخطاب وموضوعه ، ويرى تمام حسان ((أنّ غياب عنصري النبر والتنغيم من المكتوب جعل من المسموع أقدر على الكشف عن المعنى))[٣]،

---

[١]) اللغة العربية معناها ومبناها ، الدكتور تمام حسّان : ٤٦

[٢]) تحليل الخطاب في ضوء أحداث اللغة : ٢٦ .

[٣]) اللغة العربية معناها ومبناها : ٤٧.

فالنبر عنصر مهم من عناصر التنغيم الذي يتغير من موقفٍ إلى آخر ، ومن حال نفسية إلى أخرى ، مما يضفي على الكلام ألوانا من القوة والعاطفة ، والحقيقة لو تتبعنا كلام أمير المؤمنين الوارد في الحكاية الشفاهية والمكتوبة في محاولة للمقارنة بينهما ، فإنّنا نجد أنّه على الرغم من غياب عنصر النبر وما يحمله من إيحاءات صوتية من الحكاية المكتوبة ، إلا أنّها في المقابل اعتمدت أساليب أسهمت بشكل فاعل في بيان المعاني وكشفها للمتلقي نحو: أسلوب التقديم والتأخير فضلا عن استعمال الألفاظ التي تمتاز حروفها بجرسها القوي ، فكلّ تلك الأساليب من شأنها أن تمنح النصَّ قوته التعبيرية ، وهذا مرتبط بقدرة المتكلم وبراعته الفذّة ، إذاً فالحكاية المكتوبة لا تقلُّ عن الحكاية الشفاهية بلاغة في عملية الكشف والتوضيح ، فقد تضمنت كلا الحكايتين من دقائق المعاني وبلاغتها ما لا يدركه مدرك ، وحملت في طياتها أدق المضامين ، وحفلتْ بحقائقَ لا يمكن إنكارها .

الفصل الأول

البناء التركيبي للحكاية

المبحث الأول : الحكاية المفصلة ووسائل تشكلها :

بناء الحكاية :

أولا: الإطناب وأنواعه

١_ الاعتراض . ٢_ التكرير . ٣_الإيضاح بعد الإبهام . ٤_ ذكر الخاص بعد العام . ٥_ التذييل . ٦_ التكميل أو الاحتراس . ٧_ الإيغال . ٨_ ذكر العام بعد الخاص . ٩_ التوشيع .

ثانيا: بناء الجملة الطويلة

١_ أسلوب الاستفهام

٢_ أسلوب الشـرط

٣ _ أسلوب النـــداء

المبحث الثاني : الحكاية الموجزة و عناصر بنائها :

بناء الحكاية :

أولاً : عناصر الإيجاز

١_ إيجاز الحذف . ٢_ إيجاز القصر .

ثانياً : بناء الجملة القصيرة

١_ أسلوب التقديم والتأخير

٢_ أسلوب القصر : أ _ النفي والاستثناء . ب _ القصر بـ (إنّما).

بناء الحكاية

من المعلوم أنّ اللغة العربية ظاهرة اجتماعية نشأت بنشوء الإنسان ، فكانت الأداة الناقلة لأفكاره ، إذ مثّلت عنصرا مهماً في تفاعله مع مجتمعه ، ووسيلة تعكس ثقافته وحضارته ، ومن بين العناصر التي تتألف منها اللغة هي الجملة ، التي تشكّل الوحدة الأساسية في النص المحكي ؛ لأجل التفاهم والتخاطب بين المتكلم والمتلقي ؛ لذا عمل البحث على دراسة بنيتها التركيبيّة التي أخذت مساحة واسعة عند النحويين ، فالجملة : ((عبارة عن مركب من كلمتين أُسنِدت أحدهما إلى الأخرى))[١]، فطرفا الإسناد هما أساس بنية الجملة ، والبنية لغة مأخوذة من البناء وهو ((ضم الشيء بعضه إلى بعضه ، تقول بنيت البناء أبنيه))[٢] وفي الاصطلاح :((إعادة بناء الشيء لإبراز وظائفه من خلال عمليتين هما الاقتطاع والتركيب أي اقتطاع الأجزاء الدالة للشيء ، للكشف عن كيفية قيامها بوظائفها ومدى تأثيرها في الكل ، ثم تركيب هذه الأجزاء بعد اكتشاف قوانين حركتها في كلٍّ عضوي وتحليل القواعد المتصّلة بإيحاءاتها وأنظمتها المختلفة))[٣] ، ، فأي نصٍّ هو عبارة عن ((علاقات قائمة بين الأجزاء المكونة له ، فلو اختلف النص في نظمه وبنائه ، لاختلفت دلالاته ومعانيه تبعاً لتغير مبانيه في الموقع والوظيفة))[٤] ، وهذا التغيير مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمعاني التي يريدها المتكلم ، وعلى هذا التأسيس خُصص هذا الفصل لدراسة النص المحكي للإمام من حيث بناؤه التركيبي المكون من المسند والمسند إليه

---

[١]) التعريفات ، الشريف الجرجاني : ١ / ٧٨ .

[٢]) مقاييس اللغة ، ابن فارس ، مادة (بنى): ١/ ٣٠٢ .

[٣]) نظرية البنائية في النقد الأدبي ، صلاح فضل : ١٤٠ .

[٤]) خطية الخلق والبناء في نهج البلاغة ، زينب ثجيل نعمة (رسالة ماجستير) : ٨٣ .

وكيف وظّفه الإمام في نقل الحكاية والردِّ عليها ، والوقوف على الكيّفية التي فجّر بها طاقة الكلمة ، وشحنها بالمعاني فتنسبك داخل نص يخاطب مستويات شتى فينهل كلّ حسب مبلغ علمه ، وهو بالوقت يحمل بين طياته أدلّته الإقناعية ، متخذاً وسيلتين في نقل الحكاية ، وقد خصص هذا المبحث لدراسة الوسيلة الأولى وهي (الحكاية المفصّلة) .

قبل بيان كيفية بناء الحكاية المفصلة ، والوسائل أو الآليات التي أسهمت في بنائها ، علينا أولاً بيان المعنى اللغوي المراد منها ، ففي **اللغة** : ((التفصيل : التبيين))[١] ، وهذا ما ورد في القرآن الكريم ، في قوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ شَيءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾[٢] ؛ أي بيناه تبياناً ، و يقال : ((فصّل الأمر: بيّنه وأوضحه ، فصّل الحديث : بسطه وشرحه بالتّفصيل))[٣] ، أمّا في **الاصطلاح : هو** ((أن يأتي المتكلم بشطر بيتٍ من شعرٍ له متقدم في نثره أو نظمه صدراً كان أم عجزاً ، يفصّل به كلامه بعد أن يوطئ له توطئة ملائمة))[٤]، ففي التفصيل ((معنى البيان على كل قسم بما يزيد على ذكره))[٥] ، وهذا ما يدلُّ عليه الوزن الصرفي للفظ فنجد أنّ (مفصَّلة و مُفَصَّل) هو اسم مفعول من (فَصَّل)، على زنة (فَعَّل) وتكرار حرف العين يوحي بنوع من الزيادة في المعنى ، وإلى هذا أشار ابن جني (ت٣٩٢هـ) بقوله : ((أمّا فَعَّلَ فللتكثير ، نحو

---

[١]) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري ، مادة (فصل) :٥/ ١٧٩١.

[٢]) سورة الإسراء ، آية ١٢ .

[٣]) معجم اللغة العربية المعاصرة : الدكتور احمد مختار عبد الحميد عمر : ٣٧٩١.

[٤]) النظرية البلاغية عند الإمام الزمخشري (٤٦٧_٥٣٨هـ) في الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل ، د. عطية نايف الغول : ٣٧٥.

[٥]) الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري : ١/ ١٣٤ .

غلّق الأبواب ، وقطّع الحبال))[١] ، وهذا ما يلتقي مع مفهوم الحكاية المفصّلة ، التي يمكن أن نعرفها : بأنّها تركيب جملي قائم على مجموعة أدوات تسمح في مد القول على نحو يكون قادراً معه على بسط المعاني لنقل الأفكار إلى المخاطب وتوضيحها .

إنّ هذا النوع من الحكاية كان الأكثر ظهوراً من النوع الثاني (الموجزة) ، وسوف يتناول هذا المبحث أظهر تلك الوسائل التي أسهمت في بناء الحكاية المفصّلة ، وإخراجها بهذا الشكل البلاغي الرصين من دون أن تؤدي إلى التطويل الممل ، الذي يعدّه البلاغيون ضرباً من العي، ومن أهم تلك الوسائل هو الإطناب وما تعلق به من أساليب سندرسها حسب مجيئها في الحكاية.

أولا : الإطنـــــاب وعناصره

وهو **لغة** من : ((أطنب في الكلام: بالغ فيه))[٢] ، أمّا في **الاصطلاح** هو: ((العبارة عن المعنى بالكلام الكثير الذي يستفاد منه إيضاح ذلك المعنى))[٣]، فيقرب بذلك من المعنى اللغوي ، وقد وصِفَ الإطناب ((كمن سلك طريقاً بعيداً لما فيه من النزّهةِ الكثيرةِ والفوائد العظيمةِ ، فيحملُ في الطّريق إلى غرضه من الفائدةِ على نحو ما يحصل له بالغرض المطلوب))[٤]، أمّا أبو هلال العسكري(ت٣٩٥هـ) فيروي عن أصحاب الإطناب:((المنطق إنما هو بيان، والبيان لا

---

[١]) الخصائص : ١/ ٢٢٧ .

[٢]) الصحاح ، الجوهري ، مادة (طنب) :١٧٢/١.

[٣]) سر الفصاحة ، ابن سنان : ٢١١ ، ظ : مفتاح العلوم، للسكاكي : ٢٧٧/١ ، الطراز، للعلوي :١٢٣/١.

[٤]) النكت في إعجاز القرآن ، الرماني :٧٩/١.

يكون إلّا بالإشباع ، والشفاء لا يقع إلّا بالإقناع ، وأفضل الكلام أبينه ، وأبينه أشدّهُ إحاطةً بالمعاني ، ولا يُحاط بالمعاني إحاطة تامّة إلّا بالاستقصاء))[١] ، وهذا الاستقصاء للمعاني يتطلبُ الزيادةَ في الألفاظ ، ويُعدُّ أيضاً ((ضرباً من ضروبِ التأكيدِ التي يُؤتى بها في الكلام قصداً للمبالغةِ))[٢] ، وسنحاول دراسة أشكال الإطناب كوسائل في بناء الجملة المفصّلة في كلام الإمام **عليه السلام** ، لكن ما ينبغي الإشارة إليه ، إنّ ثمة تفاوت في تلك الوسائل، فمنها ما امتازت بظهورها الواسع ، ومنها ما قلَّ ظهورها أو ندر، وعلى الرغم من تلك القلّة أو الندرة ، إلاّ إنّ أثرها في إخراج حكاية مفصّلة واضح بيّن لا يمكن إغفاله ، وحسب طبيعة البحث في استقصاء أكثر الوسائل ظهوراً سيبدأ بـ :

١_ الاعتـــــراض

يُعدُّ الاعتراض من الأساليب البلاغية ويُقصَدُ به ((أن يُؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الأعراب))[٣] ، وهذا خلاف ما ذهب إليه النحويون من أنّ الاعتراض لا يكون إلا بين جملتين متصلتين لفظاً، والغاية منه هو((توكيد الكلام أو توضيحه أو تحسينه، وتكون الجملة ذات علاقةٍ معنويةٍ بالكلام الذي اعترضت بين جزأيه))[٤]،

---

١) كتاب الصناعتين : ١/ ١٩٠ .

٢) المثل السائر ، ابن الأثير : ٢/٢٧٨.

٣) الإيضاح ، القزويني : ٣/٢١٤ .

٤) إعراب الجمل وأشباه الجمل ، د. فخر الدين قباوة : ٦٧.

وهذا يتعارض مع ما يذهب إليه البعض من أنّ الاعتراض حشوا [١]؛ لأن الحشو من غير فائدة ، والاعتراض لفائدة ، وقد ((اسماه قدامة التفاتاً))[٢]، والجملة المعترضة هي جملة زائدة ، لكن هذه الزيادة ((تارة يكون محتاجاً إليها في المعنى ، فلا يُفهمُ المراد إلا بها ، وتارة يكون الإتيان بالجملة الزائدة احترازاً من دخول الخلل في المعنى ، فما كان محتاجاً إليه لتمام المعنى سُميَّ اعتراضا، وما كان محتاجاً إليه للاحتراز من دخول الخلل في المعنى سُميَّ التمام والاحتراس))[٣]، وفي الاعتراض ((من المحاسن المكملة للمعاني المقصودة ما يتميزُ به على أنواعٍ كثيرةٍ))[٤]، فهو ((مثل الحسنةِ تأتيك من حيث لا ترتقبها))[٥]، وقد كان للاعتراض حضور أوسع من غيره في الحكاية المفصّلة فقد وردَ في أربعة عشر موضعاً [٦] ، فما جاء في الحكاية ، ، قوله (عليه السلام) ردّاً على من اتهمه بالضّلال من الخوارج :((**فإنْ أَبَيْتُمْ إلاّ أنْ تَزْعُمُوا أَنَّي أَخْطَأتُ وَضَلَلْت فَلِمَ تُضَلِّلُون عَامَّةَ مُحَمَّدٍ _ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وسلم _ بِضَلَالي ... فَلَمْ آتِ _ لا أَبَا لَكُمْ _ بُجْراً ، وَلَا خَتَلْتُكُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ ، وَلَا لَبَّسْتُهُ عَلَيْكُمْ ،إِنَّما اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَى اخْتِيارِ رَجُلَيْنِ ، أَخَذْنَا عَلَيْهِما ألاَّ يَتَعَدَّيا الْقُرْآنَ ، فَتَاهَا عَنْهُ ، وَتَرَكَا الْحقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ ،**

---

[١]) ظ: المثل السائر ، ابن الأثير: ٣/٤٠ .

[٢]) الإتقان في علوم القران ، جلال الدين السيوطي: ٣/٢٥٣.

[٣]) جوهر الكنز في تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة ، نجم الدين الحلبي : ١٢٨.

[٤]) خزانة الأدب ، ابن حجة الحموي : ٢/٢٨٠.

[٥]) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، عبد المتعال الصعيدي: ٢/٣٦٣.

[٦]) ظ : مثلا ، نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام)، ك ٢٨ /٥١٤ ، ك ٦٤/ ٦٠٧، م(٧٨) :١٣١.

وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَيَا عَلَيْهِ . وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهما ـ فِي الْحُكُومَةِ بالْعَدْلِ وَالصَّمْدِ لِلْحقِّ ـ سُوْءَ رَأْيِهِما ، وَجَوْرِ حُكْمِهِمَا.))[١] .

في الحكاية العلوي وردتْ جملتان اعتراضيتان، **الأولى** :(لا أبا لكم) وهذه العبارة جارية على لسان العرب و((تأتي في مواقع الضجر والضيق والعتاب))[٢] ، وقد أفادت الدعاء ، وعلى الرغم من أنّ رفعها لا يؤثر في المعنى ، إلاّ إنّ وجودها أعطى قوة للنصّ ولاسيّما أنّها جاءت بعد نفي فكانت مساوقة لكلام ساقه **عليه السلام** منكراً على خصمه قتاله إيّاه ، والبجر: هو((الشر والأمر العظيم))[٣] ؛ أي ((لم آت لكم شرا ولا داهية ولا ختلكم وخدعتكم من أمركم ولا لبّسته وجعلته مشتبها عليكم ، فلم يصدر مني ذنب أوجب عليكم قتالي))[٤]، **والثانية:** (في الحكومة بالعدل والصمدِ بالحقِّ) وقد ساقها توكيداً لما قاله مسبقاً في أمر الحكمينِ اللذينِ كان الجور شعارهما وهو يشير إلى أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص ، وقد نبّه **عليه السلام** عند اختيارهما إلى كونهما غير مؤهلين للحكومة ولا يصلحان لهذا المنصب ، وإنهما لا يسيران بعدلٍ ولا يقيمان حقاً، فجاءت الجملة الاعتراضية توكيداً لما قيل وتقريراً لهم لما نبّههم عليه.

---

[١] ، نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، م (١٢٧) : ٢٤٤_ ٢٤٦.

[٢] الجملة الاعتراضية في سورة (ص) بين الموقع والدلالة ، مخزوم علي الفرجاني ، (بحث منشور) ، مجلة الجامعة الأسمرية ، عدد ٢٦ ، ٢٠١٣ ، ص : ٢٥٥.

[٣] شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني: ١٧٢/٣.

[٤] مفتاح السعادة ، محمد تقي النقوي : ٢٦٩/٩.

كذلك قوله ردّاً على حكاية معاوية عند مفاضلته مع غيره :((... **فَإِنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي التَّيِه ، رَوَّاغٌ عَنِ الْقَصْدِ .أَلاَ تَرَى_غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللهِ أُحَدِّثُ_ أَنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالى مِنَ المُهَاجِرِين**))[١] .

فالجملة الاعتراضية **(غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللهِ أُحَدِّثُ)** جاءت لبيان أنّ المخاطب لا يرتفع لمقام أنْ يُتَوجَّهُ بالحديثِ إليه ((ولكن ذكرَ ذلك لأنّه تَحدُّثٌ بنعمة الله عليهم ، وقد أُمروا أنْ يتحدثوا بنعمته سبحانه))[٢]، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾[٣].

نظيره قوله (عليه السلام) ردّاً على من زعم رجاء الله : ((**يَدَّعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللهَ كَذَبَ والْعَظِيمِ! مَا بَالُه لاَ يَتَبَيَّنُ رَجَاؤُه فِي عَمَلِهِ ، فَكُلُّ مَنْ رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُه فِي عَمَلِهِ . وَكُلُّ رَجَاءٍ _إِلاَّ رَجَاءَ اللهِ _ فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ ، وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ _ إِلاَّ خَوْفَ اللهِ _ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ .**))[٤] .

جاء الاعتراض هنا بأسلوب الاستثناء ، للتوضيح أنّ الراجي لشيء يجبُ أن يظهرَ رجاؤه في سلوكِه ، فمن يرجو عبداً ((فإنّه يخدمه بخدمته التامة ، ويبالغ في طلب رضاه ، ويكون عملُه بقوةِ رجائِه له))[٥] ، فالاستثناء وقع لبيان أنّ رجاءَ وخوفَ مَنْ يدعي رجاء وخوف الله غير خالص ، بل مشوب بالريبة ، ولو كان خالصاً لظهر هذا الرجاء والخوف في عمله ، فكان

---

[١] نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، ك (٢٨) : ٥١٣ .

[٢] شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ١٥/ ١٢١ .

[٣] سورة الضحى: آية ١١.

[٤] نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، خ (١٦٠) : ٢٩٩

[٥] شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٣٥٣/٣.

تقصيره في أداء حقِّ الله من الأعمالِ الأخروية دليلاً على ذلك ، فوقع الاعتراض في باب التوبيخ على التقصير .

٢ـ التكـريــر :

وهو((تكرير المعاني والألفاظ ، وحدَّهُ هو دلالة اللفظ على المعنى مرددا))[١]، فهو إعادة للفظ لمرتين أو أكثر بحسب ما يقتضيه الحال ، أو إعادة المعنى بألفاظ متباينة ، ومثال التكرار اللفظي في الحكاية ، قوله (عليه‌السلام) رداً على حكاية عمرو بن العاص حين زعم لأهل الشّام أنّ فيه دعابة:((**يَزْعُمُ لأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً ، وَأَنِّي امْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ ... أَمَا وَاللهِ إِنَّي لَيَمْنَعُنِي مَنْ اللَّعِبِ ذِكْرُ الَمْوْتِ، وَإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحقِّ نِسْيَانُ الآخِرَةِ ،إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَّةً ، وَيَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَةً .**))[٢].

فقد تكررتْ في جوابه (عليه‌السلام) أداة التوكيد(**إِنَّ**) لثلاث مراتٍ ، **الأولى** : لتوكيد مسألة بُعْدِه عن المزاح المفرط ((فمن كانَ دأبه ذكر الموت والتفكّر بالآخرة والوجلِ من الله فكيف يتصور منه ذلك))[٣]، **والثانية** : جاءت لتقرير معنى قاله مسبقاً بحق عمرو بن العاص وهو أنّه يقول فيكذب ، وأنّ ما منعه عن الحق هو نسيان الآخرة ، ((ونسيانها مستلزم للكذب وسائر وجوه

---

[١]) علم المعاني ، عبد العزيز عتيق : ١٩١.

[٢]) نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، م (٨٣) : ١٤٦.

[٣]) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني :٢/٣٦٥_٣٦٦.

الخداع))[١]، و**الثالثة** : لتوكيد الثانية وكأنّها دليلٌ على ما قاله فيه ، فهو لم يبايعْ معاويةَ ، ولم يقاتلْ علياً إلّا بعد وعد معاوية له بحكم مصر.

ونظير التكرار اللفظي الذي وقع في الحرف ، قوله (عليه‌السلام) رداً على معاوية الذي زعم أنّ خروجه للحرب إنّما هو طلبه بدم عثمان : ((**وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائِراً بِدَمِ عُثْمَانَ ! وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمَانَ ، فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ طَالِباً ، فَكَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِجُّ مِنَ الْحَرْبِ إِذا عَضَّتْكَ ضَجِيجَ الْجِمَالِ بِالأَثْقَالِ وَكَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي جَزَعاً مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتَابِعِ ، وَالْقَضَاءِ الْوَاقِعِ ، وَمَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ ، إِلى كِتَابِ الله ، وَهِيَ كَافِرَةٌ جَاحِدةٌ ، أَو مُبَايِعةٌ حَائِدةٌ**))[٢].

وقع التكرار في حرف (**الضاد** ، **العين** ، **الجيم** ، **القاف**) ، فهذه الأصوات تمتاز بقوتها وجرسها العالي ، فتكرارها داخل النصّ وتتابعها بهذا الشكل ، ينسجم انسجاماً وثيقاً بالمعاني المراد بيانها ونقلها للمتلقي ، فهي تعكس قوة تلك الحرب التي ستقع بين الإمام ومعاوية ، وما سيلاقيه وجيشه من الذّل والهوان والجزع حين يشاهدون القتل الذي يتخطّفهم جماعة بعد جماعة ، وهذا أمر حتمي ؛ لذلك عبّر عنه بالقضاء الواقع ، وهم عندئذ على حالين، أمّا فئة كافرة جحدت الحق ومالت عنه ، أو فئة مبايعة ثم عدلت عن بيعته .

كذلك قوله (عليه‌السلام) ردّاً على من اتهمه على حرصه على الخلافة :((**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ ، فَإِنَّهُم قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي وَأَكْفَأُوا إِنَائي ، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقًّا**

---

[١] شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٣٦٦/٢.

[٢] نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، ك (١٠) : ٤٩٠_ ٤٩١.

كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي، وَقَالُوا : أَلَا إِنَّ فِي الحقِّ أَنْ تَأْخُذَهَ ، وَفِي الحقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ فَاصْبِرْ مَغْمُوماً ، أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً .))[١]، فالتكرار وقع في شبه الجملة (في الحقِّ) ، والمقصود بالحق هو الخلافة ؛ أي((إن وليت الخلافة فهذا حقٌّ ، وأنْ تولاها غيرك فهو حقٌ أيضا))[٢]، فناقضوا أنفسهم بنسبة الحق له ولغيره ، فكانَ تكراره عليه السلام لشبه الجملة ، هو من باب استيعاب المعنى واستيفائه .

ومثله قوله (عليه السلام) ردّاً على حكاية بلغته عن شراء قاضيه داراً:((**بَلَغَنِي أَنَّكَ ابْتَعْتَ دَاراً بِثَمانِينَ دِينَاراً ، وَكَتَبْتَ لَهَا كِتَاباً ... يَا شُرَيْحُ[٣]، أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لا يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ، وَلا يَسْأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِك، حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْها شَاخِصاً ، وَيُسْلِمَكَ إِلى قَبْرِكَ خَالِصاً، فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ لَا تَكُونُ ابْتَعْتَ هذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ**))[٤].

فالإمام في معرض النصح ، وهذا الغرض يتطلبُ قدرةً كبيرةً تمكّنُ المتكلم عن طريقها استمالة المخاطب وحمله ليس فقط على قبوله ، بل وأخذه والعمل به ، لذلك بدأه بأسلوب النداء والذي تكرر مرتين ، **الأولى** : ليلفت نظر المخاطب لما يقوله ، **والثانية** : لحمله على التدّبر والتفكّر فيما حصل منه ؛ لذلك نرى تكرار حرف النفي (لا) الذي ورد ثلاث مراتٍ فهذا سبب

---

[١] نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، م(٢١٧) : ٤٤٨.

[٢] شرح نهج البلاغة ، السيد عباس الموسوي : ٥٠٦/٣.

[٣] أبو أمية شُريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر بن الرائش بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرَتِّع الكندي ، وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، ٢/ ٤٦٠ .

[٤] نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، ك (٣) : ٤٨٢_٤٨٣.

قوي يحمل المخاطب على التمعن والتفكير ؛ لأنّ في النصّ انتقالا من حساب المخلوق إلى حساب الخالق ، فإذا كان حساب المخلوق صعب ، فبالتأكيد حساب المخلوق أعظم وأصعب .

وفي الحكاية نفسها نلحظ تكراراً معنوياً تمثل بقوله (عليه‌السلام) : ((**فَعَلَى مُبَلْبِلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ ، وَسَالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَةِ ، وَمُزِيلِ مُلْكِ الْفَرَاعِنَةِ ، مِثْلِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَتُبَّعٍ وَحِمْيَرَ ، وَمَنْ جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَأَكْثَرَ، وَمَنْ بَنَى وَشَيَّدَ ، وَزَخْرَفَ وَنَجَّدَ ، وَادَّخَرَ وَاعْتَقَدَ ، وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ_ إِشْخَاصُهُمْ إِلى مَوْقِفِ الْعَرْضِ وَالْحِسَابِ ، وَمَوْضِعِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ**))[١] .

فالأفعال (**بَنَى وَشَيَّدَ ، وَزَخْرَفَ وَنَجَّدَ ، وَادَّخَرَ وَاعْتَقَدَ**) على اختلاف معاني بعضها بعضاً ، إذ إنّ البناء ليس كالتشييد ، ففي التشييد إحكام البناء الذي يستلزم طول مدة بقائه ، وهي إشارة إلى رغبتهم بدوام البقاء ، ثم أعقبها بلفظ الزخرفة والتنجيد لتوكيد المعنى الذي يريد الإمام بيانه ، فكل تلك الأفعال بتعدد معانيها تشير إلى شيءٍ واحد ، وهو اختيار الدنيا والتعلق بها ، فهذا التكرار أعطى للفكرة عمقاً أكبر وأدقّ .

ونظيره أيضاً قوله (عليه‌السلام) رداً على حكاية معاوية حين هدده بالحرب : ((**وذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لي وَلأَصْحَابي عِنْدَكَ إِلاّ السَّيْفُ ...وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ ، شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ ، سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ ، مُتَسَرْبِلِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ، أَحبُّ اللِّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ ، وَقَدْ صَحِبَتْهُمْ ذُرِّيةٌ بدْرِيَّةٌ ، وَسُيُوفٌ هَاشِمِيةٌ**))[٢] .

---

[١] نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام)، ك (٣): ٤٨٤.

[٢] المصدر نفسه ، ك (٢٨) : ٥١٧.

إنّ مواقف الحرب تتطلب نمطاً من التعبير ذا وقعٍ على النفوس كوقع السيوف ؛ لذا نلحظ في جمل النص الحكائي والمتمثلة بـ (**شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ** ، **سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ** ، **مُتَسَرْبِلِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ)** ، قوة ترهب ، وسطوة تغلب ، فعلى الرغم من أنّ تلك الجمل كلّها تشير إلى معنى واحد وهو الشجاعة ، إلاّ إن صبّ ذلك المعنى في قوالب لفظية مختلفة ، له أثر في بيان قصدية النصّ ، فهذا التكرار المعنوي أعطى للمتلقي فكرة عن قوة الجيش وثبات عقيدته ، وعدم تهيبه القتل ، بل الموت عندهم طريق للقاء الله **جلّ وعلا** ، وهذا بحدّ ذاته كفيل بجعل المتلقي في حالة من الخوف والذعر .

٣_ الإيضاح بعد الإبهام :

والإبهام ضد الإيضاح يُقال:((أُبهِم عن الكلام ، وطريق مبهم : إذا كان خفياً لا يستبين))[١]، وهو قريب من المعنى الاصطلاحي إذ يُقْصَدُ به الإتيان بأمرٍ مجملٍ مبهمٍ ، ثم تفصيله أو توضيحه ، وفائدته أنّه يُرى فيه ((المعنى في صورتين مختلفتينِ، كما يكون له تمكّن في النفس وتشوّق ؛ لأنّ المعنى إذا ألقي على سبيل الإجمال تشوقت نفس السامع إلى معرفتِه على سبيل التفصيل))[٢] ، وما جاء منه في النصوص المحكيّة ، قوله (عليه السلام) ردّاً على حكاية بلغته عن قاضيه شُريح بأنّه اشترى داراً : ((**وَتَجْمَعُ هذِهِ الدَّارَ حُدُودٌ أَرْبَعَةٌ : اَلْحَدُّ الْأَوَّلُ يَنْتَهِي**

---

[١]) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (أبهم) :٥٦/١٢.

[٢]) الإيضاح ، القزويني :١٩٠/١.

إلى دَوَاعِي الْآفَاتِ ، وَالْحدُّ الثَّانِي يَنْتَهِي إلى دَوَاعِي الْمُصِيبَاتِ ، وَالْحدُّ الثَّالِثُ يَنْتَهِي إلى الهَوى المُرْدِي ، وَالْحدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إلى الشَّيْطَانِ المُغْوِي ، وَفِيهِ يُشْرَعُ بَابُ هذِهِ الدَّارِ))[١]

فهذا الإبهام الذي أحاط بلفظة **(حُدُودٌ)** جعلَها أكثرَ تمكناً في النفس وتشويقاً من قبل السامع لمعرفة المراد منها، وقد كنى **عليه السلام** عن الدنيا بالدار وجعل لها حدوداً أربعة((فإذا كانت الدنيا بأسرها كذلك فالدّار المبحوث عنها بما أنّها منها وواقع فيها يشّملُها الحكم ، فالدنيا وما فيها محفوفة بالآفات الأرضية والسماوية والمصائب والحوادث))[٢] ، وبيان حدود الدنيا بهذا الأسلوب هو مدعاة للتنفير عنها والزهد فيها ، وقد جعل الحدَّ الرابعَ ينتهي للشيطان ((لأنّه أسهل بالدخول إليها ، ودخول أتباعه وأوليائه من أهل الشيّطنةِ والضّلالِ))[٣]، فعرضَ **عليه السلام** الدنيا وأحوالها وما يجري عليها وحال المغترِّ بها بتسلسلٍ منطقيٍ وبدقةٍ متناهيةٍ وحكمةٍ بليغةٍ.

كذلك قوله **(عليه السلام)** ردّاً على حكاية الخوارج حين اتهموه بالضّلال :((**فإنْ أَبَيْتُمْ إلاّ أنْ تَزْعُمُوا أَنَّي أخْطَأتُ وَضَلَلْتُ فَلِمَ تُضَلِّلُون عَامَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وسلم ـ بِضَلَالي ... فَإِنَّما حُكِّمَ الْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ ، وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ ، وَإِحْيَاؤُهُ الاِجْتِماعُ عَلِيه ، وَإِمَاتَتُهُ الاِفْتِرَاقُ عنْهُ**))[٤].

---

[١] نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، ك (٣): ٤٨٤.

[٢] مفتاح السعادة ، محمد تقي النقوي : ٤٢٩/١٤. ظ: منهاج البراعة ، حبيب الله الخوئي:١٣٤/١٧.

[٣] شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ٢٢٩/١٤.

[٤] نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، م (١٢٧) : ٢٤٤_٢٤٦.

ففي النصّ المحكي وقع الإبهام في قوله **(لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ _ وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ)** ، ثمّ فسّر (عليه السلام) معنى الإحياء والإماتة بقوله **(الِاجْتِماعُ عَلِيه _ الِافْتِرَاقُ عنْهُ)** ، فالأخذ بأحكامه والعمل بها ، هي بمثابة إحياء لتعاليم القرآن ، كما أنّ تركها والابتعاد عنها هو بمثابة إماتة لتلك الإحكام والشرائع ، وهاتان المسألتان _ الإحياء والإماتة_ نسبهما الإمام إلى الحكمين ؛ لأنّهما كانا موكلينِ بمهمة فضِّ صراع الحرب بين الفئتين المتقاتلتين ، آخذين بحكم القرآن الكريم ، فعليه يكون عملهم بكتاب الله وإظهار حكمه باجتماعهم عليه ((مظهرين لمنفعتِه وفائدتِه كما يفعله موجد الحياة ، وفي تركِه والإعراضِ عنه سبباً لبطلانِ منفعته ، كما يفعله مميت الشيءِ ومبطل حياته))[١] ، فاللفظتان جاءتا مبهمتان وهذا الإبهام جعلهما مدار اهتمام المخاطب ، وتركيز رغبته إلى معرفة المعنى ، حتى إذا حصل المطلوب بانكشافه بما بعدهما، تمكّن في نفس المخاطب وكان له تأثيره الذي يُبتغى منه .

نظيره قوله (عليه السلام) ردّاً على حكاية بلغته من أحد عمّاله حين قسم فيء المسلمين على من اتخذه سيداً : ((**بَلَغَني عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلهكَ ، وَعَصيْتَ إِمَامَكَ: إِنَّكَ تَقْسِمُ فَيْءَ الْمُسْلِمِينَ الذِي حَازَتْهُ رِمَاحُهُمْ وَخُيُولُهمْ ، وَأُرِيقَتْ عَلَيهِ دِمَاؤُهُمْ ، فِيمَنْ اعَتَامَكَ مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ**))[٢] .

---

[١] شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٣/١٧٤.

[٢] نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، ك (٤٣) : ٥٥١.

إنّ مجيء لفظة (**أَمْرٌ**) بهذا الشكل من الإبهام جعلها ذات جرس يقرعُ السمع ، ويستوقف الفكر، وأيضاً إيحاء بعظيم فعلٍ ، مستجلب لسخط الله ، ومعصية الإمام ، ثمّ أوضح **عليه السلام** هذا الأمر العظيم بقوله (**أَنَّكَ تَقْسِمُ فَيْءَ الْمُسْلِمِينَ**) ، وبوقوع شبه الجملة (عليه) بين الفعل والفاعل في قوله (**وَأُرِيقَتْ عَلَيهِ دِمَاؤُهُمْ**) والعائدة على الفيء ، إنّما هو بيانٌ لأهميته في كونه ملك للمسلمين والمصدر الذي يُعتَمَدُ عليه لتصريف أمور حياتهم ، وليس له إيثار أحد به ، مهما بلغت مكانته ، وهذا مما كان ينكره على غيره من الخلفاء ، وهو بهذا يضع **عليه السلام** قاعدة مهمة من قواعد الحكم لأجل بناء دولة يسودها العدل ، وإنّ أي خروج عن هذه القاعدة هو خروج عن طاعة الإمام وبالنتيجة هو خروج عن طاعة الله .

٤ ـ ذكر الخاص بعد العام

هو إيراد اللفظ على جهةِ الخصوص بعد العام على الرغم من اشتماله عليه ودخوله في حكمه ، و يؤتى به لبيان فضل الخاص على العام كأنّه ليس من جنس ما ذُكِر [١] ، نظيره في الحكاية العلوية ، قوله (**عليه السلام**) ردّاً على حكاية معاوية حين فاضل بينه وبين الخلفاء : ((**وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الإسْلامِ فُلانٌ وَفُلانٌ ... أَنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ـوَلِكُلٍّ فَضْلٌ ـ حَتَّى إذا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ : سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ ، وَخَصَّهُ رَسُولُ اللهِ ـصَلَّى اللهُ عليه وَآلِه ـ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرةً عِنْدَ صَلَاتِه عَلَيه! أَوَ لَا تَرَى قَوْماً قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ـ وَلِكُلٍّ فَضْلٌ ـ حَتَّى إذا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ ، قِيل : الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَذُو**

---

[١]) ظ: الإيضاح ، القزويني :١/١٥٣.

الْجَنَاحَيْنِ))[١].

وهذا كلام عالٍ إذ جمع بين الإيجاز والإطناب معاً ، فـ (سيد الشهداء ، والطّيّار) هي في الأصل أخبار لمبتدأ محذوف تقديره (هو) ، وهو إيجازٌ بالحذف وردَ في طيات كلامٍ ردَّ به على معاوية حيثُ أبانَ فيه فضلَ أهل بيته، فذكرَ **عليه السلام** المهاجرين ، ثمَّ ذكرَ حمزة بن عبد المطلب وجعفر الطيار **(رضوان الله عليهما)** على جهة الخصوص علماً أنّهما داخلانِ في حكم المهاجرين ((لينبّه على أفضليةِ أهل بيته التي انفردوا بها على غيرهم في الحياة وبعد الممات، بعد أنْ قرر أنّ لكلٍّ من الصحابة فضل لتثبت أفضليتهم))[٢]، فالإشارة إلى جليل القدرِ وعظيم المنزلةِ وأجزلِ الثوابِ ، تطلب هذا النوع من الذكر .

مثله قوله **(عليه السلام)** ردّاً على حكاية من طلب بيعته ثمّ نكث بها : ((**تَقُولُونَ: الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ ! قَبَضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُمُوها ، وَنَازَعْتُكُمْ يَدِي فَجَاذَبْتُمُوها . اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَاني ، وَنَكَثَا بَيْعَتِي وَأَلَّبَا النَّاسَ عَلَيَّ . فَاحْلُلْ مَا عَقَدا وَلَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا**))[٣] .

وكما هو واضح أنّ الحديث عن البيعة ، والخطاب كان لعامة الناس لقوله (تقولون _ بسطتموها_ نازعتكم) وقد أوضح قبلاً حال الناس في بيعته وإقبالهم عليه ، ثمّ انتقل بالحديث على جهة الخصوص لمن نكث بيعته وهما طلحة والزبير، وقد خصهما بالذكر لعظيم فعلهما

---

[١] نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، ك (٢٨) : ٥١٣_٥١٤.

[٢] شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٥٢٣/٤.

[٣] نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، ك (١٣٧): ٢٥٩.

وكبيرِ ذنبهما من نكثِ بيعة إمامهما ، ولم يتوقف الأمر على نكثِ البيعةِ وحسب وإنّما أثاروا الناسَ عليه وسعوا لقتالِه من دون وجهِ حقٍ ، ويأتي الدعاء ، الذي هو شكاية لله عزّوجلّ لبيانِ جليل ما صدر منهما ، فكان لهذا الخصوص بعد العموم الشأن في إظهار ذلك .

٥_ التـــذيـــيل :

ويُقْصَدُ به ((إعادة الألفاظِ المترادفةِ على المعنى بعينه حتى يظهرُ لمن لم يفهمْهُ ، ويتوكد عندَ من فهمه))[١]، على هذا فهو أمّا توكيد لمنطوق الجملة أو لمفهومها ، وتلك الجملة على قسمين : ((قسمٌ لا يزيدُ على المعنى الأول ، وإنّما يؤتى به للتوكيد والتحقيق ، وقسمٌ يُخرجهُ المتكلمُ مخرج المثلِ السائرِ ليحقق به ما قبله))[٢]، وقد ورد في ثلاث مواضع ، ومن أمثلته في الحكاية العلوية ، قوله (عليه السلام) رداً على حكاية بلغته عن محمد بن أبي بكر : ((**فَقَدْ بَلَغَتْنِي مَوْجِدتُك مِنْ تَسْرِيحِ الْأَشْتَرِ إلى عَمَلِكَ ...إنَّ الرَّجُلَ الَّذِي كُنْتُ وَلَّيْتُهُ أَمْرَ مِصْرَ كانَ رَجُلاً لَنَا نَاصِحاً، وَعَلَى عَدُوِّنَا شَدِيداً نَاقِماً ، فَرَحِمَهُ اللهُ ! فَلَقَدِ اسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ ، وَلَاَقى حَمَامَهُ ، وَنَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ ؛ أَوَلَاهُ اللهُ رِضْوَانَهُ ، وَضَاعَفَ الثَّوابَ لَهُ**))[٣].

وقد وردَ في النصّ المحكي تذييلان ، **الأول** : فاستكمل أيامه ولاقى حمامه ، إذ تم المعنى قبلهما ، فجملة (رحمه الله) _والحديث عن مالك بن الاشتر (رضوان الله عليه) _ تُنبئ بموته ، فجاءت الجملتان توكيداً لمعنى المنطوق الأول ، **ثانياً**: جملة(ونحن عنه راضون)، جاءَتْ بعد

---

[١]) كتاب الصناعتين ، أبو هلال العسكري: ٣٧٣/١.

[٢]) تحرير التحبير ، ابن أبي الإصبع العدواني : ٣٨٧/١.

[٣]) نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، ك (٣٤) : ٥٤١_٥٤٢.

بيانِ سبب رضاه عنه (كانَ لإمامه ناصحاً وعلى عدّوه ناقماً)، ثمَّ أردفها بجملة (أولاه الله رضوانه وضاعف الثواب له) وقد ورد في الحديث: ((رضى الله رضانا أهل البيت))[١]، فرضى الله ورضاهم كلاهما يصبّان في الآخر، وكلاهما دليلٌ ونتيجةٌ للآخر، فإذا كان الإمام راضياً عن مالك فهذا يعني أنّه حائزٌ رضا الله ، ومن رضيَ اللهُ عنه أكرم مقامه وأجزل ثوابه ، وإنّما احتِيج لهذه الجمل هنا تنبيهاً لمحمدٍ حتى ((لا يُظهر به شماتته))[٢] ، ولحمله على الشدّة على العدو كما كان الاشتر

كذلك قوله (عليه‌السلام) رداً على حكاية معاوية حين اتهمه بقتل طلحة والزبير والتشريد بالسيدة عائشة : ((**وَذَكَرْتَ أَنِّي قَتَلْتُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ ، وَشَرَّدْتُ بِعَائِشَةَ ، وَنَزَلْتُ بَيْنَ الْمِصْرَيْنِ ... فَإِنَّكَ _ واللهِ مَا عَلِمْتُ _ الأَغْلَفُ الْقَلْبِ ، الْمُقَارِبُ الْعَقْلِ ، وَالْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ : إِنَّكَ رَقِيتَ سُلَّماً أَطْلَعَكَ مَطْلَعَ سُوءٍ عَلَيْكَ لَا لَكَ ، لأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالَّتِكَ ، وَرَعَيْتَ غَيْرَ سَائِمَتِكَ**[٣] ، **وَطَلَبْتَ أَمْراً لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلَا فِي مَعْدِنِه ، فَمَا أَبْعَدَ قَوْلَكَ مَنْ فِعْلِكَ**))[٤] .

نلحظ في الجمل التي جاءت متتالية في النصِّ الحكائي (**رَقِيتَ سُلَّماً أَطْلَعَكَ مَطْلَعَ سُوءٍ ، نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالَّتِكَ ، رَعَيْتَ غَيْرَ سَائِمَتِكَ**) ما يؤكد بعد معاوية عمّا يطلبه ، لاسيّما أنّ الجملتين الأخيرتين هما مثلان يضربان لمن يطلب حقاً ليس له ، وهما في الأصل مؤكدان

---

[١] بحار الأنوار، العلامة المجلسي : ٣٦٧/٤٤.

[٢] شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٩٥/٥.

[٣] الضالة : ما ضلَّ من البهائم ، والسائمة :الإبل الرَّاعية ، لسان العرب : ١١/ ٣٩٢ (مادة ضلّ)، وظ: المصدر نفسه : ١٢/ ٣١١(مادة سام) .

[٤] نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، ك (٦٤) : ٦٠٧_ ٦٠٨.

لمعنى الجملة التي سبقتهما ، ثمّ جاء التذييل الواقع في قوله **عليه السلام (وَطَلَبْتَ أَمْراً لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلَا فِي مَعْدِنِه)** زيادة توكيد وبيان ، فطلبه الخلافة التي اتخذ من مقتل طلحة والزبير ، ذريعة لنيلها ، هو أمر بعيد كلَّ البعد عنه ؛ وسبب بعده هو عدم أهليّته للخلافة ؛ كونه من الطلقاء ، فمن كان طليقا لا يجوز له الحكم ؛ لأنّه مملوكاً ، والمملوك لا يكون مالكاً ، والمقود لا يكون قائداً .

٦_ التكميــل أو (الاحـتراس)

وهو ((أنْ يؤتى به في كلامٍ يوهم خلاف المقصود بما يدفعه))[١] ؛ أي يدفع ذلك التوهم ، وقد يقع في وسط الكلام أو في آخره ، ومثاله في الحكاية ، قوله (عليه السلام) ردّاً على حكاية معاوية حين ذكر له إجباره على البيعة :((**وَقُلْتَ: إِنِّي كُنْتُ أُقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتَّى أُبَايِعَ ، وَلَعَمْرُ الله لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ ، وَأَنْ تَفْضَحَ .فَافْتَضَحْتَ! وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً مَا لَمْ يَكُنْ شاكّاً فِي دِينِهِ ، وَلَا مُرْتَاباً بِيَقِينِه!**))[٢].

فكلمة **(مَظْلُوماً)** قد توحي بالظلم المحمول على الضعف المستجلب للإذلال، فدفع هذا التوهم بما بعده وهو قوله **(مَا لَمْ يَكُنْ شاكّاً فِي دِينِهِ ...)** فلا ((يُعدُّ نقصاً على المسلم أن يكون مظلوماً إذا كان ثابتاً على اليقين ، ولا مرتاباً في دين ، فلا يلحقه نقصان ظلم غيره له))[٣] فإذا

---

[١]) الإيضاح ، القزويني: ١٩٦.

[٢]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، ك (٢٨): ٥١٥_ ٥١٦.

[٣]) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني: ٥٢٨/٤.

أُجبرَ على البيعة فليس هذا الإجبار مدعاة للذلِّ ، وبيّنَ **عليه السلام** أن ذلك مدحٌ له لا ذمَ ، وهو بعد دالٌّ على قصور معاوية على عدمِ تفريقه بين ما هو مدح وما هو ذمٌّ.

كذلك قوله (عليه السلام) ردّاً على حكاية قبوله التحكيم :((**أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ حِيلَةً وَغِيلَةً وَمَكْراً وَخَدِيعَةً ،إِخْوانُنَا وَأَهْلُ دَعْوَتِنا، أَسْتَقَالُونا وَاسْتَرَاحُوا إِلى كِتَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ ؟... وَلَكِنَّا إِنّما أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي الإِسْلَامِ عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنِ الزَّيْغِ وَالِاعْوِجَاجِ وَالشُّبْهَةِ وَالتَّأْوِيلِ. فَإِذا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ يَلُمُّ اللهُ بِهَا شَعْثَنَا، وَنَتَدَانَى بِهَا إِلى البَقِيَّةِ فِيما بَيْنَنَا ، رَغِبْنَا فِيها ، وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا .**))[١].

فلو اكتفى بقولِ : نقاتل إخواننا في الإسلام ، لتوهم خلاف المقصود لأن المعروف والقار في الدين أنّ قتالَ المسلمِ للمسلمِ حرامٌ ، ولكن حين جاء بالسبب وهو (الزيغ والشبهة والتأويل) نفى أنْ يكونَ القتالَ لغيرِ تلك الأسباب، فـ ((باتفاق المذاهب أنّه إذا اقتتلت طائفتانِ وأصرت الطائفةُ الباغيةُ على موقفها من الحرب ، وجبَ قتالها التزاماً بأمر الله تعالى:﴿ **فَقَاتِلُوا الَّتي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللهِ** ﴾[٢] ، وإن كان الإصرار لشبهة دخلت عليهم فهذا لا يخرجهم عن الإسلام ؛ لذلك عبّر عن أهل الشّام بأنّهم (إخواننا)، وإذا لم يكن لشبهة وإنّما إنكار للحقِّ فهم لا ريبَ كفار))[٣]، لذلك يقول : إذا وجدنا وسيلةً نتقارب بها ونلمّ بها شعثنا تمسكنا بها وتركنا ما

---

[١]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، م (١٢١) : ٢٣٧_ ٢٣٨.

[٢]) سورة الحجرات : آية : ٩ .

[٣]) في ظلال نهج البلاغة ، محمد جواد مغنية : ٣/٢٥_٢٦.

سواها ، الحرب إذاً ليست غايةً بذاتِها، وإنّما الحرب والسلم عنده بحسب ما تقتضيه ضروريات الدين .

٧_ الإيـــــغـال

أصل الكلمة من ((أوغل في الأرض : ذهب وأبعد))[١]، وفي الاصطلاح هو ((أنْ يستوفي معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه ؛ ثمَّ يأتي بالمقطع فيزيد معنى آخر يزيد به وضوحاً وشرحاً وتوكيداً وحسنا))[٢]، و يُعرّفُ أيضا بأنّه ((ختم البيت بما يُفيدُ نُكتةً ، يتمُّ المعنى بدونها))[٣]، ومثاله في الحكاية العلوية ، في قوله (عليه السلام) حكاية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم : ((**لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إلى ضِلِّيلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وَفَحَصَ بِرَايَاتِه فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ، فإذا فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ ، وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ ، وَثَقُلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطأَتُهُ ... فَإذا أَيْنَعَ زَرْعُهُ وَقَامَ عَلَى يَنْعِهِ، وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ ، وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ ، عُقِدَتْ رَايَاتُ الْفِتَنِ الْمُعْضِلَةِ ، وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيلِ الْمُظْلِم، وَالْبَحْرِ الْمُلْتَطِمِ.هذا وَكَمْ يَخْرِقُ الْكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ ، وَعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُّ الْقُرونُ بِالْقُرُونِ وَيُحْصَدُ الْقَائِمُ ، وَيُحْطَمُ الْمَحْصُودُ!**))[٤].

جاء وصف الإمام عليه السلام لما سيصيب الكوفة من الفتن وصفاً دقيقاً ، له أثره على المتلقي ، فكلُّ عبارة تعكس قسوة وشدة الفتنة ، بعد أن وصف صاحبها ، فالمعاني التي أراد

---

[١]) لسان العرب، ابن منظور، مادة (وغل) : ٧٣٢/١١.

[٢]) كتاب الصناعتين ، أبو هلال العسكري : ٣٨٠/١.

[٣]) التلخيص في علوم البلاغة ، القزويني: ٢٢٥_٢٢٦.

[٤]) نهج البلاغة ، ، الإمام علي (عليه السلام) ، ك (١٠٠) : ١٩٣.

الإمام بيانها بلغت تمامها في قوله : **(هذا وَكَمْ يَخْرِقُ الْكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ)** ، إلاّ إنّه جاء بقوله **(تَلْتَفُّ الْقُرونُ بالْقُرُونِ وَيُحْصَدُ الْقَائِمُ ، وَيُحْطَمُ الْمَحْصُودُ)** الحامل للمضمون نفسه الوارد في الجمل السابقة له ، من باب التوكيد لتلك المعاني على نحو المبالغة .

كذلك قوله (عليه السلام) رداً على من جاءه بهدية : ((**فَقَالَ : لاَ ذَا وَلاَ ذَاك ، وَلَكِنَّهَا هَدِيَّةٌ . فَقُلْتُ: هَبِلَتْكَ الْهَبُولُ ! ... وَاللهِ لَو أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلاكِهَا ، عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ ، وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا . مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى ، وَلَذَّةٍ لاَ تَبْقَى**))[١] .

يعكس النصّ المحكي صورة مشرقة لعدل عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام ، وتبّرئه من الظلم ، كما يصور زهده عليه السلام بالدنيا ، وصغرها في عينه حتى جعلها أحقر وأقلّ قدراً من ورقة في فم جرادة ، فمعاني (العدل ، والزهد ، والنفور من الظلم) يحكيها النصُّ العلوي بشكل واضح وصريح ، إلّا إنّه عليه السلام أعقبها بقوله : **(مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى ، وَلَذَّةٍ لاَ تَبْقَى)** ، و((النعيم والنعمة كلها بمعنى المسرة والدّعة والمال والرفاهية))[٢] و((اللذة : هو ما يستلذ به من مأكل ومشرب))[٣] ، واللذّة هي من مظاهر النعيم ، وصورة من صوره ، فالإتيان بها بعد بيان معاني العدل والزهد ، هو زيادة بيانٍ وتوكيد .

---

[١]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، م (٢٢٣) : ٤٦٢.

[٢]) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (نعم) : ٥٧٦/١٢ .

[٣]) المصدر نفسه ، مادة (لذَّ) : ٢٤٦/١٥.

٨_ ذكر العــام بعد الخاص

هو أن يؤتى بلفظٍ يفيد العموم ويكون داخل في عمومه ما ذُكر قبله ، وذكرَ الزركشي (ت٧٩٤هـ) : ((أنّ هذا النوعَ أنكره بعضُ الناسِ وهو غير صحيح _واستدل عليه_ بقوله تعالى ﴿ **إنّ صَلاتِي ونُسُكِي** ﴾[١]، والنسك العبادة وهو أعمُّ من الصلاة))[٢] ، وقد جاء مرة واحدة في الحكاية العلوية ، في قوله (عليه‌السلام) ردّاً على حكاية بلغته عن دخول بسر اليمن ((**أُنْبِئْتُ بُسْراً قَدِ اطَّلَعَ الْيَمَنَ ، وَإِنِّي وَاللهِ لَأَظُنُّ أَنَّ هؤُلاءِ الْقَوْمَ سَيُدَالُونَ مِنْكُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ ، وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحقِّ ، وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ ، وَبِأَدَائِهِم الْأَمَانَةَ إِلى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ ، وَبِصَلاحِهِمْ فِي بِلادِهِمْ وَفَسَادِكُم..**))[٣] .

ويدالون عليكم ؛ أي تكون الغَلَبة والدولة لهم بدلكم ، وقد أوضح الإمام الأسباب الموجبة لغلبتهم وهي : (**اجْتِمَاعِهِمْ ، طَاعَتِهِمْ ، وَبِأَدَائِهِم الْأَمَانَةَ ، وَبِصَلاحِهِمْ فِي بِلادِهِمْ**) ، فهذه الأسباب متى ما توفرت تحققت القوة الموجبة للنصر، وهذا المعنى أشار إليه عليه‌السلام في أكثر من موضع في خطبه ونبَّه عن تخاذلهم وتفرقهم عنه ، ويلحظُ أنّه عليه‌السلام بدأ بذكرِ (بسر) على الرغم من أنّه داخل في عموم القوم لما عُرِفَ به من قسوةٍ وغلظةٍ وسفكٍ للدماءِ ليكون اشدَّ وقعاً وتأثراً في نفوسهم ، ثمَّ جاء بلفظةِ (القوم) ليفيد العموم وتقرير أنّ هؤلاء يسيرون على نهجٍ واحدٍ، فهم أهل دنيا مقبلون عليها تاركون للآخرة مدبرون عنها.

---

[١]) سورة الإنعام : آية ١٦٢.

[٢]) البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي : ٤٧١/٢.

[٣]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، خ (٢٥) : ٨١_ ٨٢.

٩_ التـوشيـــــع

وهو((أن يؤتى في آخر الكلام بمثنى ويُفسرُ بمفردين))[١]، وهو يقرب من الإيضاح بعد الإبهام ؛ لأنّ الاسم المثنى يكون مبهماً ثم يوضح بالاسمين الآخرين، ، ولم يردْ هذا النوعِ من الإطنابِ ألاّ مرة واحدة في الحكاية المفصّلةِ في قوله (عليه السلام) رداً على الخوارج حين اتهموه بالضلال : ((**فإنْ أَبَيْتُمْ إلاّ أنْ تَزْعُمُوا أَنَّي أخْطَأتُ وَضَلَلْتُ، فَلِمَ تُضَلِّلُونَ عَامَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ _صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وآله وسلم _ ، بِضَلالي ، وَتَأخذُونَهُمْ بِخَطَئِي ، وَتُكَفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبي... وَسَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ : مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إلَى غَيرِ الْحقِّ ، وّمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضٌ إلَى غَيرِ الْحقِّ ، وَخَيْرُ النَّاسِ فِيَّ حَالاً النَّمَطُ الأَوْسَطُ فَالْزَمُوهُ**))[٢].

فلفظة صنفان مثناة ومبهمة ، قد تذهبُ بالمخاطب إلى التفكير بماهيّة الصنفين ؛ لذا أعقبه بتفسيرهما وهما : محبٌّ مفرط ، لفرط حبه نسبَ الخالقيّة إليه ، ومبغض مفرط أخرجه بغضه عن الحق [٣] ، ولفظة (محبٌ) تكون لأولَ وهلةٍ صادمة ، فكيف لمحب له عليه السلام أنْ يهلكَ ، وما إن قال(يذهب به الحب إلى غير الحقَّ) حتى تتضحَ وتتكشف الصورة لدى المخاطب وهذا الانتقال من التعميم إلى التخصيص ؛ أي تخصيص الصنفين بالمحب والمبغض وجمع النقيضين تحت عنوانٍ واحدٍ وهو الهلاك ، له أثره في شدِّ المخاطب وحمله على التوجه الذهني بشكل لافت للانتباه .

---

[١] حسن الصياغة في فنون البلاغة ، الأستاذ هارون عبد الرزاق : ٢٥.

[٢] نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، م (١٢٧) : ٢٤٤_ ٢٤٥.

[٣] ظ : مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة ، محمد تقي النقوي: ٤٦٧/٩_٤٦٨.

ثانيا/ بناء الجملة الطويلة

الجمل الطويلة بناء تركيبي يمتازُ بمساحةٍ واسعةٍ تسمح باستيعاب الكثير من المعاني ((لأنّها تكتنف أكثر من أسلوب نحوي في بنائها))[١]، لذا تُعدُّ وسيلة مهمة من وسائل بناء الحكاية المفصّلة ، وقد تجلّت بمظاهر متعددةٍ منها :

١ـ أسلـوب الاستفهـام : والاستفهام في أصله المعجمي مشتق من الثلاثي ((فَهم ، وأفهمه الأمر: جعله يفهمه، واستفهمه : سأله أنْ يفْهَّمه))[٢]، أمّا في الاصطلاح فلا يبعد عن معناه المعجمي، فهو((طلب العلم بالشيء لم يكن معلوماً))[٣] ؛ أي فهمه و الفهم ((هو صورة ذهنية تتعلق أحياناً بمفرد ، شخص أو شيء أو غيرهما، وتتعلق أحيانا بنسبة أو علم من الإحكام ، سواء كانتْ النسبة قائمة على يقين أم على ظن أم على شك))[٤]، وعلى الرغم من أنّ هذا الأسلوب يختزل معاني عدة عن طريق أدواته التي تختلف في معانيها وهذا الاختلاف القائم على قدرته على التعبير عن أكثر من معنى ، هو دليلٌ على ثراء أسلوب الاستفهام واستيعابه للمعاني[٥] ، ممّا يعني أنّه من وسائل بناء الجملة القصيرة ، إلا إنّ جملة الحكاية في نهج البلاغة عند الإمام قد تطول ، وذلك عن طريق توظيف أسلوب الاستفهام الذي يخرج عن معناه

---

[١]) الأثر القرآني في نهج البلاغة ، د. عباس علي حسين الفحام : ١٢٠.

[٢]) العين ، الفراهيدي : ٤٥٩/١٢.

[٣]) الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون: ١٨.

[٤]) في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي :٢٦٤.

[٥]) ظ : أسلوب الاستفهام وتأثيره في شعر سميح القاسم المقاوم ، علي خضري ومجموعة ، مجلة بحوث في اللغة العربية ، عدد ١٨، ١٤٣٩ ، ص: ٢٤ .

الحقيقي إلى المجازي ، كما جاء في قوله (عليه‌السلام) ردّاً على مَن زعم أنّه يهدي لساعات الخير والشر : ((**أَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلى الْسَّاعَةِ الَّتي مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ ؟ وَتُخَوِّفُ مَنْ الْسَّاعَةِ الَّتي مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الضُّرُّ ؟ فَمَن صَدَّقَك فَقَدْ كَذَّبَ بالْقُرآنِ**))[١] .

جاء الاستفهام هنا بالأداة (الهمزة) وهي أكثر أدوات الاستفهام مجيئاً ، وتعدُّ باب الاستفهام وفي النصّ المحكي وسيلتان أنكر بهما الإمام زعم من يدعي علمه بساعات الخير الشّر، **الأولى** : ما نلمسه في أسلوب الاستفهام الإنكاري في **(أَتَزْعُمُ)** و **(تُخَوِّفُ)** التي حُذفت منه الأداة بدلالة الأولى ، و**الثانية** : الشرط في قوله **(فَمَن صَدَّقَك فَقَدْ كَذَّبَ بالْقُرآنِ)** ، فالتصديق يفضي إلى تكذيب القرآن الذي يقرُّ بأنّ علم الغيب لله جلَّ شأنه ، فالشرط هنا كانت له دلالة داعمة للاستفهام الذي سمح بمد الكلام زيادة للتوكيد.

كذلك قوله عليه‌السلام ردّاً على حكاية من جاءه بهدية : ((**فَقَالَ: لَا ذَا وَلا ذَاكَ ، وَلَكِنَّها هَدَّيةٌ . فَقُلْتُ : هَبِلَتْكَ الْهَبُول! أَعَنْ دِينِ اللهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي؟ أَمُخْتَبِطٌ ،أَمْ ذُو جِنَّةٍ، أَمْ تَهْجُرُ؟**))[٢] .

نلحظ أنّ أداة الاستفهام عملت على بسط الكلام وتفصيله على الرغم من تكرارها ، فقد أبان الإمام عن طريق الاستفهام الخارج للتعجب حال الإنسان الذي يتصور بأنّه قادر على استمالة الإمام بالهدية ، فأوضح أنّ ذلك لا تصدر إلاّ عن شخص مختبط ، أو ذي جِنّة ، أو يهجر ، فالشخص العاقل صاحب الروية لا يقدم على مثلها ، فـ ((لم يكنْ في وهمِ عاقل قبول

---

[١]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، م(٧٨) : ١٣١.

[٢]) المصدر نفسه ، م (٢٢٣) : ٤٦٢.

عليّ عليه‌السلام لها خصوصا زمان خلافته))[١] ، فقبول الهدية لغرضٍ ما ، يعدُّه الإمام نقصاً في الدين ؛ لذلك بدأ أول ما بدأ به ؛ لأجل إيصال رسالة للمتلقي بأنّ الدين القاعدة التي يتصرف على أساسها .

أمّا (هل) فقد ورد الاستفهام بها مرة واحدةً في الحكاية هو قوله (عليه‌السلام) رداً على حكاية قريش حين ادعت أنّ لا علم له بالحرب : ((**حتَّى قَالَتْ قُرَيْشٌ : إِنَّ ابن أبي طَالبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ ، وَلكِنْ لا عِلْمَ لَهُ بالْحَرْبِ. لله أبُوهُمْ ! وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَها مِرَاساً ، وَأَقْدَمُ فِيهَا مُقَامَاً مِنِّي لَقَدْ نَهَضْتُ فِيها وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ وهأَنَذا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى السَّتِّينَ وَلَكِنْ لا رَأي لِمَنْ لا يُطَاعُ**))[٢].

من الواضح أنّ جواب الإمام على هذه الحكاية جاء مفصلاً لرأي القوم الذين اتهموه أن لا علم له بالحرب ، وبنفيهم علمه بالحرب نفوا علمه بالسياسة ، إذ إنّ الحرب هي أحدى شؤونها، وقد استطاع الإمام أن يرد دعواهم باستعماله أسلوب الاستفهام الذي خرج للإنكار، إذ ليس هناك بالعرب من يدانيه شجاعة ، فقد عركته الحروب وعاصرته الجراح منذ صغره ، وهذا ما لا يخفى على أحد منهم ، وقد طالت الجملة لظروف التوضيح وردّ التهمة .

وكذا قوله (عليه‌السلام) ردّاً على حكاية من يدّعون قتال العدو : ((**تَقُولُونَ في الْمَجَالِسِ : كَيْتَ وَكَيْتَ ... أيَّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُون ، وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ ؟ ... مَا بالُكُمْ ؟ مَا**

---

[١] شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٤/١٠٠.

[٢] نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، خ (٢٧) : ٨٧.

دَوَاؤُكُمْ ؟ مَا طِبُّكُمْ ؟...))[١].

ففي النصِّ استفهامان كلاهما جاء على سبيل الإنكار والتقريع ، **الأول** : (أيّ) هي مما يستفهم بها عن العاقل وغيره ، فقد ((توجه بسؤالهم عن الدار التي ينبغي حمايتها بعد دار الإسلام.. فهي أحقُّ بالدفاع لأنّها موطنهم الأول ... ثم اتبع ذلك بسؤال آخر وهو مع أي إمام بعدي تقاتلون))[٢]، وفيه إشارة إلى أفضليته وكونه أحق بالإتباع ، **الثّاني:** جاء في آخر كلامه استفهام بالأداة (ما) ، فقد أشار((على تخاذلهم والتصامم عن ندائه ، ثم عن دوائهم الصالح للمرض الذي هم فيه ثم عن كيفية علاجهم))[٣] ، وتكرار الاستفهام أعطى فرصةً لبسط المعاني وعرضها بما يجعل المخاطب واقفاً على حال تخاذله وضعفه .

نظيره قوله **عليه السلام** ردّاً على حكاية معاوية حين هدده بالحرب :((**وَذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلأَصْحَابي عِنْدَكَ إلاّ السَّيْفُ ... مَتى أَلْفَيْتَ بَني عَبْدِ الْمُطَّلِب عَنِ الأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ ، وَبالسَّيفِ مُخَوَّفِينَ ... فسَيَطلُبُكَ مَن تَطْلُبُ ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ ما تَسْتَبْعِدُ**))[٤] .

إنّ مجيء الاستفهام بالأداة (متى) يحمل معنى الشمولية لكل وقتٍ وزمنٍ ، وقد خرج الاستفهام لمعنى التعجب فتهديد معاوية للإمام هو أمر يثير العجب ؛ لأنّه يعرف مواقف بني

---

[١]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، م (٥) : ٦٢.

[٢]) شرح نهج البلاغة : ابن ميثم البحراني: ٢/٧٥

[٣]) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٢/٧٦.

[٤]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) : ك (٢٨) : ٥١٧.

عبد المطلب في الحروب مسبقاً ، وقد يكون الاستفهام خارجاً لمعنى الإنكار؛ لأن بني عبد المطلب لم يكونوا يوماً متأخرين عن عدوهم ومنهزمين منه .

٢_ أسلوب الشرط

من غريب ما ورد من الجملة الشرطية في الحكاية ، إنّها تارةً تكون وسيلةً لضغطِ الحكاية وإيجازها وهذا ما أشرنا إليه في المبحث الأول ، وتارةُ تكون وسيلةً لبسط المعاني وعرضها بشكلٍ مفصلٍ لما تمنحه للمتكلمِ من حريةٍ كبيرةٍ ، وهذا التنويع في استعمال الإمام للجملة الشرطية في النوعين من الحكاية ما هو إلّا دليلٌ على قدرة فذة توحي بعمق الوعي الفكري والديني والثقافي والاستيعاب الكامل لمراحل العصر التي كان يعيشها ، ودقائق الأحداث التي كانت تجري فيه وما يتطلبه مقام الحال، فكان التنوع في تلك العناصر اللغوية طوع أنامله يصرفها كيف يشاء.

فمثاله في الحكاية المفصّلة قوله (عليه السلام) ردّاً على حكاية نقلها عن فرعون : ((**أَلا تَعْجَبُون مِنْ هذين يَشْرِطَانِ لي دَوَامَ الْعزِّ ، وَبَقَاءَ الْمُلْكِ ؛ وَهُمَا بِما تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ... وَلَوْ أَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذّهْبَانِ ، وَمَعَادِنَ العِقْيَانِ، وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّماءِ وَوُحُوشَ الْأَرَضِينَ لَفَعَلَ ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ البَلاءُ ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ ، وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ ، وَلَمَا وَجَبَ لِلقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلِينَ ، وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤمِنُونَ ثَوابَ الْمُحْسِنِينَ ، وَلَا لَزَمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيها**))[1] .

---

[1]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، خ (١٩٢) : ٣٨٩_ ٣٩٠.

ففصل بين فعل الشرط وجوابه (أراد _ لفعل) بعدةِ جمل معطوفة على بعضها بعضاً، أتاحت المجال لبسط المعنى بشكل مفصل ودقيق ، فإعطاء الأنبياء تلك النعم المذكورة إنّما هو مقرون بإرادة الله ، ولو فعل ذلك ؛ أي لو أعطاهم لسقط البلاء ، فجاء جواب (لو) الثانية مكونٍ من سلسلةٍ من الجملِ الفعليةِ المتعاطفة بينها ، أسهمت في بيان المراد من كلامه ، فالدنيا دار ابتلاء وهي ودار الآخرة تقفان على طرفي نقيض ، فعلى الأنبياء بوصفهم رسلاً من السماء للخلق أن يكونوا أسوة للعباد في الإعراض عن الدنيا وزينتها، وترويض النفس بالعبادة لقبول الفيوضات الآلهية والوصول للكمال الروحي والنفسي ، لذا يُشير إلى أنّ اللهَ جعلَهم أهلَ قوةٍ في عزمٍ وقناعة تملئ القلب وأن ظهر عليهم الضعف، وبدت ملامح الخصاصة .

وفي الحكاية نفسها يقول (عليه‌السلام): ((**وَلَو كانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهلَ قُوَّةٍ لا تُرَامُ ، وَعِزَّةٍ لا تُضَامُ ، وَمُلْكٍ تُمَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجالِ ، وَتُشَدُّ إلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ ؛ لَكانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الإعْتِبَارِ ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ مِنَ الإسْتِكْبَارِ، وَلآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ ، أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ ، فَكانَتِ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً . وَلكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَرَادّ أَنْ يَكُونَ الْاتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ وَالتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ وَالْخشُوعُ لِوَجْهِهِ وَالِاسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ والاسْتِسْلامُ لِطَاعَتِهِ أُمُوراً لَهُ خَاصَّةً لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةً . وَكُلَّمَا كانَتِ البَلْوى وَالِاخْتِبَارُ أَعْظَمَ كانَتِ الْمَثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ.**))[1].

---

[1]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) خ (١٩٢) : ٣٩٠_ ٣٩١.

فنلحظ أنَّ هذا الامتداد الجملي المتنوع في تركيبه ، المنسبك مع بعضه بعضاً ساعد على عرضِ كثيرٍ من المعاني التي تمثل مرتكزاتٍ مسائل مهمة في عقيدةِ المسلمِ ، فلو جمعَ اللهُ لأنبيائه إلى جانب النبوة القوة والملك ، لكانت رغبة الناس إليهم إمّا طمعاً لما في أيديهم ، أو رهبة من سلطانِهم ، ولن تكون أعمالهم خالصة لله عزّوجلّ ، فاللهَ يريد أن يكون تصديقهم لأنبيائه وعملهم بكتابه وخضوعهم وخشوعهم خالصاً له وحده ، و كلما كان اختبار العبد الدنيوي عظيماً كلما كان الثواب جزيلاً .

ومثله قوله (عليه السلام) حكاية عن النبيّ : ((**لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إلى ضِلِّيلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ ... فَإِذا فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ ، وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ وَثَقُلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطْأَتُهُ ، وَعَضَّتْ الفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْيابِها ، وَمَاجَتِ الْحرْبُ بِأَمْواجِها ، وَبَدا مِنْ الْأَيَّامِ كُلُوحُهَا ، وَمِنْ اللَّيالِي كُدُوحُهَا ، فَإِذا أَيْنَعَ زَرْعُهُ وَقَامَ عَلَى يَنْعِهِ، وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ، وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ ،عُقِدَتْ رَايَاتُ الْفِتَنِ الْمُعْضِلَةِ ، وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيلِ الْمُظْلِمِ ، وَالْبَحْرِ الْمُلْتَطِمِ**))[1].

وهذه من الأمور المستقبلية التي تكلّم بها الإمام ، والتي تُخبرُ عمّا سيجري بالكوفة ، لذا نلحظ أنّ المسافة القولية ممتدة مابين فعل الشرط وجوابه (**فَغَرَتْ _ عُقِدَتْ**) ، بجمل فعلية متتابعة متعاطفة ، ولطول الفصل أعاد عليه السلام أداة الشرط **(فَإِذا)** في قوله **(فَإِذا أَيْنَعَ زَرْعُهُ)** حتى لا يجيءُ الكلام ناقصا أو مبتوراً ليس عليه جمال .

---

[1]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، خ (١٠٠) : ١٩٣.

٢_ أسلوب النداء

يُشكّل النّداء عنصراً مهماً إذ يسهمُ في استطالة الكلام ومده ((إذ يُؤلف المنادى مع أداة النّداء وسيلة لغوية للتنبيه لما سيأتي بعد ذلك من أمرٍ أو نهيٍ أو دعاءٍ أو استفهامٍ أو غيرها من أساليب الطلب))[١]، ومثله قوله (عليه‌السلام) حكاية عن المشركين :((**يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّكَ ادَّعَيْتَ عَظِيماً عَظِيماً لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ ،عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ ، وَأَنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ** .))[٢]، هذا البناء الجملي المتباين ما بين نداءٍ(**يا محمد)** ونفي (**لم يدّعه**) ، وشرط (**إنْ أنت أجبتنا_ وأن لم تفعل_ علمْنا)**، أتاح فرصة لكثيرٍ من المعاني ، فالنصُّ يصورُ حال المشركينَ وموقفَهم من النبيِّ والتشكيك بصدقه ، لِما دعاهم لمطالبته بدليلٍ على صدق تلك الدعوى ، وقد جاءوا بلفظ (عظيما) كناية عن النبوة والرسالة ، كما أنّ (أمراً) كناية عن المعجزة .

وقوله (عليه‌السلام) ردّاً على حكاية بلغته عن غزو جيش معاوية الأنبار: ((**وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرى الْمُعَاهِدَةِ فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلُبَهَا وَقَلَائِدَهَا وَرُعُثَهَا ما تَمْتَنِع مِنْهُ إِلاَّ بالاسْتِرجَاعِ والاسْتِرحَامِ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلًا مِنهُمْ كَلْمٌ ، ولا أُرِيقَ لَهُمْ دمٌ ... فَيا عَجَباً: عَجَباً_ وَاللهِ _ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبُ الْهَمَّ مِنْ اجْتِمَاعِ هؤُلاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ ،وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ ! فَقُبْحاً لَكُمْ وَتَرحاً حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً يُرْمَى: يُغَارُ عَلَيكُمْ**

---

[١]) بناء الجملة الطويلة في القرآن الكريم ، د. علي ناصر غالب: ٣٤.

[٢]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، خ (١٩٢) : ٤٠٢ .

وَلَا تُغِيرونَ ، وَتُغْزَونَ وَلَا تَغْزُونَ ، وَيُعْصَى اللهُ وَتَرضَوْنَ ! فَإذا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيرِ إِلَيْهِم فِي أَيَّامِ الْحرِّ قُلْتُمْ : هذه حَمَارَّةُ الْقَيْظِ ،أَمْهِلْنَا يُسْبَّخْ عَنَّا الْحرُّ، وَإذا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيرِ إِلَيْهِم فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ : هذه صَبَارَّةُ الْقُرِّ، أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ عَنَّا الْبَرْدُ ؛ كُلُّ هذا فِراراً مِنْ الْحرِّ وَالْقرِّ ؛ فإذا كُنْتُمْ مِنْ الْحرِّ وَالْقرِّ تَفِرُّون ؛ فأَنْتُمْ واللهِ مِنْ السَّيفِ أَفَرُّ!))[١] .

فهذا التلوين والتنويع بالتركيب الجملي مابين نداءٍ إذ ((نادى العجب من حالهم منكّراً ليحضر له كأنَّه غير متعين حال النداء ، ثمَّ تعين بندائه وحضر فكرره ليصفه بالشدّة))[٢]، وبين دعاءٍ (قبحاً _ ترحاً) والقبح : ((الإقصاء والإبعاد))[٣]، والترح : ((نقيض الفرح ، وهو الحزن))[٤] وسبب الدعاء هو ضعفهم وتخاذلهم عن قتال عدوهم ، وبين شرط (إذا أمرتكم _ قلتم) ، وما تخللها من جملة اعتراضية ، كلها ساعدت على مدِّ الكلام لمسافات قولية طويلة أتاحت الفرص لبسط تلك المعاني الغزيرة المتضمنة فيه .

نلحظ ممّا مرَّ أن الوسائل التي تشكلت منها الحكاية المفصّلة في نهج البلاغة كانت متنوعة ما بين الأطناب ووسائله أو آلياته التي بدا أثرها بيّناً في بناء الحكاية المفصلة ، وما بين بناء الجمل الطويلة التي أسهمت في بسط المعاني ، فهذا التنوع قد أسهم في إظهار الحكاية بهذا النسج المحكم والمتقن .

---

[١] نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، خ (٢٧) ٨٥ .

[٢] شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٥٤/٢.

[٣] لسان العرب ، ابن منظور مادة (قبح): ٧/٢.

[٤] المصدر نفسه ، مادة (ترح) : ٤١٧/٢.

بناء الحكاية الموجزة

إنّ عملية إبداع نصوصٍ أدبية عالية ، تستبطن أهدافاً متعددة ، وغاياتٍ شتّى ، عملية ليست بالسهلة ، ولا تتأتى إلا لمن امتلك ناصية الكلام ، وعلم فنون البيان ، وأدرك أقدار العقول ، ومستويات المخاطبين ، وتصبح العملية أصعب إذا كانت على مستوى لغةٍ كالعربية ، فعلى الرغم من قدرتها على التعبير ، واستيعاب المعاني ، إلاّ إنّ أظهر سمة تميّزها هي اكتفاؤها بالكلمة الدالة ، والإشارة الموحية ، وقد حفل تاريخ العربية بالنصوص ، التي تمثل قمة في بلاغتها وفصاحتها ، والحديث عن تلك النصوص لا يعدو النص العلوي الذي يُعدُّ النصُّ الأعلى بعد النص القرآني الكريم والحديث النبوي الشريف ؛ لذا نحن إذ نقف على تلك النصوص لاسيّما المتضمنة الحكاية ، إنّما نقف أمام مبدعٍ فذٍّ ، نهل من فيض القرآن ، ووعى أسلوبه وتشرّبت به نفسه حتى ملأ أرجاء روحه الطاهرة ، فكأنّه معجزة تولّدت من ثنايا معجزة ؛ لذا لا عجب أن عُدَّ كلامه فوق كلام البشر ، إذ تأثُّر النص العلوي بالنصِّ القرآني سمة بارزة في نهج البلاغة ، ولاسيّما في بناء الجملٍ القصيرة ، إذ إنّ بناءها يتطلب مقدرة عالية جداً ، وقد خُصص هذا المبحث بدراسة (الحكاية الموجزة) وكيفية بنائها وإخراجها ، وطبيعته تفرض قبل الكلام في عناصرها ، بيان الأصل اللغوي والاصطلاحي للفظ الإيجاز ، والمقصود منها .

نال الإيجاز اهتمام البلاغيين واللغويين على حدٍّ سواء ، وقد وصفه أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) بقوله : ((البلاغة هي الإيجاز في غير عجز))[١] ، ويقال في اللغة ((وجز الكلام

---

[١]) كتاب الصناعتين : ١/ ١٧٣.

وجازةً و وجزاً وأوجز : قلَّ في بلاغة ، وأوجزه اختصره ، وكلام وجيز أي خفيف مقتصر))[١] ، أمّا في الاصطلاح فيعني: ((تقليل الكلام دون إخلال بالمعنى))[٢] ، ويعرف ابن سنان (ت ٤٦٦هـ) الإيجاز بأنّه : ((حذف فضول الكلام حتى يُعبّر عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة))[٣]، وينبغي الالتفات إلى أنّ ليس كلُّ ما قلّ من كلامٍ هو إيجاز ، إذ لربّما تكون اللفظة مساوية للمعنى ، أو قد تكون قاصرة عن تأدية المعنى ، وقد أشار صاحب الإيضاح إلى أنّ ((المقبول من طرق التعبير عن المعنى : هو تأدية أصل المراد بلفظٍ مساوٍ له ، أو ناقص عنه وافٍ ، أو زائدٍ عليه لفائدة))[٤]، فقوله بلفظ ناقص وافٍ ؛ أي لفظ قليل شريطة أن لا يكون قاصراً عن تأدية المعنى، ولا يشترط ابن الأثير(ت٦٢٧هـ) ((في تلك الألفاظ أن تكون لا نظير لها، فإنّها تكون قد اتصفتْ بوصفٍ آخر خارج عن وصف الإيجاز وحينئذٍ يكون إيجازاً وزيادة))[٥]، ويتوجب مع هذا الإيجاز الوضوح فقد ((تكون العبارة عن المعنى موجزةً لكن غير واضحة فيختلف الناس في فهمه بحسب أقساطهم من الذهن وصحة التصور ، فإن ذلك وإن كان من الإيجاز والاختصار فليس بمحمود حتى تكون دلالة ذلك اللفظ على المعنى دلالة واضحة))[٦] ، ويتجلى الإيجاز بمظهرين أساسيين هما :

---

[١]) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (وجز) : ٥/ ٤٢٧ .

[٢]) النكت في إعجاز القرآن ، أبو الحسن بن عيسى الرماني :٧٦/١

[٣]) سر الفصاحة : ١/ ٢٠٥ ، ظ : دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني : ٢٩٤.

[٤]) الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني :١٧٥.

[٥]) المثل السائر : ٨٠/١.

[٦]) سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي: ٢١١/١.

أولاً ـ إيجـــاز الحـــــذف

يشكّل الحذف وسيلة واضحة من وسائل بناء الحكاية الموجزة ، وهو في اللغة يعني الإسقاط :((حذف الشيء : إسقاطه))[١] ، أمّا في **الاصطلاح** فهو: ((إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام))[٢]، على أن ((لا يكون الحذف فيما زاد معناه عن لفظه))[٣] ؛ أي في إيجاز القصر _سيأتي بيانه_ ويُعدُّ الحذف باباً ((للإيجاز والاختصار والاكتفاء بيسير القول إذا كان المخاطب عالما بمراده فيه))[٤]، وقد وصِفَ الحذف بأنّه : ((باب دقيقُ المسلك ، ، لطيفُ المأخذ ، عجيبُ الأمر ، شبيه بالسِّحر ، فإنَّك ترى به ترك الذِكر أفصح من الذكر ، والصّمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدُك أنطق ما تكونُ إذا لم تنطِقْ ، وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لم تبنْ))[٥] ؛ لذا يُعدُّ إيجاز الحذف سراً من أسرار البلاغة التي يتجلّى جمالها عن طريقه ، وعلى الرغم من أنّ ظاهرة الحذف نحوية ، إلّا إنّها لفتت أنظار البلاغيين وتناولوها في كتبهم ووقفوا عليه كثيراً ، ومسألة الحذف هذه لا تأتي كما اتفق ، وإنّما تخضع لشروط وضعها النحاة[٦]، وتنحصر أسباب الحذف في :((كثرة الاستعمال وهو من أهم وأكثر الأسباب الداعية للحذف ، وطول الكلام فيميلُ المتكلمُ إلى الحذفِ ليبعدَ عن النفسِ الاستثقال والملل ويمنحه

---

[١]) الصحاح ، الجوهري ، مادة (حذف) : ١٣٤١/٤ .

[٢]) النكت في إعجاز القران ، الرمّاني : ١/ ٧٦.

[٣]) المثل السائر، ابن الأثير : ٢١٦/٢.

[٤]) نقد النثر ، قدامه بن جعفر: ٦٩.

[٥]) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني : ١٠٦.

[٦]) ظ : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، جمال الدين ابن هشام : ٧٨٦_٧٩٥ .

بالإيجاز قوة ، وكذلك الضرورة الشعرية))[١]، أمّا المحذوف فقد تنوع مابين مفرداتٍ أو جمل ، وحذف المفردات كان الأكثرَ شيوعاً في الحكايةِ الموجزة في نهجِ البلاغةِ ، وقد ارتأينا أنْ نتناول الحذفَ على النحو الآتي :

١ـ حذف بعض الجملة: ويتضمن حذف بعض المفردات وهو أما: حذف فعل، أو اسم، أو حرف وسيدرس هذا النوع في محاور هي :

أ ـ الحذف في الجملة الفعلية: يتضمن الحذف في الجملة الفعلية حذف الفعل (المسند) ، والفاعل (المسند إليه) ، وكذلك حذف المتعلقات، وسنعرض لكلٍّ نوع منها وكما يأتي :

١ـ **حذف الفعل** : شاع حذف الفعل في الحكاية المضغوطة ، ولحذفه أسباب منها كثرة الاستعمال ، وهذا ما أورده سيبويه حيث قال : ((هذا باب يُحذفُ منه الفعل لكثرته في كلامهم حتى صار بمنزلةِ المثل ، كما في قولهم : كلَّ شيء ولا هذا ؛ أي ائتِ كلَّ شيء، فحذف الفعل لكثرة استعمالهم إياه))[٢] ، ونظير هذا الحذف جاء في قول الإمام (عليه السلام) ردّا على حكايةِ أصحابه حين طال منعه لهم عن قتال أهل الشّام فاتهموه بالعجز والشّك : ((**أمّا قولكم : أَكُلَّ ذلك كَرَاهِيةَ المَوْتِ؟ فَوَآللهِ مَا أُبَالِي ؛ دَخَلْتُ إلى الْمَوْتِ أَو خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ.**))[٣].

---

[١]) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، طاهر سلمان حمودة :٤٧

[٢]) الكتاب : ١/ ٢٨١ .

[٣]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، م (٥٤) : ١١٤ .

والأصل فيه ((أتفعل كلَّ ذلك))[١] ، ونلحظ أنّه عليه السلام صدّر جوابه بالقسم ؛ لأجل دفع شبهة العجز والشّك في وجوب قتال أهل الشّام ، وجاء بالأداة (ما) في قوله **(مَا أُبالِي)** ، بدلاً من (لا) ، لما في الأولى من دلالة النفي المؤكد للحال ، وهذا ما يناسب الموقف ، وفي قوله : **(دَخَلْتُ إلى الْمَوْتِ أَو خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ)** نلمس دقة التعبير في تصوير شجاعته عليه السلام فالفرق ((بين العبارتين هو الفرق بين الورود على الشيء ، وورود الشيء عليه ، فإن الأولى بجامع العلم ، على خلاف الثانية))[٢] أي في الحال الأولى يعلم الإمام بوجود الموت وهذا يعدُّ منتهى الشجاعة وهذا ما يدّل عليه الحال الثانية ، ثمّ إذا حصل بعد تلك المقدمات من دفعٍ شكٍ ، طفق الإمام في بيان سبب منعهم من البدء بالقتال ، وقد أورده في النصِّ نفسه ، وهو **(وَأَنا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِي بي)** ، فعلّة التأخير هي رجاء الإمام في اهتداء أصحاب معاوية أو طائفة منهم إليه ، وهذا ما يتناغم ومنهجه القويم وخلقه الرفيع ؛ لأن الحرب عنده ليست غاية ، فإذا حصلت الهداية من دون حرب فلا حاجة إلى لقتال .

ويُحَذف الفعل في باب الإغراء ، فمثال الأول قوله (عليه السلام) حكاية عمّن طلب بيعته ثم نكثها : ((**فَأَقْبَلْتُم إِليَّ إِقْبَالَ العُوذِ المَطَافِيلِ**[٣] **على أَوْلَادِهَا، تقولون:البَيْعَةَ البَيْعَةَ! قَبَضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُمُوها**))[٤] ؛ أي نريدُ البيعةَ ، ففي الحكاية نلمس توسّل الإمام إلى جانب التكرار في لفظة

---

[١] في ظلال نهج البلاغة ، محمد جواد مغنية :٢/٢٩٢.

[٢] منهاج السعادة في شرح نهج البلاغة ، محمد تقي النقوي : ٥/ ٣١٤ .

[٣] العوذ من الإبل: الحديثة النتاج ، المطافيل : كل ذات طفل من إنسان أو حيوان ، لسان العرب ، ابن منظور، مادة (عوذ) ٣/٥٠٠.

[٤] نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، م (١٣٧) : ٢٩٥

(البيعة) ، الذي يدّل في باب الإغراء على ((تأكيد الأمرِ مع شدّةِ الاهتمام بالمأمور به))[١]، بالتشبيه لرسم صورة حيّة لإقبال الناس على بيعته ، فقد شبّههم بـ **(العُوذِ المَطَافيلِ)** وذلك لأنّ الناقة المسنة إذا كانت قريبة العهد بالنتاج كانت أكثر حرصا على أولادها ، فأبان بذلك شدّة اجتهادهم وحرصهم على بيعته ، رغم رفضه الذي كنّى عنه بقبض اليد .

ويُحذَف الفعل أيضا مع المصادر ، وقد وجِدَ نظير هذا الحذف في الحكاية منه قوله (عليه السلام) رداً على حكاية من يدّعون في مجالسهم قتال العدو : ((**تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ : كَيْتَ وَكَيْتَ ، فَإِذا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ : حِيدي حَيَادِ ... مَا بالُكُم ؟ مَا دَوَاؤُكُم ؟ مَا طِبُّكُمْ ؟ القَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُم . أَقَوْلاً بِغَيْرِ عِلْمٍ ، وَغَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ ، وَطَمَعاً فِي غَيْرِ حَقٍّ !**))[٢]، ويذكر سيبويه (ت١٨٥هـ) في هذا الباب: ((وإنّما أُخْتِزل الفعل ها هنا لأنّهم جعلوه بدلا من اللفظ ، بالفعل))[٣] ، وتقديره (أتقولون قولاً ،أتغفلون غفلةً ، أتطمعون طمعاً) ، وتتابع المصادر بهذا الترتيب اقتضاه المعنى ، فبدأ بالأقوال التي تستلّزم علماً ، فإذا ما حصل العلم ، تحقق الورع المانع للطمع في غير حقٍّ ، وهذا ما نفاه الإمام عنهم ، فكانت أقوالهم بعيدة عن العلم الموجب للاعتقاد الصادق.

ومثل ذلك قوله(عليه السلام) ردّاً على من اتهمه بالكذب: ((**بَلَغَنِي أَنَّكم تَقُولُون : عَلِيٌّ يَكْذِبُ ...كلا واللهِ ، لكِنَّها لَهْجَةٌ غبْتُمْ عَنْهَا ، وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهلِهَا. وَيْلٌ امِّهِ كَيْلاً بِغَيْرِ ثَمَنٍ ! لَو كانَ**

---

[١] شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٢١٤/٣.

[٢] نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، خ (٢٩) : ٩٠.

[٣] الكتاب : ٣١٢/١ .

له وِعَاءٌ))[١] ؛ أي ((أكيل لكم العلم والحكمة كيلاً))[٢] ، فحذف ((الفعل وأقيم المصدر مقامه وفي ذلك اختصار مع إعطاء معنى التوكيد المصدري))[٣]، وباستعارة لفظة الكيل أشار((إلى كثرة ما يلقيه على الناس من الأخلاق والحكم ، لكن لا يفقهونها ولا يهذبون أنفسهم بها لعدم استعدادهم لحملها)) [٤] ، فجاءت الحكاية بألفاظٍ موجزةٍ تمكنت من بيان الصورة التي أراد الإمام كشفها ، وقد كان للمصادر الواردة في النصين السابقين(**أقوالاً _ غفلةً_ طمعاً _ كيلاً**) الأثر الكبير في إظهارها بهذا الأسلوب البلاغي الرائع .

٢- **حذف الفاعل** : يُعدُّ الفاعل أو (المسند إليه) جزءاً أساسياً في الجملة ، ويرى النحاة أنّه لا يمكن الاستغناء عنه ، إلا إنّ ((من الدواعي ما يقتضي حذف الفاعل دون فعله وهي أمّا لفظية مثل الرغبة بالإيجاز، أو معنوية مثل الجهل بالفاعل ، والخوف منه أو عليه ، أو تعظيمه أو تحقيره ، أو عدم تعلق الغرض بذكره حين يكون الغرض المهم هو الفعل))[٥]، ويُحذف الفاعل عند البناء للمجهول وبعض النحاة يسميه الفعل الذي لم يسمِّ فاعله ، وما جاءَ منه قوله (**عليه السلام**) ردّاً على ما يزعمه الخوارج في قولهم لا حكم إلا لله : ((**وَلكِنَّ هؤلاءِ يَقُولُون : لا إِمْرَةَ ، وإِنَّه لَا بُدَّ للنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍ أَوْ فَاجِرٍ يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ ، وَيُبَلِّغُ**

---

[١] نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، م (٧٠) : ١٢٥.

[٢] شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ٦/ ١٣٤ .

[٣] المثل السائر، ابن الأثير : ٢٣٧/٢.

[٤] شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني :٢٦٣/٢.

[٥] النحو الوافي ، عباس حسن ، هامش ص : ٩٨/٢ . .

اللهُ فِيها الأَجَلَ ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَيءُ . وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفُ مِنَ الْقَوِيِّ ؛ حَتّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ ، وَيُسْتَرَاحُ من فَاجِرٍ.))[١] .

والحذفُ واضحٌ بيِّنٌ ، وعلّة الحذف هو توجيه الاهتمام للفعل دون الفاعل، فذكر الأفعال مبنية للمجهول **(يُجمعُ_ يُقاتلُ _ تُأمنُ _ يُؤخذُ_ يُستراحُ)** ، من دون ذكر فاعلها ؛ لأنّه أراد التركيز عليها ، وشدّ انتباه المتلقين إلى أنّ غايةَ الإمرة سواء للبرِّ أو الفاجر هي المتحصل منها وهو ما ذكره الإمام من جمع الفيء وقتال العدو وتأمين السبل وغيرها، لكن حين ذكرَ الأجل جاء بفاعله **(وَيُبَلِّغُ اللهُ فِيها الأَجَلَ)** ؛ لأن الأجل راجع لله ، والغاية من هذه العبارة ((هي تذكير العصاة ببلوغ الأجل وتخويفهم به))[٢] ، فإمرة الأمير سواء أكانَ براً أم فاجراً تنتهي بانتهاء أجله ، أو ((بانتهاء المدّة المعلومة المعينة للأمير والمأمور بالاختبار والامتحان مما يكون حجة عليهما يوم القيامة))[٣]، وكلا الحالين يصحان فكلاهما يرجع إلى الله لذا تعين ذكره.

كذلك قوله(عليه السلام) ردّاً على حكاية بلغته عن عامله حين دُعي إلى مأدبةِ قومٍ من أهْلِها فأجابهم إليها : ((**فَقَد بَلَغَنِي أَنّ رَجُلاً مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ البَصْرَةِ دَعَاكَ إِلى مَأَدُبَةٍ فأَسْرَعْتَ إِلَيْها تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوانُ ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ!))**[٤]، وكلامه (عليه السلام) في معرض العتاب لعامله لقبوله تلك الدعوة ؛ والسبب أنّ تخصيصه بالدعوة دليل على أنّهم يريدون الدنيا من دون

---

[١]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، م (٤٠) : ١٠٢.

[٢]) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني :١٤٢/٢.

[٣]) منهاج السعادة ، محمد تقي النقوي: ٥٥٨/٤.

[٤]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، ك (٤٥) : ٥٥٣.

الله[١]،فحذف الفاعل في **(إِلَيْها تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ)** تحقيرا له ، وهذا الغرض يتناسب مع مقام العتاب والتوبيخ .

نظيره قوله رداً على حكاية بلغته : ((**وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرى الْمُعَاهِدَةِ فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلُبَهَا وَقَلائِدَهَا وَرُعُثَهَا ما تَمْتَنِع مِنْهُ إِلاَّ بالاسْتِرجَاعِ والاسْترِحَامِ... وَتُغْزَونَ وَلَا تَغْزُون ، وَيُعْصَى اللهُ وَتَرْضَوْن**))[٢] ، فحذف الفاعل في **(تُغْزَونَ _ يُعْصَى)** قصد الإبهام ليذهب ذهن المتلقي إلى كلِّ معنى تشير إليه لفظتا (تُغْزون_ يُعَصى) .

٣- **حذف المفعول به** : قد تُبنى جملة الحكاية المضغوطة أحياناً على حذف المفعول ، ويكون الحذف ((لدواعٍ بلاغية منها : أمّا إفادة التعميم ... تنزيل المتعدي منزلة اللازم ... رغبة في الإيجاز... البيان بعد الإبهام لتقرير المعنى بالنفس ... لتوافق الفواصل في النثر المسجوع والذي يكون منزلة حرف الروي في المنظوم))[٣]، كقوله (عليه السلام) حكاية عن المتقين : ((**إذا زُكِّيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمّا يُقَالُ لَهُ ، فَيَقُولُ : أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي ، وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّي بِنَفْسي ! اللّهُمَّ لَا تؤَاخِذني بِما يَقُولُونَ ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ ، واغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ**))[٤] .

---

[١]) ظ: شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ١٢٩/٥.

[٢]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، خ (٢٧) : ٨٥_ ٨٦.

[٣]) علم المعاني ، عبد العزيز عتيق : ١٣٠-١٣١.

[٤]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، خ (١٩٣) : ٤٠٨ .

لمّا كانت التقوى أساس الفضائل وهي كمال لا يتحقق إلاّ بالعلم والعمل ، فإن أصحابها في شغلٍ دائم بحالهم ، فهم منقطعون لله بعبادتهم ، يتخوّفون من تزكية الآخرين لهم ، ومنشئ هذا الخوف من التزكية كونها سبباً لظهور العجب والكبر[١] ، اللذين يصوران وهماً قصور الطاعة كمالاً ؛ لذا نلحظ أنّ المتقين لمّا كانوا في معرض الدعاء لله منشغلين بحالِهم قد تلبَّسهم خوف شديد من أن يكونوا قد قصّروا في أداء عبادتهم ، فبطبيعة الحال لن يكون ما يُقالُ أو يُظنُّ محلَّ اهتمامِهم ، لذلك نلحظ حذف المفعول في (**يقولون** ، **يظنّون** ، **يعلمون**) ؛ إذ ليس الغرض متعلق بذكر المفعول فيكون محلّ الاهتمام ، وأيضا لو أثبتوه ، لتوهم أن هناك ما جال في خاطر بعضهم فيما يخصّهم ولم يقولوه ، وما لم يقع ظنّهم به، لذلك جاء الحذف ليشمل ما علموه وما ولم يعلموا وما وقع ظنهم به وما لم يقع ، لذلك كان الحذف أبلغُ من الذّكرِ .

٤_ حذف الموصوف : يُعدُّ هذا النوع من الحذف وسيلة من الوسائل التي بُنيت عليها جملة الحكاية المضغوطة ، فالأصل في الصفة ((أن تصحب الموصوف إلاّ إذا ظهر أمره ظهوراً يُستَغنى معه عن ذكره فحينئذٍ يجوز تركه وإقامة الصفة مقامه))[٢]، لذلك جاز حذف الموصوف وإحلال الصفة محلّه من باب الإيجاز، وقد جاء هذا النوع من الحذف في قوله (**عليه السلام**) رداً على حكاية بلغته من دخول بُسر بن أرطاة[٣] اليمن : ((**أُنْبِئتُ بُسْراً قَدْ اطَّلَعَ**

---

[١]) ظ : شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٣/ ٥١٤_ ٥١٩ .

[٢]) شرح المفصل للزمخشري . أبو البقاء موفق الدين المعروف بابن يعيش :٢/٢٥٠ .

[٣]) بُسر بن أرطاة ويقال ابن أبي أرطاة العامري ، من بني عامر بن لؤي بن غالب ، من شيعة معاوية . بعث له ليُغير على أعمال أمير المؤمنين ، فدخل الحجاز ثم اليمن ، فأراق كثير من الدماء لاستكراه الناس البيعة لمعاوية : شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ٢/ ٢٢٥ .

الْيَمَنَ...اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلَلْتُهُمْ وَمَلُّونِي وَسَئِمْتُهُم وَسَئِمُونِي، فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ، وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرّاً لَهُمْ مِنِّي))[١] ، أي ((قوماً خيراً منهم))[٢] ، وقائدا شراً مني ؛ أي لمّا كان يدعوهم للجهاد كان يرون في ذلك شرّاً لميلهم للراحة ، فدعا عليهم بمن يكون فيه شرٌ عليهم غيره [٣] ، ويمكن أن نلمس عبر لفظتي **(مَلَلْتُهُمْ _سَئِمْتُهُم)** ، مدى الألم الذي يكابده الإمام ، فاللفظتان قد تبدوان مترادفتان عند الرجوع إلى أصلها اللغوي ، لكن بالرجوع إلى صوتي (الميم و السين) نجد أنّ حرف السين واقعٌ في بداية الكلمة ممّا يعني أنّ المتكلم يشدد عليه عند النطق به ، ما يجعله أكثر وأشدّ توكيداً وتعبيراً ، فهذا التنوع في اللفظ يعكس الحالة الشعورية للإمام ، فضلاً على ما فيه من زيادة إثبات معنى .

كذلك قوله(عليه‌السلام) ردّاً على حكاية عمرو ابن العاص فيما زعمه لأهل الشّام : ((**عَجَباً لابن النَّابِغَةِ يَزْعُمُ لأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً، وَأَنِّي امْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ : أُعَافِسُ وَأُمَارِسُ .لَقَدْ قَالَ بَاطِلاً ، وَنَطَقَ آثِماً))**[٤] .

نلحظ أنّ الإمام صدّر كلامه بالعجب لمثل هذا الزعم ، من رجلٍ كعمرو بن العاص مع ما عُرف به من رذيلةٍ ، وقد نبّه على ذلك حين كنّاه بـ (ابن النابغة) ؛ وهو ما اعتادته العرب من

---

١) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، خ (٢٥) : ٨١ .

٢) في ظلال نهج البلاغة ، محمد جواد مغنية :١/١٧٥.

٣) ظ : شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٢/ ٣٣ .

٤) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، م (٨٩) : ١٤٦.

النسّبة إلى الأمِّ إذا كانت معروفة بما لا يليق بالنساء[١]، ولربّما في كلامه أشارة إلى الطعن في نسبه ، ثمّ ذكر عليه السلام أنّه قال باطلا ؛ أي قولا باطلا فحذف الموصوف (قولا) وأبقى صفته ؛ لأنّه عليه السلام أراد بيان صفة هذا القول ، والقصد منها هو ذمُّه ، فتلك الصفات **(أعافس ـ أمارس)** ، هي ((فعل من اتصف بفراغ القلب ، فاستغرق أوقاته باللهو واللعب))[٢] ، وهذا ما لا يصدر منه . نظير ذلك قوله عليه السلام ردّاً على حكاية من زعم الرسوخ في العلم من دونهم : ((**أَيْنَ الَّذينَ زَعَموا أَنَّهُمْ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا كَذِبَاً وَبَغْياً عَلَيْنَا** .))[٣] ؛ أي زعموا زعماً كذباً ففي كلِّ مما جاء ، كان الحذف مع دلالة تدّل عليه ، تخفيفاً وإيجازاً .

ب_ الحذف في الجملة الاسمية : وهي شبيهةٌ بالفعلية من حيث إنّها تتكون من مسند ومسند إليه ، وتختلف عنها من حيث دلالتها _ الاسمية _على الديمومة والثبات ، ويطرأ عليها ما يطرأ على الفعلية من حذفٍ ، وقد كان المبتدأ أكثر حذفاً من الخبر ، وسندرسها على الشكل الآتي :

١_ حذف المبتدأ ، ما جاء في قوله (عليه السلام) ردّاً على حكاية مَن يتحدثون في مجالسهم بقتال العدو : ((**تَقُولَونَ فِي الْمَجَالِسِ : كَيْتَ وَكَيْتَ، فَإِذا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ: حِيدي حَيَادِ ، مَا عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ ، وَلَا اسْتَرَاحَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ**))[٤] .

---

[١]) ظ : شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٢/ ٣٦٢ .
[٢]) منهاج البراعة ، حبيب الله الخوئي : ٦/ ٧٦ .
[٣]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، خ (١٤٤) : ٢٦٧.
[٤]) المصدر نفسه ، خ (٢٩) : ٩٠ .

نلحظ تضافر وسيلتين في إيجاز الحكاية في النص العلوي منها : في عبارتي **(كَيْتَ وَكَيْتَ)** و**(حِيدي حَيَادِ)** ، وهما كنايتان توسلهما الإمام في الإيجاز ، بياناً لحال أصحابه وما هم فيه من اختلافٍ ، لكنّه كنّى **بالأولى:** عن الحديث ، و**الثانية** :عن الفرار في الحرب ، وهي بعد توكيد لما قبلها، لما ظهر منهم من تناقضٍ في القول والفعل[١] ، ثم جاء الحذف ليشكّل وسيلة أخرى من وسائل الإيجاز ، في قوله : **(أَعَالِيلُ بِأَضَالِيل)** ؛ أي: هي أعاليل، والاعاليل : ((ما يتعلل به من مرض وغيره))[٢]، وهو تبرّمٌ منه بسبب عدم طاعتهم له في قتال أعدائهم وتعللهم بحجج واهية ، وصفها بأنّها ((اعاليلٌ باطلةٌ ضالة عن سبيل الله))[٣] ، ومجيء الحذف هنا هو نتيجة لعلم المخاطب بالمحذوف .

كذلك قوله (عليه السلام) حكاية عن المكذبين من قريش للنبيِّ : ((**فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ : بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ ، عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ**))[٤] ، وهذا على مثال ما جاء به التنزيل في قوله تعالى :﴿**فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ** ﴾[٥] ، وقد حُذف ((المسند إليه للإشارة إلى أنّ الخبر لا يتوهم يكن لغيره))[٦] ، وتقديره : بل هو ساحرٌ كذّابٌ .

---

١) ظ : في ظلال نهج البلاغة ، محمد جواد مغنية : ١/ ٢٠١

٢) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٢/ ٧٣ .

٣) مفتاح السعادة ، محمد تقي النقوي : ٢٤٤/٤.

٤) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) خ (١٩٢) ٤٠٤ .

٥) سورة غافر: أية ٣٠

٦) خصائص التراكيب ، د. محمد محمد أبو موسى : ١٧٤.

٢_ حذف الخبر، كقوله (عليه‌السلام) ردّاً على حكاية من اتهمه بالحرص على الخلافة :((**قَالَ قَائِلٌ : إِنَّكَ عَلَى هذا الْأَمرِ يا بْنَ أَبي طَالِبٍ لَحَرِيصٌ...فإِنَّهم قَطَعُوا رَحمِي، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتي ، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِيّ أمْراً هُوَ لِي**)) [١] .

في دعائه عليه‌السلام نلمس تبرمه ممن غصب حقّه ومنعه إيّاه ، وفي لفظة **(صَغَّرُوا)** ، إشعار بقصديّة عدم الالتفات إلى ما جاء به من أحاديث نبوية تدّل على أحقيته وعظيم منزلته ، و **(أمْراً)** هو الخلافة ، وقد وقع الحذف في قوله (هو لي) ؛ أي حقٌّ لي .

وقد يُحذف الخبر لكونه معلوماً ومعروفاً مثل قوله :((... **زَعَمُوا أَنَّهُمْ كالنَّباتِ مَالَهُمْ زَارِعٌ ، وَلِا لاخْتِلافِ صُوَرِهُمْ صَانِعٌ** ...))[٢]، فحذف الخبر جاء للعلم به .

ج _ **الحذف في الجملة الشرطية** : هو أسلوبٌ قائم على ارتباط جملتين بواسطة أداة تسمى أداة الشرط ، فالأولى هي جملة الشرط ، والثانية الجواب وتحققه مبنيٌّ على تحقق فعل الشرط ، وقد يُحذفُ أحدُ ركني الجملة بقصد الإيجاز وهذا متعلقٌ بالدليل ، ومما جاء من حذف الركن الأول في الحكاية قوله (عليه‌السلام) جواباً على حكاية الزبير حين زعم المبايعة للإمام : ((**يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ ، وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ ؛ فَقَدْ أَقَرَّ بالْبَيْعَةِ ، وَادَّعَى الْوَلِيجَةَ ، فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ ؛ وَإِلَّا فَلِيدْخُلْ فِيما خَرَجَ مِنْهُ**))[٣] .

---

[١] نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، خ (١٧٢) ٣٢٦_٣٢٧ .

[٢] المصدر نفسه . خ (١٨٥) ٣٦١.

[٣] المصدر نفسه ، ك (٨) : ٦٤.

يحمل النصّ المحكي مستويين ظاهر وباطن يمكن بيانهما بالشّكل الآتي :

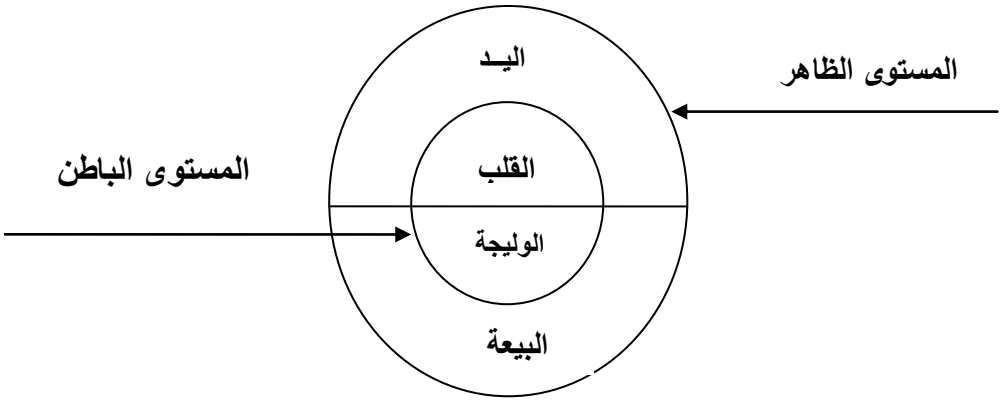

فالمستوى الظاهر تمثل بادّعاء الزبير الإقرار بالبيعة للإمام ، حين بايعه بيده ، أمّا الباطن هو إضماره بقلبه عدم البيعة فمن ((قال قولاً وأقرَّ بشيء أُخذَ بقوله وإقراره ، وإن أدّعى بعد ذلك أنّه ما أقرَّ عن نية صادقة ، فلا طريق إلى صدقه في القول الثاني))[١] ؛ لذا شرط الإمام عليه بالإتيان بدليل على ما أدعى ، وهذا ما اتّضح بأسلوب الشرط **(وَإِلَّا فَلِيدْخُلْ فِيما خَرَجَ مِنْهُ)** ، فحذف فعل الشرط وتقديره (وإنّ لم يأتِ بأمر يُعرف) لوجود ما يدلُّ عليه .

أمّا حذف جواب الشرط فيكون في حالة ((إذا اجتمع شرط وقسم جُعلَ الجواب للسابق منهما، فاستُغنِي عن جواب الأخر))[٢] ، وهذا النوع من الحذف وارد في كلام العرب ، ولربّما يرى البعض أنّ لا مزية في استعماله ، إلا إن مزيته هنا تكمن في جعل المتلقي بمواجهة النص يبحث عن المعنى ، كقوله (عليه السلام) جواباً على حكاية بلغته من أحد عمّاله الذي قسم فيء المسلمين على من اختاره سيداً : ((**بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ ... أَنَّكَ تَقْسِمُ فَيءَ الْمُسْلِمِينَ ـالذِي حَازَتْهُ**

---

[١]) حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة ، محمد بن حسن البيهقي : ١/ ١٨٨ .

[٢]) مبادئ العربية ، رشيد الشرتوني : ١٧٦.

رِمَاحُهُمْ وَخُيُولُهُم ، وَأُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُم_ فَيمنْ اعتَامَكَ مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ... لَئِنْ كاَنَ ذلِكَ حَقاً لَتَجِدَنَّ لَكَ عَلَيَّ هَواناً، وَلَتَخِفَنَّ عِنْدي مِيزاناً ، فَلا تَسْتَهِنْ بِحقِّ رَبِّك ، وَتُصْلِحْ دُنْيَاك بِمْحقِ دِينِكَ فَتَكُون مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً))[١].

إنّ تلك الشدّة في التهديد والوعيد اللذين نلمسهما في النصّ المحكي ، لا تصدر إلّا من رجلٍ كعليّ بن أبي طالب **عليه السلام** ، فمسألة تحقيق التوازن المجتمعي عن طريق إقرار العدالة من الأمور التي سعى إلى تثبيت أسسها داخل المجتمع ، والتفريط بها يعني هدم تلك الأسس ، وهو ما لا يسمح به ، وقد كان ينكر ذلك أيام خلافة عثمان ، فالقسم الممتزج بأسلوب الشرط يدّلان على تلك الشدّة بالوعيد ، والجواب في (**لَتَجِدَنَّ_ لَتَخِفَنَّ**) هما جواب للقسم لتقدمه على الشرط .

٢_ حذف الجمل :

أُستعمل حذف الجمل وسيلة من وسائل بناء جملة الحكاية المضغوطة ، وهذا النوع من الحذف يشمل ((حذف الجمل المفيدة التي تستقل بنفسها وهذا أحسن المحذوفات وأدّلها على الاختصار))[٢] وحذف الجمل غير المفيدة ، وهذان النوعان يشملان ضروباً عدة ، نذكر منها ما ورد في حكاية نهج البلاغة وهي :

---

[١]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، ك (٤٣) : ٥٥١ .

[٢]) المثل السائر، ابن الأثير : ٢٦٩/٢.

أ_ الاكتفاء بالسبب عن المسبب : كقوله (عليه السلام) جواباً عن حكاية بلغته بوصول بُسر بن أرطاة اليمن:((**أُنْبِئتُ بُسْراً قَدْ اطَّلَعَ الْيَمَنَ...اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلِلْتُهمْ وَمَلُّونِي وَسَئِمْتُهُمْ وَسَئِمُونِي ، فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ ، وَأَبْدِلْهُمْ بي شَرّاً مِنِّي**))[١] .

يذكر الإمام وهو في معرض الدعاء حصول الملل للطرفين ، دون ذكر المسبب ، فهو ملَّهم لـ ((خيانتهم له ورفضهم الحق والسكوت عنه ، و**(ملّوه)** لأنّه يريدهم لله بحثِّهم على الجهادِ، وهم يريدونه لأنفسِهم بطلبِهم الدعة))[٢]، فذكر السبب وهو الملل من دون ذكر المسبب وهو الخيانة .

ب_ **بعد أفعل التفضيل** : منه قوله (عليه السلام) ردّاً على حكاية معاوية حين فاضل بينه وبين غيره من الخلفاء : ((**وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الإِسْلامِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ ؛ فَذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّهُ ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ**))[٣] .

إنّ المفاضلة تتطلبُ فاضلاً ومفضولاً ، وملكاتٍ توفرَتْ بأحدِهم دونَ الآخرِ، لكنّنا لم نلمح تلك الخصائص ، التي وردَتْ في ردّه على رسالةِ معاوية [٤] ، التي على ضوئها جرت عملية المفاضلة ؛ نلحظ أنّ الإمام لم يفصل القول في بيان تلك الأمور التي ذكرها معاوية ، فما بين **(فِي الإِسْلامِ** و **فَذَكَرْتَ أَمْراً)** حُذفت جمل كثيرة ، واكتفى الإمام بالإشارة إليها بعبارة (زعمت أن أفضل الناس فلان وفلان) .

---

١) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) خ (٢٥) : ٨١ .

٢) شرح نهج البلاغة . عباس علي الموسوي :٢٠٩/١.

٣) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ك (٢٨) : ٥١٣.

٤) ظ : رسالة معاوية للإمام ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ١١٥/١٥-١١٦.

وفي الحكاية السابقة نفسها ، جاء حذف الجمل لغيرِ أسبابِ الحذفِ التي يذكرُها البلاغيون منها ، في قوله عليه السلام : ((**وَمِنَّا النبيُّ وَمِنْكُمْ الْمُكَذِبُ ، وَمِنَّا أَسَدُ اللهِ وَمَنْكُمْ أَسَدُ الْأَحْلافِ ، وَمِنَّا سَيّدا أَهْلِ الجنَّةِ وَمِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّار، وَمنَّا خَيْرُ نِسَاءِ العَالَمِينَ وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ الحَطَبِ ، فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ ! **))[١] .

ويرى ابن أبي الحديد أنّ الحرف (في) في قوله :(في كثير) يتعلق بمحذوف تقديره : هذا كلام داخل في جملة كلام يتضمن مالنا وعليكم))[٢]، فحذف عليه السلام جملاً واكتفى بعبارة (في كثير) ؛ أي أنّ ((هذا الذي ذكرناه من فضائلِنا قليل في كثير ممّا لنا من الفضائل وعليكم من الرذائِل))[٣] ، فأوجزت تلك المعاني بعبارةٍ بليغةٍ موجزةٍ .

٣_ حذف الحروف:

وهو أقلُّ أنواع الحذف مجيئاً في النصوص المحكية ، مثاله حذف الهمزة ، في قوله(عليه السلام) ردّاً على من اتهمه بالجبن والشّك في قتال أهل الشّام :((**أَمَّا قَوْلُكُمْ : أَكُلَّ ذّلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمُوتِ ؟ فَوَاللهِ مَا أُبالِي ؛ دَخَلْتُ إِلّى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ**))[٤] . فهنا استفهام حُذفتْ أداته ((وهو من مواضع حذف الهمزة إذا سبقت بعبارة ما أبالي سواء))[٥]، وتقديره : أدخلْتُ .

---

[١] نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، ك (٢٨) : ٥١٤_ ٥١٥.

[٢] شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ١٢٤/١٥.

[٣] شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٥٢٦/٤.

[٤] نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، م (٥٤) : ١١٤

[٥] إعراب نهج البلاغة وبيان معانيه ، الدكتور زهير غازي زاهد : ٢٦٢.

أو حذف حرف النداء كما في قوله **عليه السلام** رداً على حكاية بلغته من عامله عبد الله بن العباس : ((**وَقَدْ بَلَغَنِي تَنَمُّرُك لبَنِي تَمِيمٍ ... فارْبَعْ أَبا العبَّاسِ ، رَحِمَكَ اللهُ فِما جَرَى عَلى يَدِكَ وَلِسانِكَ مِنْ خَيْرٍ وشرٍّ فَإِنَّا شَرِيكانِ في ذلك**))[١] .

كلام الإمام هنا واقع في باب النصح والإرشاد ؛ لذا نلمس في عبارة (**ارْبَعْ أَبا العبَّاسِ**) ، التي حُذِفَ منها حرف النداء ؛ أي : يا أبا العباس ، نغماً صوتياً هابطاً يتناسب والموقف ، لمّا أراد منه التمهل والتثبت؛لأنه كان ((والياً من قبله ، فكلّ حسنة أو سيئة يحدثها في ولايته فله **عليه السلام** شركة في إحداثها))[٢]، فعبّر عن هذا المعنى بلفظ (شريكان) .

ثانياً : إيجاز القِصَر

القصر في اللغة خلاف الطول يقال: ((قصر الشيء قصراً ، خلاف طال طولاً))[٣] ، وعلى هذا يكون للمعنى اللغوي علاقة بالمعنى الاصطلاحي ، الذي يشير إلى قلّة اللفظ مع بسط المعنى ، فقد عرّفه الرماني(ت ٣٨٤هـ) بأنّه : ((تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف))[٤]، أو ((اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل))[٥] ، ويرى ابن الأثير(ت ٦٢٧هـ) أنّ الإيجازَ بالقِصَرِ ((هو الذي لا يمكن التعبير عن ألفاظه بألفاظ أخرى مثلها وفي عدّتَها ، وهو أعلى

---

[١]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، ك (١٨) : ٤٩٧.

[٢]) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٤/ ٤٧٣ .

[٣]) العين ، الفراهيدي ، مادة (قصر) : ٥/ ٥٨ .

[٤]) النكت في إعجاز القرآن : ٧٦/١ ، ظ : كتاب الصناعتين ، أبو هلال العسكري : ١٧٥/١.

[٥]) الطراز ، للعلوي : ٤٩.

طبقات الإيجاز مكاناً وأعوزها إمكاناً، وإذا وُجِدَ في كلام البلغاء فإنّما يوجد شاذاً نادراً))[١] ، إذ يحملُ اللفظُ على قلّته معاني جمّة بلا حذف ، لذا لا يحتاجُ هذا النوع من الإيجاز إلى تقديرِ محذوفٍ كيفما كان لذلك ((يسمى إيجاز البلاغة لأنّ الأقدار تتفاوت فيه))[٢] ،وهو أكثر غموضاً من الحذفِ ؛ لأنّه يحتاجُ إلى طولِ تدبرٍ وتأملٍ في فهمِ تلك المعاني ، ولا تخلو الحكاية العلوية من هذا الفنِّ البلاغي ، الذي توسل به الإمام لإيصال معانٍ جمّة قادرة على بيان الأفكار للمتلقي بشكل دقيق وموجز وبحسب ما يقتضيه المقام ، ومثاله في الحكاية قوله (عليه السلام) جواباً على حكاية معاوية حين فاضل بينه وبين غيره : في قوله عليه السلام : ((**وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الإِسْلامِ فُلانٌ و فُلانٌ... فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا ، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا**))[٣] ، وفي هذه العبارة من دقيق المعاني لما توحيه من معنى الاجتباء والاختيار والاصطفاء كأنَّها صدرَتْ عن وحيٍ ، فقد اشتملت ((على أمر الخلافة الحقّة ، وشأن الحجج الإلهيّة))[٤] ، فـ ((اصطنعه : اتخذه ، ويقال فلانٌ صنيعة فلان : إذا اصطنعه وأدبه وخرَّجَه وربَّاه))[٥] ، وعلى هذا المعنى جاء قوله تعالى : ((**ثُمَّ جِئتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي**))[٦] ، ويُعدُّ ((هذا الكلامُ عظيمٌ ، ومعناه عالٍ ، وله معنيان : **ظاهره** ليس لأي أحدٍ عليهم نعمة بل الله هو المنعم ، فلا واسطة

---

[١] المثل السائر : ٢/ ٢٧٥ .

[٢] علوم البلاغة . د. محمد احمد قاسم وآخران : ٣٥٨.

[٣] نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، ك (٢٨) : ٥١٤_٥١٥.

[٤] منهاج البراعة ، حبيب الله الخوئي : ١١٥/١٩.

[٥] لسان العرب ، ابن منظور، مادة (صنع) : ٢٠٩/٨-٢١٢ .

[٦] سورة طه : أية ٤١.

بينهم وبينه ، وهم الوسطاءُ بينَ اللهِ والناسِ، و**باطنه** أنّهم عبيدٌ لله والناسُ عبيدهم))[١]، وهذا فوق كلام البشر، كما إنّه إشارةٌ وإيماءةٌ إلى مَنْ بلغَ هذه المرتبةٌ والمنزلةُ إكراماً من اللهِ حتى اصطفاه واتخذهُ صنيعتَه ، وجعلَ الناسَ صنائع له ، فكيف يجعل غيره عدله ؟ فضلاً عن أن يجعلَ أفضل منه ؟!

فأبان تلك المنزلة التي اختصهم الله بها على جميع الخلق بألفاظ لا يمكن لغيرها أن تنوب عنها ، وهذا أعلى مراتبِ الإيجازِ وغاية البلاغةِ والبيانِ .

نظير ذلك قوله (عليه السلام) في معنى قتل عثمان :((**وَمَنْ خَذَلَهُ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ : نَصَرَهُ مِنْ هو خَيْرٌ مِنِّي . وَأَنا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ ، اسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الْأَثَرَةَ ، وَجَزِعْتُمْ فَأَسَأَتُمْ الْجَزَعَ**))[٢].

نلحظ في النص المحكي أنّ الإمام أوجز بعبارتين قصيرتين الوضع العام الذي كان قائماً بين عثمان أيام خلافته وبين الناس ، فمن المعروف أنّ خلافة عثمان شهدت اضطراباً كبيراً بسبب استئثاره بالحكم وما خلّفه هذه الاستئثار من أثار سلبية انعكست على واقع الحياة سواء أكانت

الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية ، فتردي تلك الأوضاع دفع الناس إلى الجزع والثورة ضده ، حتى وصل الأمر إلى قتله ، فأوجز الإمام في قوله (**اسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الْأَثَرَةَ ، وَجَزِعْتُمْ فَأَسَأَتُمْ الْجَزَعَ**) حال الاضطراب وأسبابه ونتائجه .

---

[١]) شرح نهج البلاغة : ١٢٢/١٥.

[٢]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، م (٣٠) : ٩١.

ثالثا : بناء الجملة القصيرة

ذكرنا مسبقا أنّ الجملة تركيب مكون من مسندٍ ومسندٍ إليه ، وإلى هذا أشار سيبويه(ت١٨٥هـ) : ((هذا بابُ المسندِ والمسندِ إليه وهما ما لا يُغني أحدها عن الآخر ولا يَجِدُّ المتكلمُ منه بدّاً))[١] ، وهذانِ العنصرانِ لا غنى لهما عن عنصر ثالث وهو الإسناد ((هو عملية ذهنية تعمل على ربط المسند بالمسند إليه))[٢] ، وكلما كان هذا التركيب الجملي أقصر كلّما كان أبلغَ ، بدليل القرآن الكريم الذي جاء في أغلب آياته مبنيّاً على الجمل القصيرة المكثفة المعاني والعميقة الدلالات ، وقد أنتهج أمير المؤمنين هذا الأسلوب القرآني في هذا البناء ، لـ ((تفجير طاقات اللغة الكامنة فيها على اختلاف مستوياتها البنائية في مجال نظم الجملة للإحاطة بالمعنى))[٣] ، فكانت جملُه على اختلاف تلك المستويات مثقلة بالمعاني ذات جرس يضفي عليها مزيداً من الحيوية والرشاقة وبُعد الدلالة ، وهناك وسائل لضخ المعاني الكثيرة في هذا التركيب الجملي القصير وعلى الرغم من قلّتها إلا أنّها أسهمت في بناء الحكاية الموجزة ، سنذكرها على الشكل الآتي :

١ــ أسلوب التقديم والتأخير: حين نتحدث عن التقديم والتأخير فنحن نتحدث عن تغير عناصر الجملة بتقديم ما حقه التأخير وتأخير ما حقه التقديم وهذا ((لا يردُ اعتباطا في نظم الكلام وتأليفه ، وإنّما يكون عملاً مقصوداً يقتضيه غرض بلاغي أو داعٍ من دواعيها))[٤]، وقد

---

[١]) الكتاب : ٢٣/١ ، ظ : المقتضب ، للمبرد :١٢٦/٤

[٢]) في النحو العربي نقد وتوجيه ، مهدي المخزومي : ٣١.

[٣]) الأثر القرآني في نهج البلاغة . د. عباس علي حسين الفحام :٩٢.

[٤]) علم المعاني ، عبد العزيز عتيق : ١٣٦.

نالت هذه الظاهرة اهتمام النحويين والبلاغيين وأفردوا لها أبوابا خاصة ، وقد وصِفَ بأنّه :((بابٌ كثيرُ الفوائدِ ، جمُّ المحاسن، واسعُ التصرُّف ، بعيدُ الغاية))[١] ، إنّ الجمل ((لا تتميزُ بحتميةٍ في ترتيبِ أجزائِها وبرغم ذلك ترك لنا النحو رُتَباً تُحفَظُ بالنسبة لهذه الأجزاء ، وأن العدول عن هذه الرُّتبِ يمثلُ نوعاً من الخروج عن اللغة النّفعية إلى اللغة الإبداعية))[٢] ، لذا ما نلمسه في النصِّ العلوي من خروج عن تلك الحدود المألوفة للجملة يمثل قمّة الإبداع في إنتاج جملٍ حيّةٍ مفعمة بالمعنى ، فمن قبيل ما ورد من تقديم وتأخير في الحكاية هو تقديم المسند إليه ، كما في قوله (عليه السلام) ردّاً على حكاية من اتهمه بالكذب : ((**بَلَغَني أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عَليٌّ يَكْذِبُ... فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ ؟ أَعَلَى اللهِ ؟...أَم عَلَى نَبِيَّهِ؟**))[٣] ، فالأصل أن يتقدم المسند (**يكذبُ عليٌّ**) ، إلا إنّ المقام أقتضى تقديم المسند إليه (عليٌّ) ؛ لاختصاصه بالاهتمام ، والبدء به يشدُّ المتلقي ويثير انتباهه ، لما بعد المسند إليه ، ثمّ أردفه بقوله (**فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ ؟ أَعَلَى اللهِ ؟ أَم عَلَى نَبِيَّهِ؟**) نفياً للكذب عنه ، إذ لا يجتمع الإيمان بالله والتصديق بالنبيِّ مع الكذب .

كذلك قوله (عليه السلام) ردّاً على حكاية من اتهمه بالضّلال من الخوارج : ((**فإنْ أَبَيْتُمْ إلاّ أنْ تَزْعُمُوا أَنَّي أخْطَأتُ وَضَلَلْتُ ... أَخَذْنا عَلَيْهِمَا أَلَّا يَتَعَدَّيَا الْقُرآنَ ، فَتَاها عَنْهُ ، وَتَرَكَا الْحقَّ وَهُمَا يُبْصِرانِهِ**))[٤] . وفي تقديمه عليه السلام الضمير (هما) على المسند الفعلي ، أبان حقيقة إنّ

---

[١]) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني : ٨٥.

[٢]) البلاغة والأسلوبية ، محمد عبد المطلب :٣٢٩.

[٣]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، م (٧٠): ١٢٥.

[٤]) المصدر نفسه ، م (١٢٧) : ٢٤٤_ ٢٤٦.

عدول الحكمين عن الحقّ وميلهما عنه كان مع علمهما به ، وليس جهلا منهما ، و بيان تلك الحقيقة لا يتأتى لولا هذا التقديم .

وقوله عليه السلام حكاية عمّن سمع حديثاً عن النبيِّ فوهم فيه : ((**فهو فِي يَدَيْهِ ، يَرْوِيه وَيَعْمَلُ بِهِ . وَيَقُولُ: أنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ الله_صلّى اللهُ عَلَيْه وَآلِهِ وَسَلَّمَ_ فَلَو عَلِمَ المُسْلِمُون أَنَّهُ وَهِمَ فِيه لَمْ يَقْبَلُوه**))[١].

فتقديم المسند إليه (أنا) أفاد تخصيص المسند الفعلي (سمعته) على المسند إليه واقتصاره عليه ؛ أي كلّ ما سمعه من النبي سمعه منه مباشرة وعمل به دون التنبّه إلى الوهم فيه .

وقد يتقدم المسند على المسند إليه كما في قوله عليه السلام ردّاً على حكاية معاوية حين فاضل بينه وبين غيره : ((**وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الإسْلامِ فُلانٌ و فُلانٌ... وَمِنّا أَسَدُ اللهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ الأحْلَافِ ، وَمِنّا سَيِّدا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ ، وَمِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ، وَمِنّا خَيْرُ نِسَاءِ العَالمِينَ ، وَمِنْكُم حَمَّالَةُ الحَطَبِ**))[٢].

فتقدم المسند(منَّا) لأهميته ولأنّ الإمام في معرض بيان أفضليتهم على غيرهم وعدم تساوي الطرفين ، ولاختصاصهم دون غيرهم بتلك الفضائل قدم المسند ليدلل على ذلك الفضل .

---

[١]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، م (٢١٠) : ٤٣٥.

[٢]) المصدر نفسه ، ك (٢٨) : ٥١٤_ ٥١٥.

ومثله قوله (عليه‌السلام) ردّاً على حكاية عمرو بن العاص حين زعم أن فيه دعابة :((**لَقَدْ قَالَ بَاطِلا، وَنَطَقَ آثِما . أَمَا _ وَشَرُّ القَولِ الكَذِبُ_ أَنّه ليَقُولُ فَيَكْذِبُ**))[١].

نلحظ في النصّ المحكي تتابع التوكيد على أنّ ما يقوله عمرو بن العاص كذباً محضاً ، فلو اكتفى الإمام بعبارة (قالَ باطِلاً) واتبعها بعبارة (ليقول فيكذِبُ) لكان دليلاً على بطلان قوله ، لكنّ الإمام فصل بين العبارتين بالجملة الاعتراضية ، التي يُؤتى بها أصلا للتوكيد ، ثمّ قدّم داخل الجملة الاعتراضية المسند (**وَشَرُّ القَولِ**) على المسند إليه (**الكَذِبُ**) تحذيراً من الكذب ، فكان توكيداً يستبطن توكيداً ، ولم يكن ليتحقق هذا التشديد بالتوكيد لولا هذا التقديم ، الذي كان له وقعه وتأثيره على النفسِ .

وقد يقدم المسند للتعجب على المسند إليه ، كما في قوله عليه‌السلام ردّاً على حكاية قريش حين قالوا إنّ لا علم له بالحرب : ((**حتَّى قَالَتْ قُرَيْشٌ : إِنَّ ابن أبي طَالبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ ، لكن لا عِلْمَ لَهُ بالْحَرْبِ . للهِ أبُوهُمْ! وَهَلْ أحَدٌ مِنْهُمْ أشَدُّ لَها مِرَاساً ، وأَقْدَمُ فِيها مُقَاماً مِنْي...**))[٢].

ففي تأخير المسند (لله) في قوله (**للهِ أبُوهُمْ**) ، ينتفي الغرض من التعجب ، وفي قوله عليه السلام رداً على من اتهمه بالكذب : ((**بَلَغَني أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عَليٌّ يَكْذِبُ... قَاتَلَكُمْ اللهُ ! عَلَى مَنْ أَكْذِبُ**))[٣]، فالغاية من التقديم هو التعجيل بما يسوء والذي أفاده أسلوب الدعاء (قاتلكم الله) .

---

١) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، م (٨٣) : ١٤٦.

٢) المصدر نفسه ، خ (٢٧) : ٨٧.

٣) المصدر نفسه ، م (٧٠) : ١٢٥.

وقد يتقدم الظرف ((إذا كان الكلام مقصوداً به الإثبات ، فتقديمه أولى من تأخيره ، وفائدته إسناد الكلام الواقع بعده إلى صاحب الظرف دون غيره))[١] كما في قوله عليه السلام ردّاً على حكاية من جاءه بهدية :((**فَقَالَ: لَا ذَا وَلا ذَاكَ ، وَلَكِنَّها هَدَّيةٌ . وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا.**))[٢]، وقوله عليه السلام ردّاً على حكاية بلغته من تسلّل رجاله إلى معاوية : ((**بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالاً مِمَّن قِبَلَك ، يَتَسَلَّلُونَ إِلى مَعَاوِيةَ ... وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الحقِّ أُسْوَةٌ**))[٣] .

ففي النصين تقدم الظرف على خبر (إنّ) ، ففي **الأول:** أفاد إثبات حكم ((الزهد في الدنيا))[٤]، التي جعلها اقلَّ وأحقر من ورقة في فم الجرادِ ، وفي **الثاني:** إثبات صفة العدل وقصرها بهم وأنَّ الناسَ متساوون عندهم في الحقَّ على خلاف غيرهم ، ممن هرب لمعاوية طمعا بالدنيا.

كذلك ورد تقديم شبه الجملة كما في قوله (عليه السلام) ردّاً على حكاية من اتهمه بالحرص على الخلافة :((**وَقَدْ قَالَ قَائِلٌ : إِنَّك عَلَى هذا الأَمْرِ يا بْنَ أَبِي طَالِبٍ لَحَرِيصٌ**))[٥]. والمقصود بـ (الأمر) الخلافة وقُدّم ؛ كونه محل الإنكار والتعجب ، فقد أُتِهمَ بحرصه عليها علماً أنّه الأقرب

---

١) المثل السائر ، ابن الأثير : ١٧٢/٢.

٢) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، م (٢٢٣) : ٤٦٢.

٣) المصدر نفسه ، ك (٧٠) : ٦١٧.

٤) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني ١٠١/٤.

٥) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، خ (١٧٢) : ٣٢٦_ ٣٢٧.

منها والأخص ((وكل من كان أحرص على هذا الأمر وأبعد، ليس له أن يُعيّرَ الأقرب بالحرص بها))[١] ، فالتقديم هنا جاء لبيان أهمية الخلافة ، كما اتخذ الإمام من هذا التقديم وسيلة لتوضيح من له حقّ المطالبة بها .

كذلك قوله (عليه‌السلام) ردّاً على من اتهمه بالجبن والشّك في قتال أهل الشّام :((**أَمَّا قَوْلُكُمْ : شَكَّا فِي أَهْلِ الشَّامِ ! فَوَاللهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوماً إِلاَّ وَأَنا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدي بي**))[٢]. فتقدمت شبه الجملة (بي) على الفاعل (طائفة) لتقصر الهداية به عليه‌السلام دون غيره بما يدلُّ على أنّه يمثّلُ الحقَّ دون سواه ، وأخرت مرة ثانية لكونها متعلقة بالطرف الثاني فلهم إذا عرفوا الحق وطريق الهداية أن يتبعوه أو يخالفوه .

وقد يكون التقديم بالنفي كما في قوله (عليه‌السلام) ردّاً على حكاية من يزعمون قتال العدو في مجالسهم : ((**تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ : كَيْتَ وَكَيْتَ ... لَا يَمْنَعُ الضَّيْمَ الذَّلِيلُ ، وَلَا يُدْرَكُ الحقُّ إِلاَّ بالجدِّ**))[٣] فتقدمت أداة النفي لتدل على نفي المنع بشكل عام وأن لم يحصل الضيم ، وقُدِم المفعول على فاعله لكونه دائرة الكلام تدور حوله ، فالذليل لما فيه من ضعفٍ ومهانةٍ لا يستطيع دفع ما يقع عليه من ذلٍّ ، وهو((تنبيه لهم لقبح الذل ليفيئووا إلى فضيلة الشجاعة))[٤] ،

---

[١] شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني :٤١٢/٣.

[٢] نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، م (٤٥) : ١١٤ .

[٣] المصدر نفسه ، م (٥) : ٦٢.

[٤] شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني: ٧٥/٢.

أن ((ما ترتب على التقديم والتأخير يُنبّه إلى عظيم شأن النظم ، وكيف يؤثر ذلك على المعنى تأثيراً بالغاً))[١] ، وجعلَ الجمل توحي بأكثر مما لو كانت منتظمة حسب نظامها الموضوع لها.

٢_ أسلوب القصر

هو أحد أساليب البلاغية الذي عرَّفه علماء المعاني بأنّه: ((تخصيص شيءٍ بشيءٍ أو أمرٌ بآخر بطريق مخصوص))[٢]، وللقصرِ أهمية بلاغية كبيرة ذلك ((أنّه تأكيدٌ فوق تأكيد ؛ لأنّه يضغط جملتين في جملة واحدة ، فهو تركيزٌ شديدٌ في الأسلوب))[٣]، وللقصر طرق متعددة ما يلفت الانتباه في بعض تلك الطرق أنّها تارة تكون وسيلة في بناء حكاية موجزة ، وتارة وسيلة في بناء الحكاية المفصلة لما تمنحه في بعض المواضع من فرصة في إطالة الجملة ، شأنها في ذلك شأن الجملة الشرطية ، منها:

أ _ النفي والاستثناء

وهو من الأساليب التي قلّ مجيئها في الحكاية الموجزة ، ويكون أمّا بـ(لا) أو (ما) ولا يكون ذلك إلا في الاستثناء المنقطع ، ومثال ما جاء منه في الحكاية الموجزة ، قوله (**عليه السلام**) ردّاً على حكاية الخوارج حين قالوا لا حكم إلّا لله :((**نَعَمْ إِنَّه لا حُكْمَ إِلاَّ لله ، وَلَكِنَّ هؤُلَاء**

---

[١]) البلاغة والأسلوبية ، محمد عبد المطلب : ١٣١.

[٢]) علم المعاني ، عبد العزيز عتيق: ١٥١.

[٣]) أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية ، د. صباح عبيد : ٩.

يَقُولُونَ: لَا إِمْرَةَ ، وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ))[١] .

إنّ الفرق واضحٌ بين العبارتين اللتين نقلهما الإمام ، فهو (عليه‌السلام) نفى الحكم لغير الله وأثبته لله ، وهذا ما دلت عليه أداة الاستثناء (إلاّ) ، أمّا الإمرة فجائز أن تكون لغير الله وهذا ما نفاه الخوارج ، فردَّ الإمام قولهم ، بقوله (**وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ**)، إذ لا بدّ من وجود أمير ، فلا تستقيم أمور الناس من دون قيادة أو رئاسة .

ومثله قوله ردّاً على حكاية من يزعمون في مجالسهم قتال العدو: ((**تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ : كَيْتَ وَكَيْتَ، فَإِذا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ: حِيدي حَيَادِ ... وَلَا يُدْرَكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ.**))[٢]، جاء النفي بـ (لا) وهي تدل على مطلق النفي ؛ أي الحال والاستقبال فيشمل كل زمان ، فنفى الإمام أدراك الحقّ إلا عن طريق الجدّ ، فالحقَّ بكل وقتٍ لا يُؤخَذُ بالتقاعس والتخاذل ، وإنّما بالاجتهاد والسعي .

ب ـ القصر بـ (إنّما)

وهي ((تجيء لخبرٍ لا يجهله المخاطب ، ولا يدفع صحته ، أو لما ينزّل هذه المنزلة))[٣] ، فتستعمل لإثبات ما بعدها ونفي ما سواها ، فتلتقي مع أسلوب النفي والاستثناء بهذه الخصيصة ، والأداة إنّما ((بجرسها وغنتها وقوتها ودلالتها ، لا تكون ألا في المواقف الهادئة الناعمة دون جلبة أو ثورة ، إنّها تتصدر الحقائق والأفكار والمشاعر والمواقف ، تبعث فيها حياة جديدة

---

١) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، م (٤٠) : ١٠٢.

٢) المصدر نفسه ، خ (٢٩) : ٩٠ .

٣) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني : ٢٢٢

وتسوقها إلى النّفس المتلقية سوقاً هادئاً))[١] ، وقد وردت (إنّما) في الحكاية العلوية في مواضع كانت كبقية الوسائل ، تارة للإيجاز ، وتارة للتفصيل ، فمجيئها للإيجاز كان في موضع واحد هو قوله (عليه السلام) حين بلغه استمالة معاوية لعامله زياد ابن أبيه : ((**وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مَعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُّ لُبَّكَ ، وَيَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ ، فَاحْذَرْهُ ، فَإِنَّمَا هو الشَّيْطَانُ**))[٢] .

نلحظ في النصّ المحكي ، اتخاذ الإمام عليه السلام القصر وسيلة واضحة لحمل عامله على الحذر من الاغترار بكلام معاوية ، فجاء قوله (**فَإِنَّمَا هو الشَّيْطَانُ**) لإعطاء صورة دقيقة لمعاوية ، لا يمكن أن تظهر بهذا الشكل من الدقة لولا القصر ، إذ قصر صفة الوسوسة المختصة بالشيطان فيه ، وهو من باب قصر الصفة على الموصوف . متعددة منها قوله (عليه السلام) رداً على حكاية بلغته : ((**فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالاً مِمَّنْ قِبَلَكَ يَتَسَلَّلُونَ إِلى مَعَاوِيَةَ ، فَلَا تَأْسَفْ عَلَى مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ...فَإِنَّما هُمْ أَهْلُ دُنْيا**))[٣].

يبين الإمام في النصّ المحكي حال من تعلق بالدنيا وملذاتها ، وترك الآخرة لأجلها ، حين بلغته حكاية عن التحاق بعض الرجال بمعاوية ، فأوضح عليه السلام إنّهم لم يلتحقوا بمعاوية إلا لطلب ما بيده ونيل المنافع الدنيوية ، لذا جاءت أداة القصر في قوله **(فَإِنَّما هُمْ أَهْلُ دُنْيا)** لبيان هذه الحقيقة ، إذ إنّهم عرفوا الحق ووعوه ، لكنهم آثروا الدنيا على الآخرة .

---

[١]) أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها ، د. صباح عبيد : ٢١٨ .

[٢]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، ك (٤٤) : ٥٥٢.

[٣]) المصدر نفسه ، ك (٧٠) : ٦١٧.

نظيره قوله (عليه السلام) وهو من جملة ما ردَّ به على حكاية بلغته عن عامله حين دُعي إلى مأدبة ((**أَمَّا بَعْدُ ، يا بْنَ حُنيفٍ**[١] **:فَقَد بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إلى مَأْدُبةٍ فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوانُ ، وَتُنْقَلُ إليْكَ الْجِفَانُ ... وَإِنَّمَا هِي نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوى لِتَأتِي يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ**))[٢] .

لمّا كانت الغاية الأسمى عند الإمام تتمثل بالوصول للحقِّ جل وعلا ، وهذا يتطلب أخراج الإنسان الدنيا من قلبه ، فلا يتعلق بغير الله ، وليس من وسيلة لذلك إلا بترويض النفس بالتقوى ، وخصّ التقوى بالذكر ، وقصر الرياضة عليها ؛ لأنّ فيها ((صيانة النّفس عمّا تستحق به العقوبة))[٣]، وبحصول التقوى يتحصل الإيمان ، أمّا اقتصاده في ملبسه ومأكله فهو عمل يعمله لله تعالى حتى لا يتعلق بالدنيا وملّذاتها ، وهو ما يتعارض مع التقوى ، وبذلك يحصل له الآمان يوم القيامة .

إذاً نلحظ من السابق ذكره أنّ هناك عناصر ووسائل متعددة أسهمت في إخراج الحكاية العلوية الموجزة ، منها الإيجاز بأسلوبيه : الحذف والقصر ، وكان للحذف حضور أكبر من القِصر ، كذلك أسلوب بناء الجملة القصيرة الذي : شمل أسلوب التقديم والتأخير الذي كان له ظهور كبير، وأسلوب القصر الذي شمل : أسلوب النفي والاستثناء ، والقصر بـ (إنّما) ، على الرغم من قلّه حضور الأخيرين ، إلاّ إنّهما أسهما في بناء الحكاية ، فكلّ تلك الوسائل عملت

---

[١]) ابن وهب بن عُكيم بن ثعلبة بن الحارث بن مجدعة بن عمرو بن حنش بن عوف بن عمرو بن عوف الأنصاري ، سير أعلام النبلاء ، الإمام احمد بن عثمان الذهبي : ٢/ ٣٧٠ .

[٢]) المصدر نفسه ، ك (٤٥) : ٥٥٣_ ٥٥٥.

[٣]) التعريفات ، الشريف الجرجاني : ٦٨

على إيجاز الحكاية بما تملكه من قدرات تعبيرية ، أخرجتها بهيكليةٍ موجزة ، عميقة الدلالة ، غزيرة المعاني ، توحي بقدرةٍ فذةٍ ، وتمكّنٍ عالٍ .

الفصـل الثّـانــي

بلاغة التصوير البياني في الحكاية

بناء الصورة الفنية

المبحث الأول : بلاغة الحكاية في التصوير التشبيهي المقارن

١_ بلاغة التشبيه البليغ ٢_ بلاغة التشبيه المركب أو التمثيلي

المبحث الثاني: بلاغة الحكاية في التكثيف الاستعاري

١_ التصوير بالاستعارة المكنية

٢_ التصوير بالاستعارة التصريحية

٣_ التصوير بالاستعارة المرشّحة

المبحث الثالث: بلاغة التصوير في الحكاية المتوارية

أولا: حكاية الكناية بحسب صورة المكنى عنه

١_ صورة الكناية عن صفة .

٢_ صورة الكناية عن موصوف

٣ _ صورة الكناية عن نسبة

ثانيا: حكاية الكناية بحسب الوسائط والسياق :

١_ صورة التعريض .

٢_ صورة الإيماء والإشارة .

٣_ صورة الرمز

بناء الصورة الفنية

شكّلت الصورة محوراً مهماً ، دارت حوله الدراسات النقدية القديمة منها والحديثة ، وعلى الرغم من كثرة الدراسات ، إلا أنّها لم تقف على ماهية الصورة وحدودها ؛ لذا بقي مصطلح الصورة شاسعاً رحباً ، كما ويصعب وضع تعريفٍ محددٍ له ؛ لأنّ عملية خلق صورة فنية يرتبط بالإبداع نفسه ، والإبداع مسألة متغيرة خاضعة لطبيعة الفرد وطاقته وموهبته[١] ، والحديث عن الصورة يرتبط بشكل مباشر بالحديث عن الخيال ، الذي يُعدّ الأساس في تشكّلها فـ ((هو قوة داخلية نفسيّة))[٢] ، فالصورة وليدة الخيال الذي ((تتجلى قدرته في إيجاد التناغم والتوافق بين العناصر المتباعدة والمتنافرة))[٣] ، أو هدم ماهو موجود وإعادة بنائه ؛ بغية اكتشاف العلاقات الرابطة بين الظواهر[٤] ، ولا غنى للخيال عن الكلمة ، فمن غير الممكن معرفة الأفكار التي تجول في عقل المبدع من دونها ؛ لذا تعني عند بعضهم ((عملية رسم قوامه الكلمات))[٥] ، فهي ((تشكيل لغوي خاص يُجسّد مضمون تجربة المتكلم ، ورؤيته الخاصة في هيئة ما ، يمكن استحضارها وتمثّلها في الذهن))[٦] ، فالاستعمال اللغوي مرتبط بموهبة المتكلم وقدرته على

---

[١]) ظ : الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث : بشرى موسى صالح : ١٩ .

[٢]) الخيال أداة الإبداع ، الحسين الحايل : ٣٧ .

[٣]) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، جابر عصفور : ١٣ .

[٤]) ظ : الصورة الشعرية وحسيّة الإدراك ، د . صباح لخضاري (بحث منشور) ، مجلة فكر ، جامعة تلمسان ، الجزائر ، ص: ٨٥_٨٦.

[٥]) الصورة الشعرية ، سيسل دي لويس : ٢١ .

[٦]) الصورة الشعرية مفهومها وتقنياتها في النصّ الشعري ، عادل بشير الصاوي (بحث منشور) ، الجامعة الأسمرية ، عدد ٢٦ ،ص :٢٦٠.

اختيار الألفاظ وكيفية صياغتها لتوليد معاني جديدة ، وتشكّل العاطفة ركيزة مهمة أيضاً ، فيكون للصورة ((تأثيران : **احدهما** : معنوي عاطفي ، **والثّاني** : موسيقي يُعين في قوةِ العاطفة وسرعة تأثيرها، وهذا ما يسمى بالنظم ، أو جمال الأسلوب))[١] ، وهذا ما يتميّز به أديب عن آخر ، فكلٌّ منهما ((يتوسل بكلِّ أدوات الإبلاغ محاكياً موضوعاً ما على حقيقته ، وقاصداً الفهم والإفهام لا غيرها ، لتكون هذه الأدوات منابع الصورة الفنية))[٢] ، فإذا كانت الصورة تشكيلاً فنياً قائماً على اللغة والخيال والعاطفة ، التي تتوقف كلَّها على مبدعٍ متمكنٍ من بناء صورة فنية حاملة للقيم الجمالية ، تلك القيم التي ((ترتبط ارتباطاً كبيراً بعملية التصوير ، سواء كان التصوير بصرياً ، أو ذهنياً ، أو عقلياً))[٣] ، فإن تلك الأسس لها مع عليٍّ ملتقى ، وإلى هذا يشير العقاد بقوله : ((وللذوق الأدبي أو الذوق الفني ملتقى بسيرته كملتقى الفِكر والخيال والعاطفة ؛ لأنّه رضوان الله عليه كان أديباً بليغاً له نهجٌ من الأدب والبلاغة ، يقتدي به المقتدون ، وقسط من الذوق المطبوع يحمده المتذوقون ... فهو الحكيم الأديب ، والخطيب المبين، والمنشيء الذي يتصل إنشاؤه بالعربية ما اتصلت آيات الناثرين والناظمين))[٤] ؛ لذا نلمس في النصوص العلوية ولاسيّما الحكائية ، بلاغةَ كلمةٍ ، وسعةَ خيالٍ ، وبراعة تصويرٍ ، وصدق مشاعرٍ ، أطّرت الصورة الحكائية وشحنتها قوةً ، صورة قد تُقدم بكلمة ، أو جملة فتعكس أكثر ما

---

[١]) أصول النقد الأدبي ، احمد الشايب : ٢٤٤.

[٢]) الصورة الشعرية بين التشكيل الجمالي إلى جماليات التخيّل ، ابتسام دهينة (بحث منشور) ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر، عدد: ١٠ ، ص: ٢٣٦ .

[٣]) الخطاب في نهج البلاغة ، عبد الحسين العمري : ١١٤ .

[٤]) عبقرية الإمام علي : ٧ .

موجود في العالم الخارجي .

والصورة الفنية تحتاج إلى أدوات تُوظَّف في بنائها وإخراجها ، وتشكّل التشبيهات والاستعارات والكنايات وسائل لبناء صورة قادرة على ترجمة الأفكار ترجمة دقيقة ، تتجاوز حدود البنية اللفظية إلى رسمِ مشاهدَ حيةٍ ، يتذوقها المتلقي ويتفاعل معها ، ولاسيّما تلك المكونة من جزئيات ، فتلامس خياله وتجعله يبحث عن تلك العلاقات الرابطة بين الأجزاء ، وهذا ما هي عليه الصور الحكائية العلوية ؛ لذا عنى هذا الفصل ببيان تلك الوسائل التي أسهمت في تكوين تلك الصور ودراسة بلاغتها ، وخُصص هذا المبحث لتسليط الضوء على أولى تلكم الوسائل البيانية ، وهو التصوير التشبيهي المقارن ، الذي كان الأقل حضوراً في الحكاية العلوية ، ومنهج الدراسة يقتضي البدء بأكثر الوسائل البلاغية ظهوراً ؛ لكن كونه يشكّل حجر الأساس في البناء الصوري ، اقتضت الحاجة إلى أن يكون البدء منه .

أولاً : بلاغة الحكاية في التصوير التشبيهي المقارن

التشبيه فنٌ بلاغيٌ بيانيٌ قائم على عقد مقارنة بين صورتين ، شغل مساحةً واسعةً في الدراساتِ البلاغية قديماً وحديثاً ، إذ إنّ مهمة البيان الكشف والإبانة عن المعاني ، متخذاً وسائل متعددة في عملية الكشف هذه ، أولها بل والأساس فيها هو التشبيه ، إذ إلى جنب ما يضيفه التشبيه على الكلام من بهاء ورونق وجمال ، وإيضاح ، فهو أيضاً له قدرةٌ على إخراج المعاني الخفية إلى العلن ، وتقريب البعيد ، عن طريق رسم صورة فنية قادرة على نقل تلك الأفكار والمعاني المتضمنة فيها ، إلى المتلقي الذي يعمل على تفتيت تلك الصورة إلى أجزائها المكوّنة

لها بغية فهم تلك المعاني والتأثر بها والانفعال معها ، وقد ذكر البلاغيون للتشبيه تعريفات متعددة منها ما ذكره الرماني(٣٨٤هـ) وهو ((العقد على أنّ أحد الشيئين يسدّ مسدّ الآخر))[١] ، وإلى المعنى نفسه أشار العسكري(٣٩٥هـ) ، إلا أنّه قال ينوب مناب الآخر[٢] ، وقولهما يبعد عن معنى التشبيه ؛ لأنّ الشيء إذا سدّ مسد الآخر أو ناب منابه ، معناه طابقه بكلِّ شيءٍ على الإطلاق ، وهذه المماثلة التي لا تكون إلا بين المتفقين[٣] ، وهي على نقيض المشابهة ، وقد جمع ابن الأثير(٦٣٧هـ) بين المماثلة والمشابهة عند تعريفه للتشبيه بقوله: ((هو الدلالة على اشتراك شيئين في معنى من المعاني ، وأن أحدهما يسدُّ مسدّ الآخر))[٤] ، إلا إذا كان قصده يسد أحدهما مسدّ الآخر في ذلك المعنى وليس مطلقاً ؛ لذا ارتأينا أن نذكر ما أورده القزويني (ت٧٣٩هـ) في التشبيه لقربه من المعنى المراد : وهو((الدلالة على مشاركة أمر لآخر في المعنى))[٥] ، وهو ما يقرب من معناه اللغوي الدّال على المماثلة [٦] ، ونعني بالمماثلة هنا المشابهة ، ممّا يعني أنّ المماثلة أعمّ من المشابهة ، ويستلزم التشبيه طرفين ، وهذان الطرفان يمثل أحدهما ((فرع هو المُشبّه وهو المعنى المراد نقله، وإظهاره وهو الصورة الأصليّة ، وأصل هو المشبّه به ؛ أي الصورة المشابهة التي يُعرضُ المعنى من خلالها))[٧] ، ويرتبطُ هذان

---

[١] ظ : النكت في إعجاز القرآن ، الرماني : ٨٠ .
[٢] ظ : كتاب الصناعتين ، العسكري : ٢٣٩/١.
[٣] ظ : لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (مثل) : ٦١٠/١١
[٤] الجامع الكبير ، ابن الأثير : ٩٠.
[٥] الإيضاح : ١٦٤ .
[٦] ظ : لسان العرب ، ابن منظور، مادة (مثل) : ١٣/ ٥٠٣.
[٧] التصوير الفني في خطب الإمام علي(ع) ، د. عباس علي حسين الفحام : ٧٥.

العنصران ، بأداةٍ تظهر أو تُحذف ((لجعل المشبّه مشبهاً به ، فيكون هو إيّاه بلا واسطة))[١] ، وتجمع الطرفين علاقةٌ هي الأساس في التشبيه ويسمى (وجه الشبه) ، إذ لا فائدة من عقد مقارنة بين شيئين من دون وجود شيءٍ يقارب بينهما.

إنّ أجمل التشبيهات تلك التي تبحث في الاختلافات لإيجاد نقاط الاشتراك ، وكلّما زاد البعد بين المتشابهين ، كلّما كان التشبيه أعجب ، وهذه هي مهمة المبدع الذي يشكّل الطرف الأساس في بناء الصورة ، حيث تتجلى قدرته ((على إيجاد ائتلافات بين طرفين يبدوان جداً متباعدين ، إمّا لأنّهما متنافران بالفعل ، والإبداع يكون في إيجاد نقاط التقاء بين المتنافرات ، أو لأنّنا اعتدنا صور الأشياء وألفناها بهذا الثبات فيأتي من يحرك هذا الثابت في أنظارِنا))[٢]، ممّا يعني أنّ ((التشبيه يفيد الغيرية ولا يفيد العينّية ، بمعنى أنّ طرفي التشبيه لا تتداخل معالمهما ، ولا يتحدُ أي منهما ، أو يتفاعل مع الآخر ، بل يظلُّ هذا غير ذاك))[٣] ، فتكمن بلاغته ((في تحقق ما أُريدَ به ، من التحقيق بين شيئين أو الوقوف على مدى التقريب بينهما ، إذ إنّه كلما كان التشبيه محققاً للغرض الذي أُجتلب من أجله كان أبلغ وأعلى))[٤] ، وإلى جانب المبدع هناك المخاطَب الذي يُعدُّ طرفاً أساس في بناء الصورة ، فعليه تتوقف مهمة تمييز العلاقات القائمة بينها ، أو المبنية عليها ، وصولاً إلى المعنى الكلّي ، الذي يشكّل الغاية والهدف منها ، لذا نلحظ أنّ للحكاية التي ينقلها الإمام أثراً في اختيار الصورة وطريقة بنائها ، حتّى تكون قادرة على إيصال

---

[١]) المثل السائر، ابن الأثير : ٣٧٧/١.

[٢]) الأثر القرآني في نهج البلاغة ، د. عباس علي حسين الفحام : ١٤٩.

[٣]) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، جابر عصفور : ١٧٤.

[٤]) الصورة الأدبية في القرآن الكريم ، صلاح الدين عبد التّواب : ٤٥.

المعاني التي يريدها الإمام للمتلقي ، فللصورة غايات تبنيها ، وأهداف تؤديها ، فعمليتا الإبداع والابتكار هما ما نلمسه في التشبيهات الواردة بالحكاية في نهج البلاغة ، وعلى الرغم من أنّ التشبيه كان المظهر الأقلَّ حضوراً من بين صياغة الصور البيانية الأخرى ، إلّا إنّه أسهم بشكل فعّال في رسم صورة فنية لافتة ، ولا نفترض أنَّ كُلَّ التشبيهات في الحكاية هي جديدة ، فقد تكون بعض مشاهدها ممّا ألفه الناس وعرفوه في حياتِهم ، لكنَّ الجدةَ فيها هي طريقة استحضارها ، وربطها ببعضها بعضاً ، فتبدو نسيجاً واحداً ، وصورة جديدة متخلقة من ركام صور اندثرت في أذهان الناس ، فتعكس واقع ما سيقت لبيانه ، وقد جاء في الحكاية أنواع من التشبيه ، لكن البحث اختصّ بدراسة نوعين منهما ؛ لخصوصيتهما ودقة الصورة فيهما ، هما :

أولا: بلاغة التشبيه البليغ

التشبيه البليغ هو الذي لا يُذكرُ فيه وجه الشبه وأداة التشبيه ، وصورته تحتاج إلى مقدرة عالية وتمكّن كبير ، وتكمن قيمته البلاغية فيما تقدم صورته من ذوبان طرفي التشبيه مع بعضهما في صفة تجمعهما ، وكلما غاب وجه الشبه كّلما توهم إتحاد طرفي التشبيه ، لذلك يحتاج فهمه إلى التفكّر والتدّبر وإعمال الذهن فيه ، وهذا ما نجده جلياً في قوله (عليه‌السلام) حكاية عن موقف الناس إزاء موقفه من الخلافة : ((**فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا : حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ ، وَإِنْ أَسْكُتْ**

يَقُولُوا جَزَعَ مِنَ الْمُوتِ.... بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُمْ اضْطِرَاب الْأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ االْبَعِيدَةِ[١]))[٢].

إنّ الحكاية التي نقلها الإمام **عليه السلام** تُنبئ عن قلّة علمهم وقصور إدراكهم على استيعاب علمه و الغاية من نطقه وسكوته ، لذلك نلحظ توسل الإمام بأشياء حسيّة عرفتها حياة العربي ، وليست بالجديدة عليه ، في عقد تشبيه بين أمرين أحدهما عقلي والآخر حسيّ ، فشبّه اضطرابهم في حالة اطلاعهم على ما حواه من علم ، باضطراب الحبل الملقى في بئرٍ ، وتوسله بهذا الأشياء لغرضين :

الأول _ صرف أذهانهم للهيئةِ الحاصلة من اضطراب الحبل ، حين إلقائه في بئرٍ عميقةٍ، إذ يتحرك باهتزاز وعدم انتظام يميناً وشمالًا، وهذا الاضطراب يزداد كلّما زاد طول الحبل المستلزم عمق البئر، فإذا حصلت هذه الهيئة في الذهن واستقرت ، انتقل ذهنهم إلى تصور حالة اضطرابهم عند معرفة ما انطوت عليه نفسه من علمٍ غزيرٍ، الذي عبّر عنه بالبئر العميقة ، فيحصل عندهم تلازم بين الهيئتين ، به يُدرك وجه الشبه ، وهو عدم قدرتهم وقصورهم عن معرفة مبلغ علمه ، أو بيان اختلافهم الذي يكون سبب اضطرابهم ، وكلا الحالين يصحان.

الثاني _ مراعاة لأحوال المخاطَبين ، ومستوى فهمهم وثقافتهم فهذه الأشياء المحسوسة هي الأقرب إلى تصورهم ، والأقدر على إيصال المعنى لهم ،لأجل إحداث التأثير المطلوب .

---

[١]) **الْأَرْشِيَةِ** :هي الحبل الطويل ، و**الطَّوِيِّ**: هي البئر ، لسان العرب : ١٤/ ٣٢٢ (مادة رشى)، و ظ: المصدر نفسه : ١٩/١٥ (مادة طوى) .

[٢]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، م (٥) : ٦٢ .

وقد يتخذُ الإمام عليه السلام أسلوباً آخراً للتعبير عن المعاني نفسها ، كما في قوله رداً على حكاية من يدّعون قتال العدو في مجالسهم : ((**تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ : كَيْتَ وَكَيْتَ ، فَإِذا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ : حِيدِي حَيَادِ ... مَا عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ ، وَلَا اسْتَرَاحَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ أَعَالِيلٌ بِأَضَالِيلَ دِفَاعَ ذِي الدَّيْنِ الْمَطُولِ ، لَا يَمْنَعُ الضَّيْمَ الذَّلِيلُ ، وَلَا يُدْرَكُ الْحقُّ إِلَّا بِالجِدِّ.**))[١] .

تجسّدت الصورة التشبيهية المقارنة ، في قوله عليه السلام (**دِفَاعَ ذِي الدَّيْنِ الْمَطُولِ**) ، وصاحب ((الدّيْن المطول ، الذي يتأخر عن أداء ما عليه من دين، ويشتهي عدم مطالبته به ، فيتجنبُ غريمه))[٢] ، وجعله طرفاً في التشبيه ؛ لأجل تقريب وجه الشبه إلى الأذهان إذ به يكون أكثر وضوحاً ، والجامع بينهما هو التماهل والتباطؤ في أداء الحقوق ، وبيان هذه الصورة جاء بعد أن نقل الإمام ما يدّعونه من قتال العدو ، والذي عبّر عنه بقوله (**كَيْتَ وَكَيْتَ**) ، وهي كناية عن أحاديثهم ، حتى إذا جاءت الحرب وسعّرت نارُها ، فرّوا منها ، وهذا ما أشار إليه بقوله (**حِيدِي حَيَادِ**) ، وهي كلمة يقولها الفارُّ من الحرب ، أي ميلي عنّا واعتزلينا[٣] ، فتلك الكنايتان اللتان توسل بهما الإمام ، مثلتا مقدمة لتلك الصورة التشبيهية ، التي اختزنت الكثير من المعاني تمثلت في بيان انحرافهم عن طاعته ، وكرههم ملاقاة عدوهم ؛ بسبب ضعفهم وتخاذلهم ، الذي يوجب انهزامهم عن الحرب ، بعد ما دعاهم لها ، وبلاغة هذا الصورة تكمن في قدرتها على صبِّ المعاني نفسها التي وردت في النصِّ الأول بقوالب لفظية جديدة ، تجبناً للتكرار

---

[١] نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، خ (٢٩) : ٩٠ .

[٢] مفتاح السعادة . محمد تقي النقوي : ٢٤٤.

[٣] ظ : شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٢/ ٧٣ .

المنفر ؛ لذا يغيّر الإمام **عليه السلام** في كلِّ مرة من أساليبه التعبيرية ، ليحمل النّفس على تلقّف ما يقوله واستيعابه ، فيكون أثر التشبيهِ هنا الكشف عن تلك الأحوال المتناقضة وبيانها ، فيؤدي ثراً يمكن أن نسميه إدراكيا ؛ أي حصول المعرفة ، وآخر تأثيريّاً بالتفاعل معه ، عندئذٍ يكون قد حقق الغاية التي سيق لأجلها .

إنّ الدقة والتكثيف المعنوي الذي يقوم عليهما بناء الصورة المقارنة ، يتوقف بشكلٍ كبير على الغرض أو الهدف الأساسي منها ، فإذا كان الهدف وعظي ، وتوجيهي ، وتحذيري ، فإن الصورة تكون مثقلة بالدلالة ، ينصهر فيها طرفا التشبيه ، حتى يكون المشبّه هو عين المشبّه به ، وهذا ما نلمسه في كلام الإمام **عليه السلام** حين بلغه استمالة معاوية لعامله زياد ابن أبيه : ((**وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مَعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُّ لُبَّكَ ، وَيَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ ، فَاحْذَرْهُ ، فَإِنَّمَا هو الشَّيْطَانُ : يَأْتِي الْمَرءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ، لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ ، وَيَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ**))[1] .

إنّ استعمال التشبيه البليغ هنا في قوله **عليه السلام** (**فَإِنَّما هو الشَّيْطَانُ**) ، يضرب في صميم المعنى ؛ لأنّه بتشبيهه معاوية بالشيطان ، أبان شدةِ التقارب بين المشبّه والمشبّه به حتى كأنّهما شيءٌ واحدٌ ، فنلحظ تصدر العبارة بأداة القصر(إنّما) ، وأيضا تقديم الضمير المنفصل (هو) ، الذي يُشعِر بالأهمية وإنّ مرتكز الصورة يدور حوله ، واختصاص الشيطان ليكون طرفاً في التشبيه مرجعه إلى : كونه يجسد صور الشرّ المحض ، وهي صورة قارّة في أذهان

---

[1]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، ك (٤٤) : ٥٥٢ .

المسلمين ؛ لما نسبه إليه القرآن الكريم من قبيح الفعال في كثير من المواضع ، منها قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا** ﴾[١] ، وقوله تعالى : ﴿ **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُم الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ** ﴾[٢] وحذر أيضاً من إتباعه في قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾[٣] ، واتخاذه طرفاً في التشبيه ، هو من باب المبالغة والتخويف ، إذ إنّ خَوْف الإنسان من شيءٍ لم يره يكون أشدّ لاسيّما إذا علم أنّه شرٌ لا خير فيه ، لذا جاء هذا التشبيه ليحرك هذه الصورة ، فيعمل المتلقي على التقاط تلك المعاني التي يوحي بها لفظ الشيطان ، وإثباتها في الطرف الآخر وهو المشبه ، فالناظر إليهما يكون كمن ينظر إلى صورة وظلالها .

إنّ الجامع بين الطرفين ، هي حال التضليل والتزّييف والانحراف عن جادة الحقِّ ، فمثلما الشيطان بوسواسه يُلبِسُ على الإنسان دينه بتصويره الشرور بصورة الخير، والباطل بصورة الحقّ فيراوده من جميع جهاته حتى يصير إلى الخطيئةِ ، كذلك معاوية بأمانيه الزائفة ، ووعوده الباطلة التي هي أشبه بوساوس الشيطان ، وأشار الإمام إلى قصد معاوية من تلك الأماني الباطلة ، بقوله : (**يَسْتَزِلُّ لُبَّكَ ، وَيَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ**) ، واللبّ هو العقل ؛ أي يحاول أن يستدرجك إلى الخطأ في عقلك وتفكيرك ، و (**يَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ**) والغرب هو حد السيّف ، استعاره الإمام للعزم ، تشبيهاً للإنسان بقوة ثباته وشدّة عزمه بالسيّف الحاد ، فمتى ما تزعزعت عزيمته وخوت ، كان كالسيّف المنثلم ، أمّا قوله (**لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ ، وَيَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ**) هو تقرير لما سبق ((فشبه

---

[١]) سورة فاطر ، آية : ٦ .
[٢]) سورة البقرة ، آية : ٢٦٨ .
[٣]) سورة الأنعام ، آية : ١٤٢ .

البيت بالغفلة ، يسكن فيه الغافل ، والشيطان بشخص يدخله ويقتحمه ليأخذ الإنسان، ويسلبه عقله))[١] ، وذكر الإمام الجهاتِ الأربعةِ دونَ الفوقية والتحتية ذلك ؛ ((لأن جهة فوق ، جهة نزول الرحمة ومستقر الملائكة ، ومكان العرش ، والأنوار الشريفة ، أمّا تحت ؛ فلأن الإتيان بها يوحش وينفّر عنه ؛ لأنّها الجهة المعروفة للشياطين ، فعدل عنها إلى ما هو أدعى إلى قبول وساوسه))[٢] ، فكان تشبيه معاوية بالشيطان هو الأقرب والأقدر على إظهار طبيعته وما انطوت عليه من مكر وخديعة ، فتلك الصورة تحمل المتلقي عند التدبر فيما تحمله من معانٍ ، على الحيطة والحذر من الاغترار بوعوده المضللة المهلكة المبعدة عن الحقِّ

ثانياً _ بلاغة التشبيه المركب أو التمثيلي :

هو تشبيه مركب من صورتين أو أكثر ، ويكون وجه الشبه فيه هيأة أو صورة منتزعة من أمور متعددة ، والتصوير به أبلغ من غيره ؛ لأنّ التمثيل ((إذا جاء في أعقاب المعاني ، أو برزت هي باختصار في معرضه ونُقِلت عن صورها الأصلية إلى صورته ، كساها أُبَّهةً ، وكسبها منقبةً ، ورفع من قدرها ، وشبَّ من نارها ، وضاعف قواها في تحريك النّفوس لها))[٣] ، ففيه تتجلى مقدرة المبدع في ضمّ الصور مع بعضها بعضاً ، حتى تغدو كلّها بمرتبة الواحد ، وهذا ما نلمسه في الحكاية العلوية ، التي جاء فيها هذا النوع من التشبيه في ثلاثة نصوصٍ فقط ، أحدهما قوله **عليه السلام** رداً على حكاية معاوية : ((**أمّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيه**

---

[١]) مفتاح السعادة ، محمد تقي النقوي : ٣٠٩/١٥.

[٢]) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ١٦/ ٣٠٠.

[٣]) أسرار البلاغة ، الجرجاني : ١١٥ .

اصْطِفَاءَ اللهِ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِدِينِهِ ، وَتَأْيِيدَهِ إِيَّاهُ بِمَنْ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ ؛ فَلَقَدْ خَبَّأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً ؛ إِذ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبلاءِ اللهِ تَعَالى عِنْدَنا ، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا في نَبِيِّنَا، فَكُنْتَ في ذلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلى هَجَرَ ، أو دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلى النِّضَالِ))[١] .

ارتكز التصوير التمثيلي في الحكاية العلوية ، على المثلين اللذين ساقهما الإمام وهما(**فَكُنْتَ في ذلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلى هَجَرَ، أو دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلى النِّضَالِ**) ، فمن المعلوم أنّ الأمثال تختزن الكثير من المعاني بألفاظ قليلة ، ومجيئها داخل الحكاية أعطاها بعداً معنوياً آخر، فلمّا أراد الإمام بيان ما كان من أمر معاوية الذي بات يخبر آل محمد (صلوات الله عليهم) بما يعلمونه من أمر اصطفاء النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وتأييده بأعوانه ، إذ هم أولى بالإبلاغ عنها منه ؛ لكونهم الأعلم والأقرب والأخصّ من سواهم ، فهم أهل بيته وحملة علمه وخاصّته ، فأشبه بذلك ناقل التمر إلى هجر ، وهجر مدينة معروفة بكثرة التمر ، وهو مثل ((يُضربُ لمن يحمل الشيء إلى معدنه لينتفع به))[٢] ، أو كداعي مسدّده إلى النّضال ؛ أي ((كمن يدعو معلمه إلى المناضلة أي الرماية))[٣] ، ووجه الشبه بينهما يكمن في تلك الهيئة التي تختفي خلف الألفاظ ، الدّالة على نقص العقل وفساد الرأي وسوء التدبير ؛ لذا توسل الإمام بهذين المثلين ليكونا طرفاً في عملية التشبيه ، لما فيهما من تطابق تام على حالة معاوية ، التي يراها عليه السلام من العجب

---

[١]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، ك (٢٨) : ٥١٢ .
[٢]) شرح نهج البلاغة ، السيد عباس الموسوي : ٤/ ٢٣٢ .
[٣]) منهاج البراعة ، حبيب الله الخوئي : ١٧/ ٢٣٧ .

، وقد استعار لها لفظة ((الخبأ لما ستره الدهر من وجود معاوية من العجب))[١] ، فنقل من لا علم له لسوء رأيه ، لمن هم أهل للعلم وأصله لهو أمر عجيب ، إذاً التمثيل القائم في الحكاية العلوية ، تمكن من إخراج تلك العلاقات الخفيّة _التي قد لا يُنْتَبَهُ إليها_ بين طرفي التشبيه ، فمهمة التشبيه هي إخراج تلك العلاقات للعلن ، إذا ما أُريد منه أن يكون له أثره الفاعل على المتلقي .

نظيره قوله **عليه السلام** رداً على معاوية حين هدده بالحرب يقول : ((**وَذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِرِي فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَقَدِ انْقَطَعَتِ الْهِجْرَةُ يَوْمَ أُسِرَ أُخُوكَ ، فَإِنْ كَانَ فِيكَ عَجَلٌ فَاسْتَرْفِهْ ، فَإِنِّي إِنْ أَزُرْكَ فَذَلِكَ جَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ اللهُ إِنَّمَا بَعَثَنِي إِلَيْكَ لِلنِّقْمَةِ مِنْكَ ! وَإِنْ تَزُرْنِي فَكَمَا قَالَ أَخُو بَنِي أَسدٍ :**

مُسْتَقْبِلِينَ رِيَاحَ الصَّيْفِ تَضْرِبُهُمْ بِحَاصِبٍ بَيْنَ أَغْوَارٍ وَجُلْمُودِ

وَعِنْدِي السَّيْفُ الَّذِي أَعْضَضْتُهُ بِجَدِّكَ وَخَالِكَ وَأَخِيكَ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ))[٢] .

يمثل البيت الذي استشهد به الإمام المفصل الرئيس في بناء الصورة التمثيلية ؛ لأجل إيصال فكرة للمتلقي ، تُظهِر عدم تهيبه **عليه السلام** من تهديد خصمه له بالحرب ، واستعداده للقائه ، وبيان أنّ هذه الحرب ، إنّما هي بتكليف من الله **جلّ وعلا** ، وهذا ما تجلى في تلك الصورة ، حيث شبّه **عليه السلام** نفسه برياح الصّيف ، وشبّه معاوية وجيشه ، بمَن يستقبل تلك الرياح ،

---

[١] شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٤/ ٥٢٠ .

[٢] نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، ك (٦٤) : ٦٠٧ .

ووجه الشبه هو تلك الهيأة الحاصلة من استقبال تلك الرياح بما تحمله من تراب وحصى وقطع صخر بقوة وجوه مستقبليها فلا يقوون على الثبات أمامها ؛ أي إنّه عليه‌السلام يضرب وجوههم في الحرب بالسيوف والرماح مثل رياح الصيف ، فلا يقوى أحدٌ على الثبات ، فالتوسل بالتشبيه التمثيلي هنا هو((أشفى للصدور ، وأدعى للفكر ، وأبلغ في التنبيه والزجر))[١] ، لذا نلمح تصاعد نبرة الحدّةِ والقوة في وعيده عليه‌السلام لمعاوية بتذكيره بسيفه الذي خبره جده وخاله وأخوه .

كذلك قوله عليه‌السلام رداً على شُبهةٍ وردت عند بعض الناس : ((**وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ : إِذَا كانَ هذا قُوتَ ابْنِ أَبي طَالِبٍ ، فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الْأَقْرانِ ، وَمُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ . أَلَا وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُوداً ، والرَّوَائِعَ الْخَضِرَةَ أَرَقُ جُلُوداً ، وَالنَّابِتَاتِ الْعِذْيَةَ أَقْوَى وَقُوداً وَأَبْطَأُ خُمُوداً .وَأَنَا مِنْ رَسُولِ الله كالصِّنْوِ مِنَ الصِّنْوِ، وَالذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ**))[٢] .

هذه الحكاية جزءٌ من كلام طويل قاله لعامله عُثمان بن حُنيف ، يوصيه فيه بالبعدِ عن ما حرّمَ اللهُ ، حاملاً إيّاه على الاقتداء بإمامه ، الذي اكتفى من الدنيا بما هو أقلُّ من اليسير ، ثمَّ يعرض الإمام لشبهة قد ترد في أذهان بعضهم ، مفادها أنّ من كان هذا قوته اليومي ، فقد يضعف بدنه ، ويكون الضعف مانعاً له عن القتال وخوض الحروب ، وبقوله (**قِتَالِ الْأَقْرانِ ، وَمُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ**) إشارتان هما : **الأولى** : إشارة إلى بسالته وشجاعته فلا يقاتل إلا الأقران ؛ أي بمنزلته في البطولة ولا يقابل إلا الشجعان ، و**الثانية** : إنّ المعروف عن الشجعان ممن

---

[١] أسرار البلاغة ، الجرجاني : ١١٦ .

[٢] نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، ك (٤٥) : ٥٥٦.

يقودون المعارك ويخوضون لهواتها اهتمامهم بالتغذية التي تنفع أبدانهم وتزيد من قوتها[١] ، وعلى هذا يكون الإمام على العكس منهم بسبب قّلة غذائه ، فأراد **عليه السلام** أنْ يُبيّن خطأ هذا الاعتقاد ، فـ ((البطولة والشجاعة لا تقاس بنوع الطعام ، وإنّما تقاس بالصبر والثبات ، وتوطين النفس على الموت))[٢] ، فكان ردّه على تلك الشبهة ، لوحةً مؤلفةً من جزيئاتٍ تتشابك وتتعاضد ببعضها لبناء صورةٍ تمثيلية حسيّة حيّة ، تخاطب المستويات كافّة ، كان التمثيل وسيلةً لإظهارها ، لكن بأيّ وسيلةٍ كان التمثيل ؟

في كثيرٍ من الأحيان يكون التمثيل بالنبات وسيلةً افهامية توصيلّية ؛ لذلك أتخذها الإمام أداة لرسم تلك اللوحة التشبيهية ، وهو أسلوبٌ قرآنيٌّ تجلى بشكلٍ واضحٍ في كثيرٍ من صوره ، ولاسّيما التمثيلية منها[٣] ؛ لذا نرى الإمام ينتهجُ الأسلوب ذاتَه في كلامِه ، وهذا ما هو بيّنٌ فيما تقدم ذكره ، فنلحظ أنّ التشبيه التمثيلي وقع في :

ـ (**الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُوداً**) و (**وَالنَّابِتَاتِ العِذْيَةَ أَقْوَى وَقُوداً وَأَبْطَأُ خُمُوداً**) ،

وهما صورتان جعلهما **عليه السلام** طرفي تشبيه ، ومثّل هو الطرف الثاني منه ، فتارة يشبّه نفسه الشريفة بالشجرة البرية ؛ لأنّها ((تقوى بمقاسات الحر والبرد))[٤]، فتكون أقوى وأصلب من

---

[١] ظ : شرح نهج البلاغة ، السيد عباس الموسوي : ٤/ ٤٧٧.

[٢] في ظلال نهج البلاغة ، محمد جواد مغنية : ٤/٢٠.

[٣] قوله تعالى ﴿إِنّما مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّماءِ فاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرضِ مِمَّا يأكُلُ النَّاسُ...﴾ سورة يونس ، آية ٢٤ . و ظ : سورة إبراهيم ، آية ٢٤_٢٦ .

[٤] توضيح نهج البلاغة ، محمد الحسيني الشيرازي: ٤/ ١١٦،

النباتات الخضرة ، وتارة يشبّهها بالنباتات العذية التي تنبت على ماء المطر فقط ، خلافاً بنبات البساتين لما تلقاه من سقي دائم ورعاية من قبل الإنسان ، فتكون أقلّ اشتعالاً وأسرع إلى الخمود من النباتات العذية التي تكون أقوى وأبطأ خموداً ، والجامع بين الطرفين تلك الحالة أو الهيأة المتمثلة بالصّلابة والقدرة على التحمل على الرغم من قلّة الماء والغذاء .

فتلك الصورتان حملت بيت طيّاتها المعاني التي أراد الإمام إظهارها ، فالتمثيل جاء لبيان عكس ما ادّعاه بعضهم ، فهو على قلّة قوته ، إلاّ إنّه ((أقوى على سعير نار الحرب وأصبر على وقدها وأبطأ فتوراً فيها))[١] ، فعملت الصورتان على إظهار ذلك المعنى للمتلقي بشكل قادر على فهمه وإدراكه .

ـ **(والرَّوَائِعَ الْخَضِرَةَ أَرَقُ جُلُوْداً)** ، مثّل الإمام خصومه كمعاوية وغيرهم ، بالنباتات الخضرة ، ولعلّ التعبير عنها بالروائع يُشير إلى ناحية الاعتناء والاهتمام ، التي تتلقاها حتى باتت رائعة لناظرها ، والجامع بينهما هي حالة النضارة والرقة الحاصلة بالرَّفاهية والتّرف [٢]، ممّا يجعلها أرق وأضعف قدرة على التحمل .

ـ **(وَأَنَا مِنْ رَسُولِ الله كالصِّنْوِ مِنَ الصِّنْوِ**[٣]) ، وهنا شبّه نفسه **عليه السلام** بما يحمله من صفات وكمالاتٍ وعلوم استقاها من النبيِّ الأعظم **صلى الله عليه وآله وسلم** بالنخلتين اللتين تخرجان من أصلٍ واحد ، فيكون لهما الصفات والخصائص نفسها ، والجامع بينهما هو ذلك التشابه

---

[١] شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ١٤١/٥.

[٢] ظ: في ظلال نهج البلاغة ، محمد جواد مغنية : ٢٧٠/٥.

[٣] الصِّنو : نخلتانِ من عرقٍ واحد ، لسان العرب ، ابن منظور، مادة (صنا) : ١٤/ ٤٧٠.

والتطابق في الصفات التي يحملها كلٌّ منهما ، لذلك أردفه بتشبيه آخر لبيان التشبيه السابق وتوكيده .

ـ **(وَالذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ)** فشبه موقعه ودنوه من النبي **صلى الله عليه وسلم** ((كقرب الذراع من العضد وكون العضد أصلاً له ، وكون الذراع وسيلة إلى التصرف والبطش بالعضد ، والحكم في هذين التمثيلين واحد كونه لا يضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان ، فعلومه اليقينية وبصيرته في الدين تناسب بصيرة رسول الله **صلى الله عليه وسل** ذلك أعظم أمر يشجعه ويقويه على القتال))[١] ، فكل تلك المعاني المحكية عقلية تجسدت في صور حسيّة ((نشأ عنها تيارٌ من الصور الذهنية ، ومن الفكر والعواطف والوجدانات، والمعاني المتماسكة تماسكاً عقلياً منطقياً أو وجدانياً عاطفياً ، سحبت الإنسان على الانتباه فيتصور هذا التيار المعنوي عن طريق عقله وقلبه))[٢]، فخاطبت المتلقي بأسلوب رفيع ، إذ إن ((الأساليب تقدر بمقدار ما توقظ وتثير وتحرك ، وأقواها ما يجعل المخاطب يعيش أجواء جديدةً ، فإذا عظُم سلطان هذه الأجواء وهذه الأحوال على النفوس ، كانت المرتبة العالية من الكلام))[٣] ، وهذا شأن الصور كلّها في الحكاية .

---

[١]) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٥/ ١٤١_١٤٢.

[٢]) الصورة الأدبية ، صلاح الدين عبد التواب : ١٠.

[٣]) التصوير البياني ، محمد أبو موسى : ٣٥٤.

نخلص ممّا مرَّ أنّ الإمام عليه السلام في كلِّ مرةٍ يصبُّ المعاني بقوالب جديدة تبعث النشاط في آذان المخاطبين وأذهانهم ، لذلك ما نلمسه في صوره ، أنّها صورٌ نابضةٌ بالعاطفةِ الصادقةِ ، بعيدةٌ عن التكرار الذي يقتلُ كلَّ شيءٍ فنيٍّ حيٍّ ، فعملية البناء الصوري الحكائي تتطلب إبداعاً يعيد ما اندثَر إلى الحياة بشكلٍ رشيق مبهج ، لا قتل ما هو موجود بالتكرار المنفر؛ لذلك جاءت الألفاظ متساوقة ومتلائمة مع عملية البناء الجديدة للنصوص، انبثقت منها صورٌ تقف خلفها غاياتٌ مهمة ، يلمسها المخاطب فتحدثُ في نفسِه ثورةً من الانفعال وبه يسعى إلى التغير والتغيير .

بلاغة الاستعارة

إنّ الحديثَ عن الاستعارة ، هو حديثٌ عن عنصر مهم وفعّال في بناء الصورة الفنية ، فهي لغة تنطوي على لغةٍ جديدةٍ ؛ لذلك هي عمليةُ بناءٍ يتمُّ عن طريقها ((ضمِّ المألوف إلى ما هو غير مألوف ، فهي تضيف السحر والاختلاف إلى جانب الوضوح))[١]، وقد جاءت تعريفات متعددة للاستعارة ، فإذا كانت تعني في اللغة النقل ، إذ يُقال استعار الشيء : طلب أن يعيره إيّاه[٢] ، فهذا لا يبعد عن الاصطلاح ، إذ يعرفها الجاحظ (ت٢٥٥هـ) بقوله :((تسمية الشيءِ باسم غيره إذا قام مقامه))[٣] ، وعرّفها الشيخ عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ) بقوله : ((أن يكون للفظِ أصل في الوضع اللغوي معروف به تدّلُ الشواهدُ على أّنه اختصَّ به حيث وضع ، ثمَّ يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل ، وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية))[٤]، والغاية من النقل هو((تقريب الشّبه ، ومناسبة المستعار له للمستعار منه ، وامتزاج اللفظ بالمعنى ، حتى لا تُوجد منافرةٌ ، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر))[٥] ، فطرفا الاستعارة تجمعهما صفةٌ أو صفات عن طريقها يتمُّ إلغاء الحدود بينهما ، وهذه ((الصفة أو الخاصية التي تنطبق على كلمة ما قد تنفصل بشكلٍ فعالٍ عن الحقل الأصلي الذي تنتسبُ إليه أصلاً ، وتُطبّقُ وتُستخدمُ في حقلٍ منظمٍ ومرتبٍ ، ومن ثمَّ فإنَّ هذه الكلمة تحمل معها إعادة

---

[١]) الاستعارة ، تيرن هوكس : ٢٠ .

[٢]) ظ : لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (أعار) : ٦١٩/٤.

[٣]) البيان والتبيين :١٤٢/١ ، و ظ : تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة : ١٣٥ ، قواعد الشعر ، ثعلب : ٥٣ ، النكت في إعجاز القرآن ، الرماني :٨٥ ، كتاب الصناعتين ، العسكري : ٢٦٨ .

[٤]) أسرار البلاغة : ٣٠.

[٥]) الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي الجرجاني : ٤١.

تكييف للظروف والحقائق))[١]، لذلك كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة ، وعلى هذا الأساس تشكّل الاستعارة ((ظاهرة مركزية غالبة في دلالة الكلام ، وهي جزء من الفكر من حيث مثّلت أداة في تصور العالم والأشياء))[٢]، فهي ((ليست مجرد زخرف وزينة ، وإنّما تضطلع بوظيفة معرفية تتجلى في شعور المتلقي بلذةِ التعلمِ الناجمة من أثر الدهشة والمفاجأة من إبرام علاقاتٍ جديدة بين أشياء تبدو متباينة ، وهو ما يؤدي إلى اكتشاف الواقع من جديد ورؤيته من زوايا أُخرى ، لم تكنْ تخطر على البال لولا الاستعارة))[٣] ، وهذا بالتأكيد يتوقف على ما في المبدع من ملكاتٍ ، تمكّنه من رسمِ صورة استعارية تعمل ((على رصِّ صفوفها من أجل أن تحقق التأثير، فتبقى حيّةً بالحفاظ على قدراتها على التفاعل مع أجزائها المكونة لها))[٤]، فتصبح ((كلُّ استعارة هي إعلان عن نموذج خفي))[٥]، من هنا نفهم صعوبة الاستعارة ومركزيتها، فهي إلى جانب مهمتها المعرفية ، تُعدُّ ضرباً من ضروب الإيجاز ووسيلة من وسائل التكثيف الدلالي ؛ لأنّها تقدّم أو تنهض بما لا تستطيع الألفاظ النهوض به من عرض معانٍ جمّة بأقلَّ لفظٍ ، وعلى هذا التأسيس سيتناول هذا المبحث استعارات الإمام **عليه السلام** التي وردت في الحكاية ، وكيف وظّفت في أداء مهمتها الإبلاغية الحكائية والمعرفية ، وتأثيرها في المتلقي ، وقد جاء عنوان هذا المبحث بلاغة التكثيف الاستعاري ، بدل التكثير وأن كان كلاهما يدلُّ على الزيادة ، إلا إنّ في التكثيف معنى

---

[١] الاستعارة في النقد الأدبي الحديث ، يوسف أبو العدوس : ١٠٣.
[٢] الاستعارة القرآنية في ظل النظرية العرفانية . عطية سلمان أحمد : ٢٣ .
[٣] نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية ، د. عبد العزيز الحويدق : ٣٦.
[٤] نظرية التأويل وفائض المعنى ، بول ريكور : ١٠٩.
[٥] الاستعارة الحية ، بول ريكور : ٢٨.

الزيادة مع الالتفات والتراكب[١] ما يجعله يقرب من معنى الاستعارة التي ينصهر فيها طرفي التشبيه ، وقد كان للاستعارة ظهور أوسع من التشبيه ، ولعلَّ مرجع ذلك إلى كلِّ ما ذكرنا من قدرتها على التصوير بشكلٍ أدقٍ وأبلغٍ ، وتكثيف المعاني فيها ، فضلا على أنَّ للمواقف التي استعملت بها الاستعارة _ سواء الواردة في كلام الإمام ، أو الاستعارة المحكية[٢] _ أثراً كبيراً ؛ إذ هي هناك تؤدي ما لا يؤديه التشبيه ، وبما أنَّ الاستعارة هي طيّ أحد طرفي التشبيه وإخفاؤه ، فعلى أساس ذلك سندرس بلاغة الصورة فيها على النحو الآتي :

أولا :التصوير بالاستعارة المكنية

هي نقل اللفظ ((عن مسمَّاه الأصلي إلى شيءٍ آخر ثابتٍ معلومٍ فتُجريه عليه))[٣]؛ أي نقل معنى اللفظ من المستعار منه إلى المستعار له ، مع إبقاء شيءٍ من لوازمه ، أو دليل يدل عليه ، وقد كانت ملامح الاستعارة المكنية في الحكاية الأظهر من غيرها، ومنها ما جاء في قول الإمام (عليه‌السلام) حكاية عمّن يدعي العلم وليس بعالم : ((**يَقُولُ : أَقِفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ ، وَفِيهَا وَقَعَ ، وَيَقُولُ : أَعْتَزِلُ الْبِدَعَ ، وَبَيْنَهَا اضْطَجَعَ ، فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ ، وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ ، لا يَعْرِفُ بَابَ الْهُدى فَيَتَّبِعَهُ ، وَلا بَابَ الْعَمَى فَيَصُدَّ عَنْهُ . وَذَلِكَ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ**))[٤] .

---

[١]) لسان العرب : ابن منظور ، مادة (كثّف) : ٢٩٦/٩.

[٢]) **الاستعارة المحكية** : هي الاستعارة التي ينقلها الإمام حكاية عن غيره .

[٣]) أسرار البلاغة ، الجرجاني : ٤٤.

[٤]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) خ (٨٦) : ١٥٢.

إنّ عملية خَلْقِ صورة ، ما هي إلاّ رسم بالكلمات كما يراها دي لويس[١] ، فإذا كانت كذلك فأنّ قابلية الكلمات اللامحدودة تجعل من تلك العملية متعددة الأوجه ، وتعددها يكمن في طريقة تناولها من زوايا مختلفة ، ما يولد منها صوراً أُخر مرتبطة بشكلٍ مباشر بالمبدع لتلك الصورة وكيفية إخراجها ، لذا لو تتبعنا النصّ المحكي العلوي ، لوجدنا أنّ الصورة التي يحاول الإمام إخراجها من مكامن اللفظ ، تدور حول ثلاثة ألفاظ أساس هي (**أَقِفُ _ وَقَعَ _أَعْتَزِلُ الْبِدَعَ**) ، اختيار تلك الألفاظ تحديداً ؛ كونها تعكس صورتين بالوقت نفسه :

الصورة الأولى : ما يحاول الجاهل الفاسق إظهاره للناس ، في كونه عالم بموارد الشبهات ، فيحاول أن يلقي بظلال جهله على الناس بتضليلهم وإيهامهم بأنّه التقي ، الذي يعرف ما اشتبه من الأمور فيتجنّبها ، وبالنتيجة فهو في مأمن من البدع .

الصورة الثانية : صورة الإمام **عليه السلام** وهي نقيض الأولى تماماً ، فيرسم صورة لمن هو غائب أو مغيّب في ظلم الجهل ، أُسدلت على عقله أستار الضّلالة ، وهو مع جهله وتخبُّطه ، يعتقد بصواب رأيه وهدايته ؛ لذا قال : (أقف عند الشبهات) ووقوفه عندها بمعنى معاينتها وتدبرها، ولا يكون ذلك إلاّ في حال دنوّها وحضورها بدلالة (عند)[٢]، الذي أفادت هذا المعنى .

---

[١] الصورة الشعرية ، سيسل دي لويس : ٢١ .

[٢] ظ : حروف المعاني والصفات ، الزجّاجي : ١/١ .

فنلحظ تعبيره عليه السلام عن الفتن بالشبهات ((لأنّها شبّهت على القوم وأرتهم أنّهم على حقٍّ حتى يدخلوا فيها ويرتكبوا منها مالا يحلّ))[١] ؛ لذلك جاء بقوله: (فيها وقع) ؛ أي سقط ، وبوجود (في) الدالة على الظرفية[٢] والموجبة لوجود ما يُسقط فيه ، وما حملته من إيحاء على العمق ، دلالة على أنّ تلك الشبهات قد أحاطت به إحاطة تامة ، وإزاء بيان تجنب الفاسق البدع وهي ((كلُّ مُحْدَثَةٍ ، وما ابتدع بالدين بعد الإكمال))[٣] ، التي أفضت إلى وقوعه بالشبهات ، أردفه بعبارة (وبينها اضطجع) ، والاضطجاع مأخوذ من ((ضجع : وضع الرجل جنبه على الأرض))[٤] ، وهي كناية عن كون تلك البدع محيطة به ، فكنّى بها الإمام ثم استعارها لبيان حال الفاسق وما هو عليه من التباس ، مورده الجهل لبعده عن منابع الحقّ ، لاسيّما وأنّ مجيئه على زنه (افتعل) تعطي دلالة على أنّ هذا الفعل صادر منه على جهة القصد .

وتعبيره عليه السلام بـ (**فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ ، وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوانٍ**) هو انعكاس لتلك الصورتين ، فكان ظاهره ظاهر الإنسان ، أمّا الباطن الذي عبّر عنه بلفظ القلب بوصفه مركز العقائد ، ومحل للعلوم والمعارف ، فهو شبيه بقلب الحيوان ، والجامع بينهما هو عدم القدرة على حمل العلوم والانتفاع بها ، وبقوله (**لا يَعْرِفُ بَابَ الْهُدى فَيَتَّبِعَهُ ، وَلا بَابَ الْعَمَى فَيَصُدَّ عَنْهُ . وَذَلِكَ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ**) إشارة إلى تلبّس الفاسق بالجهل(الجهل المركب) المانع له من معرفة

---

[١] لسان العرب ، ابن منظور ، مادة(شبه) : ١٣/ ٥٠٤.
[٢] ظ : الجنى الداني في حروف المعاني ، الحسن بن قاسم المرادي : ٢٥٠ .
[٣] لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (بدع) : ٦/٨ .
[٤] الصحاح ، الجوهري ، مادة (ضجع) : ٣/ ١٢٤٨.

قانون الهداية الذي استعار له لفظ الباب[١] ، وهذا ما يستلزم عدم معرفته بباب الجهل الذي استعار له لفظة العمى حتى يصدَّ عنه ، وهذا ما يسميه الإمام **(مَيِّتُ الأَحْيَاءِ)** ، فاستعار أيضاً هنا لفظة الموت للحيّ ؛ لأن الحياة الحقيقية هي التي يتمكن الإنسان بها من تحصيل العلوم الرافعة له لمستوى الفضيلة والكمال ، وعدم تحصيلها موتٌ له ، فهو ميت بصورة حيّ .

إذاً تلك الألفاظ (أقف _ وقع _ اعتزل البدع) ، بمحاولتها جعل الدلالة تتمركز فيها أو حولها تكون أشبه بالمرآة المقعرة التي تعمل على جمع الضوء في بؤرتها ، مستعينة بالمعاني التي تطوف حولها كعناصر مكملة ومبينة للمراد إيصاله للمتلقي ، وتلك العناصر نلمسها في التشبيه الواقع في (قلب حيوان) ، واستعارته لـ (باب الهدى _ باب العمى _ ميت الأحياء) التي عملت على تكثيف المعاني داخل قوالب لفظية على الرغم من قلتها إلاّ إنّها تمكنت من رسم صورة دقيقة لحالة التلبّس بالشبهات ، والضياع في غياهب البدع ، بسبب الجهل المسيطر على العقل، حتى عُدَّ معه الشخص ميتاً .

في صورة استعارية أخرى نرى الإمام يصف أناساً وجّههم معاوية للحجاز في موسم الحجِّ ، لبثّ الفتن بين الناس ، إذ يقول عليه‌السلام حكاية عمّا بلغه : ((**فَإِنَّ عَيْنِي عَلَى الْمَغْرِبِ كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُنِي أَنَّهُ وُجِّهَ إِلى المَوْسِمِ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ الْعُمْيِ الْقُلُوبِ ، الصُّمِّ الْأَسْمَاعِ ، الْكُمْهِ الأبصَارِ، الَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ الْحقَّ بالْبَاطِلِ، وَيُطِيعُونَ الْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، وَيَحْتَلِبُونَ**

---

[١]) ظ : شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٣٩٩/٢ .

الدُّنْيَا دَرَّهَا بالدِّينِ ، وَيَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بآجِلِ الْأَبرَارِ الْمُتَّقِينَ...))[١] .

نلمح في ردِّه على الحكايةِ التي بُلّغَ بها ، استعارتين :

الأولى _ (وَيَحْتَلِبُونَ الدُّنْيَا دَرَّهَا بالدِّينِ) ، فقد استعار لفظ (يحتلبون) للدنيا تشبيهاً لها بالناقة ، و(درها) تشبيهاً لمتاع الدنيا باللبن ، فلما كان الغرض من الناقة هو تحصيل لبنها ، كذلك الغاية من الدنيا عندهم هو نيل ملذاتها فجعل المستعار منه والمستعار بمرتبة واحدة فكأنّه هو على الحقيقة ، وتوسله **عليه‌السلام** بهذه الصورة المادية لبيان أنّ هؤلاء ((لا دين لهم على الحقيقة ، وإنّما يُظهرون شعائرَ الدين ليأخذوا بها متاع الدنيا وصفوها ومنافعها))[٢]، وما حربهم له إلا لهذه الغاية ، وبمجيء الفعل (يحتلب) على زنة (يفتعل) ، وارتباط حرف الباء بـ (الدين) دلالة على تساويهم في الغايات الدنيوية ، وإنّهم اتخذوا من ملذات الدنيا بديلًا عن الدين ؛ فلأنهم طالبو دنيا استطاع معاوية أن يؤلف بينهم .

وقوله :_ **(وَيَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بآجِلِ الْأَبرَارِ الْمُتَّقِينَ)** فلفظ (يشترون) وردت في القرآن كأداة في رسم صورة استعارية ، بقوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إلى الّذين أُوتُوا نَصِيباً مِنْ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَيُرِيدُون أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ**﴾[٣]، فأضاء الإمام النصَّ بتلك الاستعارة القرآنية ، فشبّههم من حيث اغترارهم بالدنيا وإقبالهم عليها، وتركهم للآخرة التي أشار إليها بـ (آجل الإبرار)،

---

[١]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، ك (٣٣) : ٥٤٠_ ٥٤١.

[٢]) شرح نهج البلاغة ، السيد عباس الموسوي : ٤/٤٢٣.

[٣]) سورة النساء : آية ٤٤.

بالتجّار الذين يغترّون بالبضاعة الفاسدة فيشترونها فتكون الخسارة مضاعفة ، كذلك أصحاب معاوية يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، فهذه الاستعارات التي بعضها تستمد حياتها من القرآن ، تمكّنت من رسمِ صورةٍ حيةٍ عاكسة لأحوال الطرف الآخر ، وهم أصحاب معاوية فكان ((لديها القوة _من جهة_ لجمع الجزيئات ورصّها لتمنحها التوازن ، ومن جهة ثانية امتلكت غزارة مفهوميّة))[١]، فتمكنت من إيصال ما مطلوب إيصاله للمخاطب على نحوٍ دقيقٍ وموجزٍ، لتحقيق الغاية منها، وهو تحذيره من الاغترار بهم ، والتقصير بما عليه من واجب ، والتمسك بالطاعة لله وملازمة إمامه .

ومن الاستعارات التي تجلّت بها ظاهرة التشخيص[٢]، الذي يُعدُّ أروع وأرقى أنواع الخيال في الصورة ؛ لأنّه يوشّحها بالحيوية ، ويعطيها الخلود ، فهو يجسمُ ويجسدُ الأفكارَ والمعاني التي تنطوي وراءَ الصورةِ ، فيجعلها شاخصة حيّةً فتقوم مقام البرهان فيها [٣]، وهذا ما نلمسه في قوله (عليه السلام) : ((**وَلَوِ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيارِ الْخَاوِيَةِ ، وَالرُّبُوعِ الْخَالِيةِ ، لَقَالَتْ : ذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ ضُلاَّلاً ، وَذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَّالاً ، تَطَأُونَ فِي هَامِهِمْ ، وَتَسْتَثْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ ، وَتَرْتَعُونَ فِيمَا لَفَظُوا ، وَتَسْكُنُونَ فِيمَ خَرَّبُوا ؛ وَإِنَّما الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَنَوَائِحُ عَلَيْكُمْ .**))[٤] .

---

١) نظرية التأويل وفائض المعنى ، بول ريكور : ١٠٩

٢) التشخيص : هو فنٌ بلاغي يتمُّ عبر إضفاء صفة العاقل لغير العاقل .

٣) ظ : الصورة الأدبية تاريخ ونقد ، علي علي صبح : ١٢٦.

٤) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، م (٢٢٠) : ٤٥١.

أضفى الإمام صفة الحياة لتلك القبور باستنطاقِها ، وإخبارها عن حالِ مَنْ دُفنَ فيها ، الذين ذهبوا وهم على ضلالٍ ، ومن ذهب بعدهم جهّال بحالهم ، إذ كان الأولى أن يتخذوهم لهم عِبراً ، قبل أن يتخذوهم فخراً ، فلو عقلوا لما شاهدوا من فنائِهم ، لما((أكلوا وتلذذوا مما تركه غيرهم لهم من إرث ، وسكنوا في منازل خربوها خراباً معنوياً بفراقهم عنها))[١]، ولزهدوا في دنياهم، ولم يحرصوا على ما في أيديهم ، ولمّا أراد بيان تساوي الكلّ بالمصير قال (**الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَنَوَائِحٌ عَلَيْكُمْ**) ؛ أي إنّ ((الأيام تشيعُ رائحاً وتبكي ، وتنوحُ على الباقين الذين سيلتحقون به عن قريب))[٢]، فاستعار لفظ البكاء للأيام ((ملاحظة لشبهها في مفارقتهم لها بالأمهاتِ التي تفارقُ أولادَها بالموتِ))[٣] ، إلاّ إنّه ولجعلِ النصِّ أكثر حياة ، وأدقَ تفصيلاً ، ولجذبِ انتباه المخاطب ، نرى الإمامَ لا يسيرُ على وتيرة واحدة في التعبير، وأنْ كانت الغاية واحدة ، فإذا كان في النصِّ السابق ، الحديث على لسان القبور لعلمها بحال المستودع فيها ، ففي النصِّ الآتي ينقل الحديث للموتى أنفسهم ، فينطقون بحالهم ، فقال : ((**لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ الْعِبَرِ، وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذانُ الْعُقُولِ ، وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ النُّطْقِ ، فَقَالُوا : كَلَحَتِ الْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ ، وَخَوَتِ الْأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ ، وَلَبِسْنَا أَهْدَامَ الْبِلَى، وَتَكَاءَدَنَا ضِيقُ الْمَضْجَعِ ، وَتَوَارَثْنَا الْوَحْشَةَ ، وَتَهَدَّمَتْ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصَّمُوتُ ، فَامَّحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا ، وَتَنَكَّرَتْ**

---

[١]) حدائق الحقائق ، محمد عبد الحسين البيهقي : ٢/٢٢٠.

[٢]) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ١١/١٤٩.

[٣]) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٤/٧٢.

مَعَارِفُ صُوَرِنَا ؛ وَطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ الْوَحشَةِ إِقَامَتُنَا ...))[١] .

إن عملية نقل الأفكار داخل صورةٍ تستبطن معاني مكثفة ، يتطلب الابتعاد عن اللغة المباشرة في التعبير، إذا ما أريد خلق صورة حيّة متجددة معطاءة ، وهذا ما نلمسه في النصّ المحكي ، الذي يمكن أن نعدّه متمماً للنصِّ السابق ، فبضمّ أحدهما إلى الآخر تتشكل صورة متكاملة ، قد اختزلت الصورتان بين طياتها أعواماً من عمر الإنسان ، واستُودِعَتْ ألفاظُها ، مشاهدَ وصوراً مرّت عليه كالحلم .

بدأت **الصورة الأولى:** بذكر حال الإنسان حين انتقاله من حياته التي كان ينعم بها بكلِّ ملذات الدنيا إلى القبر .

وتولّت **الصورة الثانية** مهمة بيان حاله داخل مسكنه الجديد ، صورة تجلت فيها معاني الغربة بكل تفاصيلها ومكنونات ألمها ، صورة تبدّل حقيقيّة لواقع الإنسان ، عملت على إخراجه تلك الإنزياحات اللغوية المتجسدة بالاستعارة التي تمثلت بقوله عليه السلام **(وَلَبِسْنَا أَهْدَامَ الْبِلَى، وَتَكَاءَدَنَا ضِيقُ الْمَضْجَعِ ، وَتَوَارَثْنَا الْوَحْشَةَ)** ، هي عملية تبدّل لواقعين يعيشهما الفرد ، بكل ما فيهما ، لكن الثاني أشدّ قسوة من الأول ؛ لذا نلمس أثر الاستعارة في بيان حالة التبدّل والتغيّر هذه ، في**(وَلَبِسْنَا أَهْدَامَ الْبِلَى)** التي نلحظ فيها نسبة اللبس للميت وهو شيء خارج عن إرادته ، لكن لمّا أراد بيان هيأتهم الحاصلة بعد الموت ، جاءت النسبة لهم مجازاً ، وعبّر عن الملبوس

---

[١]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، م (٢٢٠) : ٤٥٣.

بالأهدام وهي ((الكساء الْخَلِق))[١] وليس الأثواب ؛ لما في الأولى من مناسبة لحال القبر على نقيض الثانية ، ومجيئها هنا هو تشبيه لها بعظام الإنسان التي سُحِقت وتحطمت ، أو تشبيه لها بالأكفان[٢] ، وكلاهما يصحّان ، ثم استعارها **عليه السلام** ليبيّن صورة التغيّر التي طرأت على الإنسان بعد الموت ، كما يتبدل الفاخر من الثياب بمرور الزمن حتى يصبح خَلِقاً ، والمخطط الآتي يبين الصورة الاستعارية في حالي التبدل والتغير:

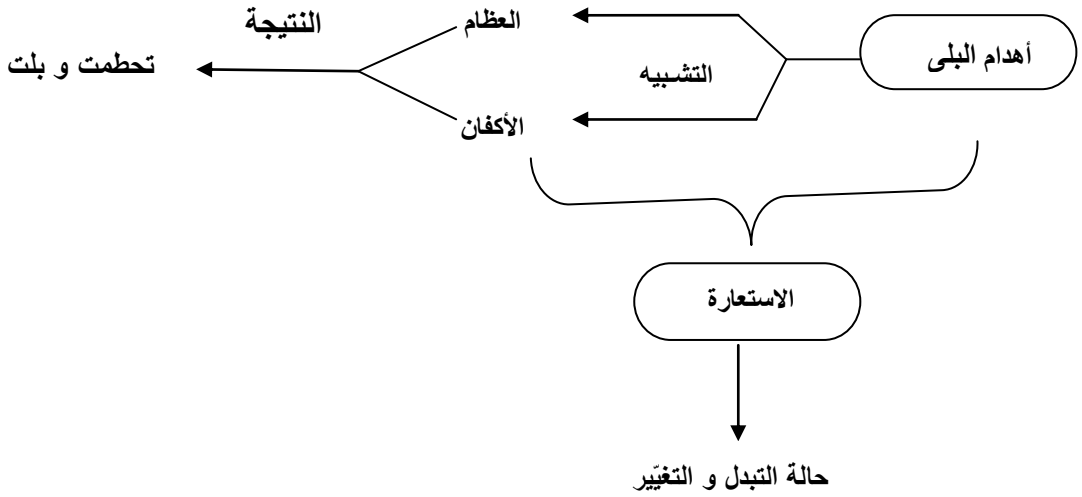

ولبيان مدة الإقامة في ذلك المكان الذي أوجب لبسهم أهدام البلى أردفه بقوله (**وَتَوَارَثْنَا الْوَحْشَةَ**) ، ومن المعلوم أنّ الإرث لا يكون إلاّ في الماديات ، أمّا الوحشة فهي أمر معنوي ، فشبّه الإمام تلك الوحدة في القبور بالإرث الذي يُنْقَلُ من الآباء إلى الأبناء ، ثم استعارها **عليه السلام** لبيان طوال مدة مكوثهم ، فهذه الحال من الغربة والوحشة لا يُستثنى منها أحد ، فكما كانت

---

[١] جمهرة اللغة ، ابن فارس ، مادة (هدم) : ٢/ ٦٨٥.

[٢] ظ : شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٤/ ٧٥ .

لآبائهم ، ستكون لهم ، إنّ هذه الصورة الاستعارية بأثرها التشخيصي البيّن ، عن طريق استنطاق الأموات الذين استحالوا إلى تراب ، وما فيها من معاني عكست حال الإنسان قبل الموت وبعده في لفظٍ أقلّ ما يمكن أن يقال فيه إنّه حمل من الإيجاز مع التكثيف مالا يمكن لغيره سدٌّ مسدّه ، إلّا إنّ تلك المعاني المستوحاة من الصورة ، لم تأتِ بشكلٍ كليّ ، وإنّما تدرّج الإمام **عليه السلام** في عرضها تدرُّجاً يحمل المخاطب على التدرج في استكشاف مكامن المعنى فيها ، فالصورة بدأت نقطة انطلاقها من قوله (**كَلَحَتِ الْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ ، وَخَوَتِ الْأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ**) فبداية التغيّر والتبدّل بدأت من هنا ، لكن بعد أن جذب انتباههم بتعبير فكري صادم ، خارج حدود علمِهم ونطاق عقولهم هي (**وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذانُ الْعُقُولِ ، وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ النُّطْقِ**) فهذا الانزياح اللغوي المذهل باستعارة الآذان للعقول ، والتكلم من غير جهات النطق المعهودة ، هو بمثابة صعقة ذهنية توجههم نحو الهدف أو المغزى الذي يحاول الإمام حملهم على الاعتبار به ، وما يلحظ أنّ أول ما يتكلم به لسان حال هؤلاء الأموات هو ذكر الوجوه والأجسام ؛ ولعلَّ ذلك مرجعه إلى أنّ النعمة والرفاهية الدنيوية ، أوّل ما تتجلى مظاهرها فيها ، فتغدو ناعمة نضرة ، وهذا بحدِّ ذاته يشكل عاملًا نفسياً مهماً ؛ لأنّ تلك الوجوه والأجسام تخشى عدوان الزمن عليها ، فكيف بعدوان القبر !

فالبدء بها يحمل المخاطبين على الالتفات الذهني لتلك الحال ، وإلى ما فيها من انعكاس على حياتهم وأحوالهم ، إذاً ((هذا الوصف للعملية النفسيّة التي تتم من خلال التقاط الدلالة وتحديدها من اللفظ ، وهذه الحركة الداخلية أو هذا الاختلاج الذي يحدثُ في الصدر ، هو

ضربٌ من قوة الأسلوب وبلاغته وتأثيره))[١] ، الذي كان أحد العوامل التي أسهمت في بناء صورة ، وإعطائها عمقها ودلالتها إلى جانب الاستعارة وما حملته من طاقة إبلاغية ومعرفية وتكثيف مع إيجاز ، كذلك نلمس عامل التشخيص ، الذي بثَّ الحياة في النصّ عن طريق استنطاق غير الحيِّ ، فهو وسيلةٌ أفاض الإمام عن طريقها علمه بما خفي عن أذهان الناس وأنظارهم ، العاطفة الصادقة المتدفقة من بين سيل تلك الجمل القصيرة المتتابعة ، كلُّ هذا أسهم في إخراج صورة حيّة ، شاخصة أمام المخاطبين ، وكأنّهم يرونها ، تحملهم على الاعتبار من الماضين ، والنفور من الدنيا وزينتها ، والاستعداد للآخرة .

نظير ذلك التشخيص ما نلمسه في جوابٍ للإمام رداً على حكاية لمعاوية حين طلب الشّام ، يقول فيه : ((**وَأَمَّا طَلَبُكَ إِليَّ الشَّامَ ، فإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأُعْطِيَكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسِ. وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّ الْحَرْبَ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلاَّ حشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيتْ ، أَلَا مَنْ أَكَلَهُ الْحقُّ فَإِلى الْجنَّةِ ، وَمَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فإِلى النَّارِ**))[٢] .

تدور الصورة الاستعارية المكنية المحكية التي نقلها الإمام عن معاوية ، حول لفظ **(أَكَلَ)** في **(إِنَّ الْحَرْبَ أَكَلَتِ الْعَرَبَ _ مَنْ أَكَلَهُ الْحقُّ _ وَمَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ)** ، الذي يشكّل الأساس للنصّ المحكي ، ؛ لذا تكرر ثلاث مراتٍ ، لبيان أنّ المقصود من الأكل ليس مجرد القتل فقط ، فالعرب كثيراً ما تأتي بلفظِ الأكل ((لإفادة معنى الإفناء والإزالة والظهور على أمرٍ ما))[٣] ،

---

[١] التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان ، محمد أبو موسى : ٣٥٤ .

[٢] نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، ك (١٧): ٤٩٦

[٣] منهاج البراعة ، حبيب الله الخوئي : ١٨ / ٢٥٥ .

فهذه المعاني الواردة للأكل تجعل المسألة تتعدى حدود القتل إلى المعنى الحقيقي للفناء . فذهاب الأرواح في الحرب ، هو أمر طبيعي يألفه كلُّ مقاتل ويوطّن نفسه عليه ، لكنّ الحرب التي يحاول النصّ العلوي بيانها ، هي حرب لا تبقي ولا تذر ، غير معنيّة بعدد ؛ لذلك استعارها معاوية للحرب تشبيهاً لها بالنّار المستعرة ، والجامع هو (الإفناء) ، في هذه الاستعارة نلمح عامل التشخيص الذي أعطى للحرب بعداً فكرياً ونفسياً عميقاً ، بإظهارها بهيئة مهولة شرسة شرهة حين أضفى لها صفة مادية ، ولعلّ السؤال الذي يرد ، هو عن السرِّ أو السبب الذي يجعل معاوية يصف الحرب هذا الوصف ، على الرغم من أنّه ليس من النوع الذي يأبه لدماء المسلمين ، وهي عنده سلّم يرتقي به لنيل ما يبتغي ؟

نلمس الجواب في الاستعارة المحكية نفسها ، فاستعماله للفظة (أكلت) هو ضرب على وترٍ يمسُّ بشكلٍ مباشرٍ جانبَ الرحمةِ من الإمام **عليه السلام** ؛ لأنّ رغبته في السّلم لا تقلُّ عن إقدامه على الحرب في سبيل الله ، وحفظ دماء المسلمين لا ترتقي لها أي أهمية أخرى حتى لو كان الحكم الذي لا يعني له سوى إقامة العدل وإحياء تعاليم القرآن ، فلمّا أراد معاوية استمالة الإمام لإعطائه الشّام من دون قتال ، عبّر عنها بهذا التعبير ، لذلك جاء ردّ الإمام الصادم له في (**لَمْ أَكُنْ لِأُعْطِيكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسِ**) ، أمّا قوله (**إِنَّ الْحَرْبَ أَكَلَتِ الْعَرَبَ**) فقد أوضح الإمام الفارق بين من مات على الحقِّ ومن مات على الباطل ، بتوظيف اللفظ نفسه ، الحامل للدلالة نفسها ، ففي قوله (**أَلَا مَنْ أَكَلَهُ الْحقُّ فَإِلى الْجنَّةِ**) ، فاستعار لفظ الأكل أيضاً للقتل المشروط بالحقّ ؛ لكونه سبباً في ذهاب الأنفس ، بغض النظر عن العدد ، طالما أنّه قتل على الحق فنتيجته الجنّة ، وهذا ما يسعى إليه كلُّ مؤمنٍ ، وهذا ما ينطبق على القول الثاني (**وَمَنْ**

أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فإلى النَّارِ) ، فمن قُتل على الباطل فإلى النار ؛ لأن الغاية من الحرب أمّا حمل الطرف الثاني على الإذعان للحقِّ ، أو تخليص المجتمع المسلم من شروره .

يمكن أن نستشّف من السابق ذكره ، إنّ الإمام استعمل الصورة نفسها، التي رسمها معاوية للحرب عن طريق توظيف اللفظ نفسه ، لكن بشكّلٍ عكسي (صورة معاكسة) ، إذ أفرغ الأولى من محتواها ، وأودعها محتوى جديداً ، ببيان أنّ هناك حقاً وباطلاً ، وعزمه على قتال الباطل ونصرة الحقّ الذي يدور معه حيثما دار .

٢_ التصوير بالاستعارة التصريحية

هي أن ((يؤخذَ الاسم على حقيقته ، ويُوضع موضعاً لا يبينُ فيه شيء يشارُ إليه))[١]، فيظهر المستعار منه جلياً دون المستعار له ؛ لذلك هي أوضحُ من الاستعارة المكنية . وقد ورد هذا النوع من الاستعارة على نحوٍ أقلّ في الحكاية العلوية ، كقوله (عليه السلام) رداً على حكاية معاوية حين هدده بالحرب : ((**وَذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِرِي فِي الْمُهَاجِرِينَ والْأَنْصَارِ ... فَإِنَّكَ _ وَاللهِ مَا عَلِمْتُ_ الْأَغْلَفُ الْقَلْبِ ، الْمُقَارِبُ الْعَقْلِ ، وَالْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ : إِنَّكَ رَقِيتَ سُلَّماً أَطْلَعَكَ مَطْلَعَ سُوءٍ عَلَيْكَ لَا لَكَ ، لِأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالَّتِكَ ، وَرَعَيْتَ غَيْرَ سَائِمَتِكَ وَطَلَبْتَ أَمْراً لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلَا مِنْ مَعْدَنِهِ**))[٢] .

---

[١]) أسرار البلاغة ، الجرجاني : ٤٤.

[٢]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، ك (٦٤) : ٦٠٧_ ٦٠٨ .

قوله عليه‌السلام : **(وَإِنَّكَ _ وَاللهِ مَا عَلِمْتُ _ الْأَغْلَفُ الْقَلْبِ)** ، جاء ((على سبيل التوبيخ فيه تهديد))[١] ، وأدوات التوكيد المتتابعة المتمثلة بـ (إنّ ، الجملة اعتراضية ، الاسم المعرّف في ﴿الأغلف﴾) فيها دلالة على أنّك ذلك الشخص ((الذي عرفته مسبقاً الذي قلبه في غلاف فلا يعرفُ الحقَّ ، والناقص العقل فليس في عقله سعةٌ يرى البعيد))[٢]، بعدها بيّن له أنّه يُريد شيئاً بعيداً عنه لذلك استعار لفظ **(سُلَّمَاً)** ((للأحوال التي ركبها والمنزلة التي طلبها))[٣] ، فشبّهه بمن يرقى سلّماً يصلُ به إلى غايةٍ مهلكةٍ ، ثم أورد استعارة أخرى تبين بُعده عمّا يطلب هي**(نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالَّتِكَ_ رَعَيْتَ غَيْرَ سَائِمَتِكَ)** ، واستعارها((للمرتبة التي يجب أن يقفَ عندها))[٤] تشبيهاً له بمن يطلب ضالةً ليست له ، ويرعى سائمة غيره ؛ أي إنّك تطالب بدم عثمان وليس هذا لك أو هو من شأنك ، وعليه لا تبدو هذه الاستعارات جديدة ، لكنّها قادرة على تحريك صور ذهنية لدى المتلقي، وكلٌّ واحدة منها حاملة لجزءٍ من صورة كاملةٍ لا يمكن أن تؤديه منفردة ، لكن بانضمامها إلى بعضها، كان لها أثر في فهم المعنى المطلوب .

ولأنّ النّاس على دين ملوكِهم ، فلا يختلف أصحاب معاوية عنه ، فقد جمعتهم أمُّهم الدنيا؛ لذا وصفهم عليه‌السلام بكتاب أرسله لعامله حكاية عمّا بلغه ، فقال : ((**أَمّا بَعْدُ ، فَإِنَّ عَيْنِي _ بِالْمَغْرِبِ_ كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُنِي أَنّهُ وُجِّهَ إِلى الْمَوسِمِ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ الْعُمْي الْقُلُوبِ ، الصُّمِّ**

---

١) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٢٥٩/٥.
٢) توضيح نهج البلاغة ، محمد الحسيني الشيرازي : ٢٢٦/٤.
٣) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٢٥٩/٥.
٤) المصدر نفسه : ٢٥٩/٥.

الْأَسْمَاعِ ، الْكُمْهِ الْأَبْصَارِ، الَّذِينَ يَلْبِسُون الْحقَّ بالْبَاطِلِ ، وَيُطِيعُونَ الْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ))[١]، نلمح في عبارة : **(الْعُمْي الْقُلُوبِ)** ما يأتي :

١_ استعارة العمى للقلوب ، وهي استعارةٌ وردت مسبقاً في كتاب الله العزيز ﴿ **فإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ التي فِي الصُّدُورِ** ﴾[٢]، وانتهجها الإمام في أسلوبه ، والعمى في الحقيقة يكون لحاسة البصر، لكنّه لمّا أراد بيان شدة ما هم فيه من الغي والانحراف للباطل بعد ما عرفوا من الحق ، أطلق العمى على القلب مجازاً لبيان حقيقة ((إنّ العلومَ والمعارفَ التي يُتوصَلُ بها إلى الحقِّ تكون بالعقل ، والذي يُطلقُ على الإدراك من حيث إنّ فيه عقد القلب بالتصديق ، على ما فطر الله سبحانه الإنسان من إدراك الحق والباطل ، والخير والشرِّ ، فجهزه بحواسٍ ظاهرةٍ يدركُ بها ظاهر الأشياء ، وأخرى باطنةٍ يدرك بها المعاني الروحية))[٣]، وعن طريق هذه الحواس يدركُ الإنسانُ غايتَه من العلمِ ، فما سلّم به العقل وآمن ، استقرَّ في القلبِ ، وظهرت آثاره من المعرفة الموجبة للإيمان ، فلمّا لم يتمكن بعيون بصيرته من معرفةِ الحقِّ وتمييزه ، أو معرفته وعدم اتّباعه ، فهو مثل ((الأعمى الذي لا يدرك قصده بسبب فقده بصره ، وأضاف الصمّ للسمع ، والكمه للبصر، باعتبار عدم الانتفاع بها من جهة سمع المواعظ والتذكير

---

[١]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، ك (٣٣) : ٥٤٠.

[٢]) سورة الحج ، آية ٤٦.

[٣]) الميزان في تفسير القرآن ، السيد محمد حسين الطباطبائي : ٢/٢٤٩_٢٥٠.

بها ، ولا البصر من جهة العبرة))[١] ، فهم لم تعم ((أبصارهم عن الإبصار، لكن عميت قلوبهم عن الاعتبار))[٢]، وهذا هو العمى الحقيقي الذي أراد عليه‌السلام بيانه في حكايته .

٢_ تقديم لفظ (العُمْي) معرفاً ، فيه توكيدٌ وبيانٌ لشدّةِ بعدهم عن الحقِّ ، ولاسيّما أنّه جمعٌ لأعمى الذي جاء على زنة (أفعل) الدال على الصفة المشبّهة ، ما يعني ثبوت الوصف ودوامه فلو قال (عميت قلوبهم) لم يكن لها من الدلالة ما للفظ الأول .

وفي حكايةٍ أخرى نلمحُ بناءها على أساس تضافر علاقاتٍ عدةٍ أسهمت في بناءِ صورةٍ تحملُ بين ثناياها تفصيلاتٍ دقيقة جداً، وأموراً غيبيةً ينقلُها الإمامُ عليه السلام عن النبيِّ الأعظم صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلّم فيقول : ((**إِنَّ الْذي أُنَبِّئُكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، مَا كَذَبَ الْمُبَلِّغُ ، وَلَا جَهِلَ السَّامِعُ . لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إلى ضِلِّيلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ ، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ ... وَبَدا مِنَ الْأَيَّامِ كُلُوحُها ، مِنَ اللَّيَالِي كُدُوحُها ، فَإِذا أَيْنَعَ زَرْعُهُ وَقَامَ عَلَى يَنْعِهِ ، وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ ، وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ ، عُقِدَتْ رَايَاتُ الْفِتَنِ الْمُعْضِلَةِ ، وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيلِ الْمُظْلِمِ ، وَالْبَحْرِ الْمُلْتَطِمِ . هذا، وَكَمْ يَخْرِقُ الكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ**))[٣] .

ولفظ :(**أُنَبِّئُكُمْ**) يُسْتَعملُ في ((الخبر إذا كانَ شيئاً عظيماً ، فحقه أن يُتَوَقفَ فيه))[٤]، ولا

---

[١]) شرح نهج البلاغة : ابن ميثم البحراني : ٥/ ٩٢.

[٢]) مدارك التنزيل وحقيقة التأويل ، عبد الله بن احمد بن محمود النسفي : ٤٤٦/٢.

[٣]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، خ (١٠٠) : ١٩٣

[٤]) تاج العروس ، الزبيدي، مادة (نبأ) : ٤٤٤/١.

((يكون إلاّ للإخبار بما لا يعلمه))[١] السامع ، ولم يردْ هذا اللفظُ في الحكاية إلّا مرتين، تحدثَ بهما الإمام **عليه السلام** عن أمور مستقبلية عظيمة ، هذه واحدةٌ منها[٢] ؛ إذ يخبرُ هنا عن فتنةٍ كبيرةٍ تظهر في الشّام ، وتصل الكوفة عندئذٍ فإنّ صاحبها يقتحم الناس ويشتدّ بأسه عليهم وتزداد قوته و وطأته في الأرض ، وفي ذكر الأيام والليالي ، دلالة على أن ((هذه الفتنة مستمرةُّ الزمان كله ؛ لأن الزمان ليس إلاّ النهار والليل))[٣]، واستعار **عليه السلام** **(فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ وَقَامَ عَلَى يَنْعِهِ)** لتمام أمره ؛ أي شبّه ((انتظام أمره وكمال شوكته))[٤] بالزرع الناضج وحان موعد قطافه، واستعار **(وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ ، وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ)** لـ ((حركاته الهائلة وأقواله المخوفة تشبيهاً بالسحاب ذي الشقاشق والبروق))[٥]، ولمّا أراد **عليه السلام** بيان عظم ما يلحق الكوفة من تلك الفتن التي ستعمّ البلاد وتحيط بها مثل الليل الذي يغشى كلَّ شيءٍ ، استعار لعظيم ما يلحقها من بلاءٍ وأذى وكثرته لفظَيْ **(قَاصِفٍ)** وهو رعدٌ شديدُ الصوت ، و **(عَاصِفٍ)** وهي الريحُ القويةُ والشديدة ، وكلّها من نوع استعارة المحسوس لغير المحسوس كوسيلةٍ توصيلية للمعنى المراد ، إنّ هذه الوشائج القائمة بين العناصر البيانية ، التشبيه والكناية والاستعارة التي هي محل الحديث ، تمخضت عن صورة حية ، كان لكلٍّ منها مهمةٌ معرفيةٌ ، تولّى عرضها بطريقةٍ قادرةٍ إلى حمل المخاطبين على تصور تلك الفتنة كأنهم ينظرونها بأعينهم ، ويتجلى من هذا الأمر هدفان:

---

[١]) الفروق اللغوية ، العسكري : ٤١.

[٢]) مثاله ينظر : نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، خ (٢٥) : ٨١.

[٣]) المصدر نفسه : ١٠٠/٧.

[٤]) منهاج البراعة ، حبيب الله الخوئي : ١٧٠/٧.

[٥]) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٢١/٣ .

الأول _ الظاهر هو دفع المخاطبين للاستعداد لتلك الفتن ؛ لأنّ استعداد الإنسان النفسي والعقلي عند تحذيره من خطر يُحيط به يختلفُ عمّا إذا كان فجأة ، فكلّ متوقع آتٍ .

الثاني _ الباطن هو اختصاصه **عليه‌السلام** بعلم النبيِّ الأعظم **صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلّم** دون سواه ، فيرتفع كلُّ شكٍ يلامس نفوسَهم ، ويخالج أذهانَهم ، فيزدادوا يقيناً به .

من الأمور المستقبلية الأخر التي تحدث عنها الإمام **عليه‌السلام** بأسلوب الحكاية هو حكم بني أميّة ، الذي كان الناس يعتقدون دوامه ، فقال : ((**حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ ؛ تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا ؛ وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا ، وَلَا يُرْفَعُ عَنْ هذِهِ الأُمَّةِ سَوْطُهَا وَلَا سَيْفُهَا ، وَكَذَبَ الظَّانُّ لِذلِكَ . بَلْ هِيَ مَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً ،ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً**))[1] .

تمثلت في النصُّ المحكي استعارتان متباينتان أيضاً ، تجسّدت **الأولى:** في قوله **عليه‌السلام** : (**أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ**) ، إذ شبّه الدنيا بإقبالها على بني أمية بالناقة ((كونها محبوسة بين أيديهم))[2] ، قد حازوا سطوتها وسلطتها وما يستتبعه ذلك من التّنعم بخيراتها وملذاتها ، وهذا ما أشار إليه في قوله (**تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا ؛ وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا**) ، والجامع بينهما هو طول المدة الحاصلة ، **الثانية** : تمثلت في قوله **عليه السلام** : (**هِي مَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً ، ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً**) ، و(**المَجَّةُ**) وهو ما يلفظه الإنسان من فيه من ماء أو

---

[1]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ،خ (٨٦): ١٥٤.

[2]) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٢/ ٤٠٦ .

شراب وغيره [١] ، فاستعارها الإمام لبيان مدة حكم بني أمية ؛ أي إنّ مدة حكمهم على الرغم من أنّه برهة ((وهي مدة من الزمان فيها طول))[٢] ، إلاّ أنّها ((سوف تكون قليلة تصفى لهم ثم تخرج من أيديهم بالكلية فلا يقام لهم دولة))[٣] ، والجامع بينهما هو قصر المدة ؛ أي مثلما يستطعم الشارب الشراب ثم يلفظه ، كذلك هم فالدنيا ستصفو لهم ويستمتعون بها ، ثم يُسْلَبُون كلَّ شيءٍ ، ولا يكون ذلك إلا بعد أن يتيقن الناس ببقاء القوة والسلطة بأيديهم ، الذي عبّر عنه بـ**(وَلَا يُرْفَعُ عَنْ هذِهِ الأُمَّةِ سَوْطُهَا وَلَا سَيْفُهَا)** وهو كناية عن دوام البقاء ، ثمَّ بيّن الإمام أنّ من يظنُّ ذلك ؛ أي يعتقد بدوام ملكهم فقد كذب ، ويمكن توضيح تلك الاستعارتين بالمخطط الآتي:

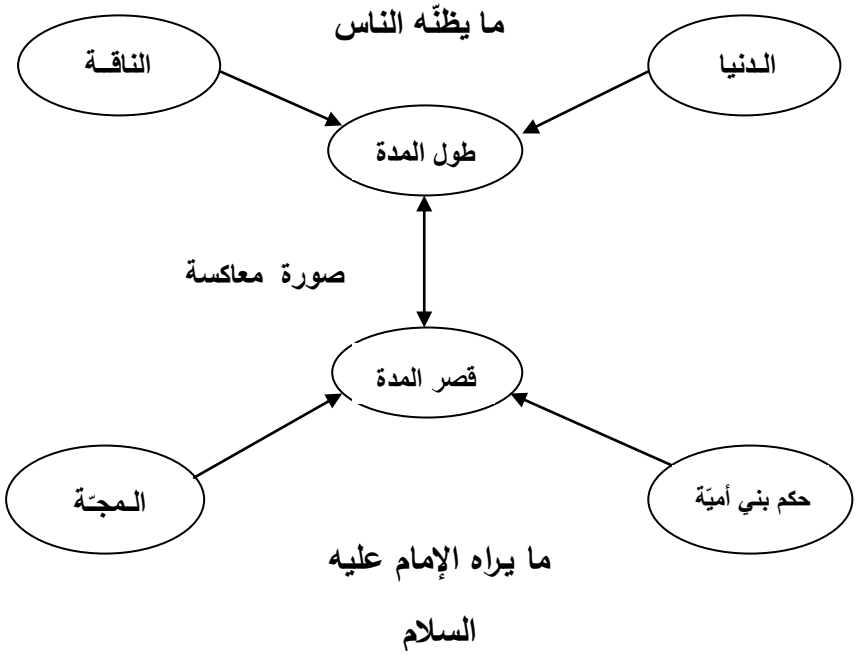

---

[١] ظ : لسان العرب مادة (مجّ) : ٣٦١/٢.

[٢] شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ٣٨١/٦.

[٣] شرح نهج البلاغة ، السيد عباس الموسوي : ٣٦/٢.

٣_ التصوير بالاستعارة المرشحة

وهي ((التي تقترن بما يلائم المستعار منه _ المشبه به _))[١]، وهي أبلغ وأكثر توكيداً وقدرة على المبالغة في الاستعارة ، وممّا جاء منها في الحكاية العلوية ، قوله (عليه‌السلام) رداً على حكاية بلَغَته عن تنمّر ابن عباس على بني تميم قال : ((**بَلَغَنِي تَنَمُّرُكَ لِبَني تَمِيمٍ ، وَغِلْظَتُكَ عَلَيْهِم ، وَإنَّ بَني تَمِيمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إلاَّ طَلَعَ لَهُمْ آخَرُ، وَإنَّهُمْ لَمْ يُسْبَقُوا بِوَغْمٍ فِي جَاهِلِيَّةٍ أوْ إسْلَامٍ**))[٢] .

بنو تميم قبيلة عُرفت بشجاعتها وإقدامها وقد شبّه الإمام سيدهم بالنجم ، والجامع بينهما هو(الاهتداء) فكما يُتخذُ النجم طريقاً للاهتداء كذلك ((سيد الجماعة وكبيرهم قدوة يهتدون به ويقتدون بآرائه في الطرق المصلحيّة))[٣] ، وقد رشحها بما يلائم النجم من الطلوع والمغيب .

ورد لفظ العمى في النصوص العلوية المحكية ، لكنّه في مواضع كان يدلُّ على التخصيص ؛ أي كانت صفةَ جماعة معينة ، أمّا في النصِّ المحكي الآتي فيسلك مسلك التعميم ، فلا يخصُّ جماعة دون أخرى ، إذ يقول عليه‌السلام رداً على من زعم العلم من دونهم : ((**أَيْنَ الَّذينَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا ، كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنَا ، أَنْ رَفَعَنا اللهُ وَوَضَعَهُمْ ، وَأَعْطانا وَحَرَمَهُمْ ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ . بِنا يُسْتَعْطَى الْهُدَى ، وَيُسْتَجْلَى الْعَمَى ، إنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ**

---

[١]) معجم المصطلحات البلاغية ، بدوي طبانة : ٢٥٣.

[٢]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، ك (١٨) : ٤٩٨.

[٣]) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٤٧٢/٤.

قُرَيْشِ غُرِسُوا فِي هذا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ ،لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ ، وَلَا تَصْلُحُ الْوُلاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ))[١].

وإيراد **(زَعَمُوا)** تحديدا ؛ لأنَّ الزعم هو ((القول في غير صحّة))[٢] ؛ لذلك أردفه بقوله **(كَذِبَاً وّبَغْياً)** ، لما ظهر من إدعاءِ بعضهم أنَّ ثمّة مَنْ ينافسهم في العلمِ والفضلِ فـ ((اختلقوا لبعض الصحابة اختصاصاتٍ ومؤهلاتٍ في بعضِ العلومِ ، وزعموا أنّهم أعلم الأمّة))[٣]، فكذّب **عليه‌السلام** زعمهم وأوضح أنّ اللهَ خصَّهم بالعلم دون سواهم فهم أهله ومعدنه ؛ ولبيان هذه الحقيقة نراه قد استعار للجهل لفظة العمى في قوله : **(بِنا يُسْتَعْطَى الْهُدَى ، وَيُسْتَجْلَى الْعَمَى)** ثمّ رشّحه بذكر الاستجلاء ، والجامع بينهما هي حالة الاهتداء الحاصلة بالعلم ؛ أي إنّهم ((كانوا المعدّين لأذهان الخلق لقبول أنوار الله ، فبواسطة استعدادهم يُفاضُ على النفوس هداها ، وبواسطة إعطائهم القوانين الشرعيّة والكلّية والجزئية يستجلى الجهل))[٤] ، فاللفظ هنا أشمل وأوسع ، فهو من جهة أوضح وأبان ذلك الدعاء الكاذب ، ومن جهة أخرى كان وسيلة كشفت عن عظيم مقامهم **عليهم السلام** .

كذلك قوله لأحد عمّاله حين بلغته شكوى عنه : ((**أَمَّا بَعْدُ ، فإِنَّ دَهَاقِينَ أَهْلِ بَلَدِكَ شَكَوْا مِنْكَ غِلْظَةً وَقَسْوَةً ، وَاحْتَقَاراً وَجَفْوَةً ، وَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلاً لِأَنْ يُدْنَوا لِشِرْكِهِم ، وَلَا أَنْ يُقْصَوْا**

---

[١]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، خ (١٤٤) : ٢٦٧.

[٢]) مجمل اللغة ، ابن فارس، مادة (زعم) : ٩٣٤/١ .

[٣]) شرح نهج البلاغة ، السيد عباس الموسوي : ٤٣٠/٢.

[٤]) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٢٣٩/٣.

وَيُجْفَوْا لِعَهْدِهِم ، فَالْبَسْ لَهُمْ جِلْبَاباً مِنْ اللِّينِ تَشُوبُهُ بِطَرَفٍ مَنَ الشِّدَّةِ وَدَاوِلْ لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ وَالرَّأْفَةِ ، وَامْزُجْ لَهُمْ بِينَ التَّقْرِيبِ وَالْإِدْنَاءِ ، وَالْإِبْعَادِ وَالْإِقْصَاءِ . إِنْ شَاءَ اللهُ))[١] .

نلحظ أنّ الإمام لمّا أراد من عامله ، أن يتخذ أسلوباً وسطاً في التعامل مع غير المسلمين ، أسلوب يمازج به بين التقريب والإبعاد ، والقسوة والرأفة ، استعار لتلك الحالة الوسطية لفظ الجلباب ، وهو ما يُرتدى على الثياب ؛ لأن لابسه يساوي بين طرفيه ، ورشحه بذكر اللين، والجامع بينهما هي الحال أو الهيأة الحاصلة من تساوي الطرفين ، فيكون ذلك أولى من أن ينفروا من الإسلام ، أو يتحوّلوا إلى أعداء له وهم يعيشون ما بين المسلمين ، فيكون خطرهم أشدّ ، إذاً الإمام هنا رسم صورة للولي العادل ، وخطَّ له المنهج الصحيح في التعامل مع الرعية على اختلاف توجهاتها من دون تمايز ، وهذا ما يعكس خلقه الكريم وإنسانيته اللذين استقاهما من القرآن الكريم ، ومربية النبيّ الأعظم **صلى الله عليه وآله وسلم** .

إذاً نلحظ تجلي أثر الاستعارات ، في بناء صور مكثفة الدلالة ، حاملة لمعاني تملك من القوة والقدرة التي تجعل المتلقي ، متفاعلًا معها ، ومتأثراً بها ، ولاسيّما الاستعارة المكنية ، التي ظهرت بشكل أوسع من الاستعارة التصريحية و الترشيحية ، وما يتصل بها من عامل التشخيص ، الذي كان له أثر بيّن في إضفاء صفة الحياة على الجمادات ، فأظهرتها بمظهر الحي .

---

[١]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، ك (١٩) : ٤٩٨_٤٩٩.

بلاغة الكناية

إنّ الانتقال بين أبوابِ علمِ البيان ، ما هو إلاّ انتقال من العموم إلى الخصوص ثمّ الأخصّ، فتشكّل تلك الأبواب أداة لرسم صورة تتفاوت في ملامح ظهورها ، فإذا كان التشبيه يبحث عن نقاط يشترك فيها طرفا التشبيه ، فالاستعارة أدقّ وأعمق لصهرها أحد الطرفين بالآخر ، حتى يصبح من الصعوبة بمكان فصلهما عن بعض ، وتزداد المسألة دقةً وصعوبة في الكناية ، التي تتوارى خلفها صورة دقيقة تتطلب من المتلقي الحذق لملمة شتاتها ، وجمع أجزائها ، التي تختبئ خلف الإشارات والرموز ، إذ إنّ الصورة الكنائية المتوارية كلّما ابتعدت عن موطنها الأصلي التي انطلقت منه ، كلما ازدادت تورياً في عمق الألفاظ الحاملة لتلك الإشارات ، وهي بعد كنظيراتها من الصور تتكئ على ثلاث ركائزٍ أساس : فكرة تعدُّ المحور الأساس في بناء الصورة ، التي يتطلب إخراجها متكلم عبقري عالم بفنون القول ، الذي يمثل الركيزة الثانية ، فإذا ما توافرت تلك الركيزتان ، أصبحت الصورة أشبه ببذرة مهيّأة للإنبات في ذهن متلقٍ لمّاحٍ قادرٍ على استكناه خباياها ؛ لذا حظيت الكناية بمزيد من الاهتمام عند البلاغيين ، وبسطوا الحديث عنها في كتبهم ، وهي في أصلها اللغوي من ((كنّى عن الأمر بغيره : إذا تكلّم بغيره ممّا يستدلُّ عليه))[١] ، وفي الاصطلاح هي : ((أنْ يُريدَ المتكلمُ إثبات معنىً من المعاني ، فلا يذكرُه باللفظ الموضوع له في اللغةِ ، ولكن يجيء إلى معنى تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ، ويجعله دليلاً عليه))[٢] ، ما يعني وجود معنيين ، حقيقي و مجازي ، فالمسافة المجازية التي تقطعها الصورة المتوارية بين

---

[١]) لسان العرب ، ابن منظور . مادة (كنى) : ١٥/ ٢٣٣.

[٢]) دلائل الإعجاز ، الجرجاني : ٥٩_٦٠ ، و ظ: المثل السائر ، ابن الأثير :١٨١/٢.

هذين المعنيين ، هي المسافة التي تنبثق منها الصورة الوليدة لتتلاحم أجزاؤها وتستوي على معانيها، وهذه المسافة تمثّل المدار الذي يدور حوله ذهن المتلقي ، فيعمل فيه على تجزئة الصورة محاولة منه للوصول للغايات التي ترتبت وراء تشكّلها ، حيث إنّ تكوين تلك الصورة ((يقتضي تركيب صورتين إحداهما تعمل على توجيه الأخرى ، **الأولى:** هي صورة الأصل حقيقة لا تتعدى حدود اللغة ، و**الثّانية:** صورة تشعُّ من الأولى منصرفة عمّا وضعتْ له إلى الإيحاء والرمز، متخذة من الأصل دليلاً يتوصل به إلى إدراك المعنى الجديد))[١] ، فهي إذاً ((ضربٌ من ضروبِ العدول عن اللفظ يقرر معناه حقيقة وصراحة الإتيان بلفظٍ آخر يؤدي هذا المعنى في شيءٍ من التأويل على أنْ تكونَ هناك علاقة لازمة بين اللفظين فيما يؤديانه ؛ لذلك فإنّ هذه العمليةَ اللغوية الفنية تُنتجُ لنا صورةً بديلةً لازمة لما عُدل عنه وتُرِكَ ما سواه))[٢] ؛ لذلك كانت ((أدخل في إفادة المعاني من تلك الصرائح الموضوعة ؛ وذلك لأنّ دلالة هذه الأمور على ما تدّل عليه ، إنّما كان دلالة باللازم والتابع ، ولا شكَّ أنّ الدلالةَ على الشيءِ بلازمه أكشف لحاله وأبين لظهوره وأقوى تمكناً في النّفسِ من غير ما ليس بهذه الصفة))[٣] ، ولا يقلُّ أثر الكناية عن التشبيه والاستعارة في ترجمة المعاني المعقولة إلى حسيّة التي من شأنها إثارة إعجاب المتلقين وهذا أمرٌ لا يتوافر في اللغة العادية ، فإذا كانت الصورة الكنائية باباً من أبواب الإيجاز لما تتيحه من فرصة لبسط المعاني واتساعها ، فهي صورة تتشحُ برداء الأدب والخلق العظيم أيضاً ،

---

[١]) الأثر القرآني في نهج البلاغة ، د. عباس علي حسين الفحام : ١١٤.

[٢]) بناء الصورة الفنية في البيان العربي ، كامل حسن البصير : ٣٢٨.

[٣]) الطراز ، العلوي : ١٥٦.

إذ بها((يُعبر عن المعاني التي يجملُ إخفاؤها وعدم التصريح بها ؛ لأنّها تنافي الذوق السليم ، شريطة أن لا يؤدي هذا الخفاء إلى التعقيد والإخلال بالمعنى))[١] ، وسيدرس هذه المبحث دراسة بلاغة الصورة الكنائية المتوارية ، متتبعاً تقسيمها ، أمّا بحسب المكنّى عنه ، أو على اعتبار الوسائط والسياق ، وكما دأب البحث على دراسة وسائل الحكاية العلوية ، متتبعاً أكثرها ، تجلياً وحضوراً ، لذلك سيبدأ من :

أولا : حكاية الكناية بحسب صورة المكنّى عنه ، وتقسمُ إلى كناية صفة ، موصوف ، نسبة ، ومجيء هذه الأنواع في الحكاية متفاوت جداً ، ولمّا كانتْ الكناية بالصفة أكثر تجلّياً من غيره ، فإنّا سنبدأ بها .

١_ حكاية الكناية عن الصفة :

وهي التي ((يطلب بها نفس الصفة والمراد هنا الصفة المعنوية))[٢]، وليس النعت ، فما جاء منه في الحكاية قوله (عليه السلام) رداً على حكاية بلغته من دخول بُسر بن أرطاة اليمن : ((**أُنْبِئتُ بُسْراً قَدْ اطَّلَعَ الْيَمَنَ ... فَلَوِ ائْتَمَنْتُ أَحْدَكُمْ عَلَى قَعْبٍ لَخَشَيْتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلاقَتِهِ**))[٣] ، فخلف قوله (**لَخَشَيْتُ أَنْ يَذْهَبَ ..**) تتوارى صورة دقيقة عن الخيانة ، ممكن أن نستشف ملامحها عن طريق لفظة(**قَعْبٍ**) وهو قدح كبير توضع له عِلاقة من الليف ، كنّى به عن الأمور الحقيرة

---

[١]) الكناية والتعريض ، أبو منصور الثعالبي :٤٣.

[٢]) علم البيان ، عبد العزيز عتيق : ٢١٢.

[٣]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، خ (٢٥) : ٨١ .

والصغيرة التي لا قيمة لها ، فقوله (**فَلَوِ ائْتَمَنْتُ أَحْدَكُمْ...)** ، هو للمبالغة في بيان خيانتهم ؛ أي لو ائتمنت أحدكم على قعب لخشيت سرقته وأخذ علاقته[١] ، وبلحاظ ذلك نجد ، إنّ ذكرَ الخيانة في الأمورِ الصغيرة ، هو نقلٌ لذهن المخاطب إلى تصوّرِ الأمور الكبيرة لاسيّما الدينية ، ومنها إلى الخيانة بعهده ، التي تجعلهم غير منصاعين لأوامره ، وهذا ما يسمى بالكناية البعيدة التي يتَوَصَلُ إلى المطلوب منها بواسطة أو وسائط متعددة ، ويختلف بناء الصورة الكنائية عن الصفة في الحكاية ، بحسب المخاطب وموقعه ، وطبيعة الفكرة التي في ذهن المتكلم ، إذ نلمسُ تعبيراً مختلفاً لصفة الخيانة في موضع آخر من الحكاية ، حيث يقول (عليه‌السلام) رداً على حكاية بلغته من أحد عمّاله : ((**بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ رَبَّكَ ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ ... بَلَغَنِي أَنَّكَ جَرَّدْتَ الأَرضَ فَأَخَذْتَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ ، وأَكَلْتَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ**))[٢].

تتمحور الصورة الكنائية المتوارية حول الألفاظ **(جَرَّدْتَ _ أَخَذْتَ _أَكَلْتَ)** ، التي أسهمت في بيان صورة للخيانة ، بدأت بتجريد الأرض ، وهو ما يمثلُ أكثر الأشياء أهمية ، فالأرض مصدر مهم تقوم عليه حياة المسلمين وقتذاك ، وتجريدها إشارة إلى أخذ الأموال المتحصّلة منها ، التي هل ملك المسلمين ، وجعلها له خاصّة ، هذا مما يوجب سخط الإمام ، وبالنتيجة سخط الله عزَّوجلَّ .

---

[١]) ظ : شرح نهج البلاغة ، محمد كاظم القزويني الحائري : ١١٥/٢ .

[٢]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، ك (٤٠) : ٥٤٧.

خيانة الأمانة هي انتهاك صريح لما نصَّ عليه القرآن في قوله تعالى﴿ **وَالَّذِينَ هَمْ لِأَمَانَاتِهِم وَعَهْدِهُمْ رَاعُونَ** ﴾[١]، وإنّ آثارَها تنعكسُ سلباً على المجتمع لاسيّما إذا صدرت ممّن يلي أمور المسلمين ، لذلك نلمس شدَّة الإمام عليه السلام في الحساب عليها ، كتوعّدِه أحد عمّاله حين بلغه تقسيمه فيء المسلمين على خاصّتِه ، في قوله : ((**بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ ... إِنَّكَ تَقْسِمُ فَيءَ الْمُسْلِمِينَ ـالذِي حَازَتْهُ رِمَاحَهُمْ وَخُيُولُهُمْ وَأُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمـ فِيمَنْ اعْتَامَكَ مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ . فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحبَّةَ ، وَبَرأَ النَّسَمَةَ ، لَئِنْ كَانَ ذلِكَ حقّاً لَتَجِدَنَّ لَكَ عَلَيَّ هَواناً، وَلَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَاناً، فَلا تَسْتَهِنْ بِحقِّ رَبِّكَ**))[٢] .

وعبارة (**لَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَاناً**) هي كناية ((عن صغر منزلته عنده))[٣]، التي هي حصيلة ما يجترح من سيئات . وإنَّ التعبير عن ذهاب الحسناتِ بخفة الميزان ، هو تعبيرٌ قرآني وردَ بقوله عزَّ وجلَّ ﴿ **وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولئِك الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ** ﴾[٤] ، مما يدلُّ دلالة واضحة على تتبّعِ الإمام في الحكاية النهج القرآني فيما يقوله ويفعله ، ولإرجاع الناس أيضاً لأجواءِ القرآن التي يشعرُ أنّهم ابتعدوا عنها .

الصورةَ الكنائيّة وأسلوب بنائها، هو نتاجُ فكرٍ، وطبيعةُ موقفٍ ، واختلافُ موضوعٍ ، لذا من الطبيعي أنْ يختلفَ ، من موقفٍ إلى آخرٍ؛ لذا نلمح صورة مختلفة رسمها عليه السلام لبيان

---

١) سورة المعارج : آية ٣٢ .

٢) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، ك (٤٣) : ٥٥١.

٣) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٥/ ٩٥ .

٤) سورة المؤمنون : ١٠٣.

مسألة حقِّه في الخلافةِ ، تجلّت بأساليب متعددة الصّريح منها وغير الصّريحِ ، وهذا واحدٌ منها ، ففي ردِّه على حكاية أُتِهمَ بها بالحرص على الخلافة قوله : ((**وَقَدْ قَالَ قَائِلٌ : إِنَّكَ عَلَى هذا الأمْرِ يا بْنَ أَبي طَالِبٍ لَحَرِيصٌ ... إِنَّما طَلَبْتُ حَقّاً لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ**))[١] ، فعبارة (**تَضْرِبُونَ وَجْهِي**) تختبئ خلفها صورة كنائية توحي بمنعٍ مقصود ، يُشير عن طريقها إلى تلك ((الألاعيب التي لعبوها في الشورى))[٢]، وعلى وفق ذلك نلمح تعدد الصور الكنائية لبيان صبره عن أخذهم حقِّه منه في قوله (عليه السلام) : ((**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي وَأَكْفَأُوا إِنَائِي ... وَقَالُوا : أَلَا إِنَّ فِي الْحقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ ، فِي الْحقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ ، فَاصْبِرْ مَغْمُوماً، أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً .فَنَظَرْتُ فَإِذا لَيْسَ لِي رَافِدٌ ، وَلَا ذَابٌّ وَلَا مُسَاعِدٌ ،إِلاَّ أَهْلَ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى، وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا ، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ مِنْ العَلْقَمِ، وآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشِّفَارِ .**))[٣].

في النصّ المحكي تتوالى الكنايات ؛ لأجل استشفاف ملامح الصورة المخبوءة خلف العبارات ، وأولى تلك العبارات الكنائية التي تطالعنا هي قوله **(فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى)** ، ففيها من مرارة التصبّر ما يجعل لوقعها على السمع صدى قوياً ، فالإغضاء هو((إدناء الجفون من بعضها البعض))[٤]، عندما يعترضها شيءٌ من الغبار ونحوه ، واستعار تلك الصورة وكنّى بها

---

[١]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، خ(١٧٢) : ٣٢٦_٣٢٧.

[٢]) توضيح نهج البلاغة ، محمد الحسيني الشيرازي : ٣/٤٠.

[٣]) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه السلام) ، م (٢١٧) : ٤٤٨.

[٤]) مفتاح السعادة ، محمد تقي النقوي : ٥/ ١٧٨ .

عن((شدة تحمله مرارة الصبر، وتحمل الألم لضياع مطلوبه))[١]، ثمّ جاءت الكنايتان المتمثلتان في قوله : **(وَجَرِعْتُ رِيقي عَلَى الْشَّجَا ، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيظِ)** لتضيف للصورة عمقاً أكبر ببيان مدى تحمله ألم غصب حقه ومرارة السكوت عنه ، فيكون حاله شبيه ((بمن اعترض حلقه عظم أو غيره ، فشتدّ الوجع به ويكون أشدَّ وجعاً إذا أراد بلع شيءٍ عليه ، أو بمن أُخذ بمجرى نفسه فهو في خنق))[٢] ، فتلك الكنايات أسهمت في رسم صورة لحالة الإمام الشعورية على نحو دقيق ، وهي بعد قريبة للذهن ؛ لأنّها :

١ _ في معرض الدعاء لله ، والدعاء بالنسبة للإمام حالة من الذوبان والانصهار الروحي بين يديّ المولى ، والتي تولد الشعور بالقرب من الفيض الآلهي ، ومع هذا القرب فلا يكون هناك داعٍ لوسائط لغوية متعددة للوصول للغاية .

٢_ موضوعٌها بيّنٌ لكلِّ من سمعها أو يسمع بها ، فهذا التلون في رسم الصورة الكنائية للحكاية ،امتزج بالإحساس الداخلي فتمكن من رسم صورة صادقة أفاض عليه السلام عليها من صدق مشاعره بما جعلها صورة متجددة زاخرة بالمعاني.

---

[١]) الدّرة النجفية ، إبراهيم بن حسن الخوئي : ٨٨.

[٢]) توضيح نهج البلاغة ، محمد الحسيني الشيرازي : ٣٤٣/٣.

ومن الكنايات المحكيّة التي جاءت على لسانه عليه السلام والتي كان لها الأثرُ في بيان صفات النكوص والفرار أو الثبات والإصرار، منها قوله: ((**وَإِنَّما عَهْدُكُمْ بَعَبْدِ الله بِنْ قَيْسٍ**[١] **بِالْأَمْسِ يَقُولُ : ((إِنَّها فِتْنَةٌ فَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ ، وَشِيمُوا سُيُوفَكُمْ)) فَإِنْ كَانَ صَادِقاً فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيرِ مُسْتَكْرَه، وَإِنْ كَانَ كَاذِباً فَقَدْ لَزِمَتْهُ التُّهْمَةُ**))[٢] .

تجلت الكناية في :**(فَقَطِّعُوا_ وشِيمُوا)** ، وهما كنايتان عن الفرار من الحرب واعتزالها، التي أطلقها الأشعري ، لغرض تثبيط عزائم الجيش ، وهي بعد تحمل صورةً خفية لما يضمره الأشعري اتجاه الإمام بسبب عزله عن ولاية الكوفة ؛ لذلك كان يحاول هدّ عزيمة الجند بعذر اعتزال الفتن التي كان الإمام يخُبر عنها .

كذلك قوله عليه السلام في حكاية تضمّنت سؤاله عن قبوله التحكيم : ((**أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ حِيلَةً وَغِيلَةً وَمَكْراً وَخَدِيعَةً ، إِخْوانُنَا وَأَهْلُ دَعْوَتِنا، أَسْتَقَالُونا وَاسْتَرَاحُوا إِلى كِتَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ ...؟ فَقُلْتُ لَكُمْ: هذا أمرٌ ظَاهِرُهُ إِيمانٌ ... فَأَقِيمُوا عَلَى شَأْنِكُمْ ، وَالْزَمُوا طَرِيقَتَكُمْ ، وَعَضُّوا عَلَى الْجِهَادِ بِنَوَاجِذِكُمْ**))[٣] .

---

[١]) هو أبو بردة عامر بن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري، كان أبوه صاحب رسول الله قدم اليمن مع الأشعريين فأسلموا ، وأبوه كان قاضيا على الكوفة وليها بعد القاضي شريح ، وفيات الأعيان ، ابن خلكان ١٠/٣.

١) نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، خ (٢٣٦) : ٤٧٤ .

[٣]) المصدر نفسه ، م (١٢١) : ٢٣٧.

تدور الصورة حول قوله **(وَعَضُّوا عَلَى الْجِهَادِ بِنَوَاجِذِكُمْ)** والنواجذ هي أقصى الأضراس ، وعند العضّ عليها ((تتصلّب الأعصاب والعضلات المتصلة بالدماغ فيزول عنها الاسترخاء ، فتكون على مقاومة السيّف أقدر ، وتأثير السّيف أقلّ))[١] ، ففي تلك الكناية تصوير لحرب مهولة تكتنفها مبالغة في الثبات ولزوم الحرب لقتال أهل الباطل .

والمبالغة في بناء الصورة الكنائية تمنحها إشراقةً وجمالاً ، وتزيدها قوةً ، حتى تبدو معها المعاني جديدةٌ ، فمن الكنايات الأُخر التي كان للمبالغة اثرٌ واضحٌ فيها قوله (عليه‌السلام) رداً على حكاية للخوارج حين اتهموه بالضّلال : ((**فإنْ أَبَيْتُمْ إلاَّ أنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أخْطَأتُ وَضلَلْتُ فَلِمَ تُضَلِّلُون عَامَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ _صلّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وسلم_ بِضَلالِي... وَالْزَمُوا السَّوادَ الأَعْظَمَ فَإِنَّ يَدَ اللهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ . وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ ! فإنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ ، كمَا أنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئبِ . أَلَا مَنْ دَعَا إلى هذا الشِّعارِ فَاقْتُلُوه ، وَلَوْ كانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هذه**))[٢]، في الحكاية كنايتان :

_ (**يَدَ اللهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ)** ، فليس المقصود من اليد ، الجارحة إذا لا يصحّ نسبة ذلك لله عزَّ وجلَّ فـ ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ**﴾[٣]، وإنّما هي هنا وسيلة يتوصل بها إلى معنى آخر، فهي تدّل على القدرة والسلطة، ومن مصاديق القدرة، الحفظ والمعونة ؛ أي حفظ الله ((على الذين اجتمعوا

---

[١]) نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ٥/ ١٦٩ .

[٢]) نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، م (١٢٧) : ٢٤٤_٢٤٥.

[٣]) سورة الشورى ، آية : ١١ .

على الديّن الحقّ والإمام الحقّ))[١]، وذكر(على) الدالة على الاستعلاء دليل على أنّ رعاية الله تغشاهم وتحيط بهم .

_ **(تَحْتَ عِمَامَتِي)** وهي ((مبالغة كنّى بها عن أقصى القرب من عنايته ؛ أي لو كان ذلك الداعي إلى هذا الحدِّ من عنايتي))[٢] اقتلوه ، ويقصد بالداعي من دعا من الخوارج بشعار لا حكم إلاّ لله ، فهذه المبالغة أمدت الصورة الكنائية بمزيد من القوة والتأكيد .

٢_ حكاية الكناية عن الموصوف :

هي ((التي يطلب بها نفس الموصوف ، والشرط هنا أن تكون الكناية مختصّة بالمكنيِّ عنه لا تتعداه))[٣]، وقد وردت حكاية الكناية عن الموصوف على نحو أقلّ في الحكاية قياساً بالحكاية عن الصفة ، فمن حكاية الكناية عن الموصوف قوله (عليه‌السلام) ردّاً على حكاية معاوية حين اتهمه بأنّه يمنُّ على الإسلام بسابقته وجهاده حين فاضل بينه وبين غيره : ((**وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الإِسْلامِ فُلانٌ وَفُلانٌ فَذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّهُ ... وَلَوْلَا مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيةِ الْمَرءِ نَفْسَهُ ، لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً ، تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤمِنِين ، وَلَا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِين**))[٤] .

---

[١]) حدائق الحقائق ، محمد بن حسن البيهقي : ١/ ٥٨٢ .
[٢]) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ١٧٤/٣.
[٣]) علم البيان ، عبد العزيز عتيق : ٢١٥ .
[٤]) نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، ك(٢٨) : ٥١٢_٥١٣.

في النصّ العلوي نلحظ أنّ الكناية الواقعة في قوله (**لَذَكَرَ ذَاكِرٌ**) ، تلّوح بصورة تكشف عن حقيقة الإمام وتواضعه ، فكنّى عن نفسه الطاهرة بلفظ (**ذَاكِرٌ**) ، وجاء به نكرة ((ولم ينسبْه إلى نفسه ؛ لأن في ذلك صريح دلالة على تزكية النفسٍ))[١]، وعلى الرغم من النهي من تزكية النّفس إلّا إنّ ((الضرورات قد تبيح تزكية المرء نفسه حين يقتضي توضيح مبدأ وفضح تلبيس الحق بالباطل))[٢]، فاكتفى الإمام بالإشارة إلى تلك الفضائل بقوله (**تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤمِنِين**) ، لمّا ظهرت واستقرت في نفوسهم .

وفي قولٍ له عليه السلام رداً على حكاية معاوية حين هدّده بالحرب: ((**وَذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلِأَصْحَابِي عِنْدَكَ إِلاَّ السَّيْفُ ، فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ! مَتَى أَلْفَيْتَ بني عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ الْأَعْدَاءِ ناكِلِينَ وَبالسَّيفِ مُخَوَّفِينَ**))[٣] ، فالكناية التي وقعت في قوله (**أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ**) تعكس صورة لحالة العجب التي تملّكت الإمام من وعيد معاوية له ، وهذه العبارة لا تُقال إلاّ في الأمور البالغة من العجب حدّ الغرابة ، لذلك كان ((وعيده لمثله عليه السلام من أبلغ الأسباب المستلزمة لأبلغ العجب))[٤] ؛ إذ لا يخفى على كُلِّ لبيبٍ شجاعة عليٍّ وبطولاته فكأنَّ (**أَضْحَكْتَ**) من باب الاستهزاء بهذا الوعيد .

---

[١]) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٥٢٣/٤ .

[٢]) بلاغة النهج في نهج البلاغة ، د. عباس علي حسين الفحام : ١٧٠ .

[٣]) نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، ك (٢٨) : ٥١٧.

[٤]) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٥٣١/٤.

تُعَدُّ الفتنُ من الأمورِ المستقبلية ، التي تمازجت في وصفِها أساليبٌ متعددة ، قال (عليه السلام) حكاية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((**لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إلى ضِلِّيلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ ، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ . فَإِذا فَغَرتْ فَاغِرَتُهُ ، وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ ، وَثَقُلَتْ فِي الْأَرضِ وَطْأَتُهُ**))[١] .

يمكننا تتبع منابع الصورة المتوارية عن طريق كناياتٍ متعددة ، ترسم صورة دقيقة لصاحب الفتنة أولاً ، والفتنة ثانياً ، فوصف صاحبها هو مقدمة لبيان عظم الفتنة ، فكنّى الإمام عن صاحب الفتنة بـ **(نَعَقَ بِالشَّامِ)** ، وهذه الكناية يتجاذبها معنيان ، **الأول** : بلحاظ الضّليل ، الذي يلمح فيه التنكير ليشمل كلّ زمانٍ ومكانٍ ، وعبّر عنه بلفظ (نعق) والنعيق هو صوت الغراب فتشبيهه بالغراب كونه نذير شؤم ؛ ولأن الغراب لا يوجد إلاّ في الأماكن الخربة[٢] ، فتكون بذلك أشارة إلى ما سيحدثه الضّليل من دمارٍ في البلاد ، **الثاني** : بلحاظ مَن سيتّبعه ، لاسيّما أنّ هذه الدعوة أول ظهورها في الشام ، وأهل الشّام معروفين بالانقياد الأعمى _ بسبب التضليل_ لدعاة الباطل ، فيكون قد شبّههم بالبهائم ، وعليه لفظ نعق هو ((تصويت وزجر لها فهي لا تعي كما يعي العقلاء))[٣] ، وكلاهما يصّحان ، لما يحملانه من صورة دقيقة لكلا الطرفين .

---

[١]) نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، خ (١٠٠) : ١٩٣.

[٢]) ظ : الاقتباس والتضمين ، كاظم عبد فريح الموسوي : ٢٦ .

[٣]) الكشاف ، جار الله الزمخشري : ١٠٧.

ويستمر الإمام في رسم صورة صاحب الفتنة ، ففي قوله **(وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ)** ، والفحص هي حفر يتخذها الطائر مكانا يبيض فيه[١] ، استعاره الإمام وكنّى به عن استيلاء الضّليل على الكوفة وبسط نفوذه فيها[٢]، ولإعطاء صورة لقوة الضّليل التي أوجبت له بسط نفوذه ، توسل الإمام بكناية أخرى معاضدة للأولى في الكشف عن الصورة المخبوءة خلفها ، تمثّلت بقوله **(فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ)** ؛ أي فتح فمه ((وجيء بالمؤنث باعتبار النفس كأنّها تريد الالتهام لكلِّ شيءٍ ، والفم دليل على فغر النفس))[٣] ، والشكيمة : يقال ((فلان شديد الشكيمة إذا كان شديد المراس شديد النفس عسير الانقياد))[٤] ، وهي في الأصل الحديدة التي توضع في لجام الدابة فجاءت الكناية كاشفة عن قوة هذا الضّليل ، أمّا قوله **(وَثَقُلَتْ فِي الْأَرضِ وَطْأَتُهُ)** فهي كناية عن ((شدة بأسه في الأرض على الناس))[٥] ، وثمّة أمورٍ نلمحها في الحكاية هنا منها :

_ إنّ الابتداءَ بذكرِ الضلّيل وصفاته ، إنّما هو إنباءٌ بعظيمِ فعلِه وفداحة أمره ؛ إذ إنّ عظمَ الأمورِ وصغرها أو قصورها مرهونُ بمن يقودها .

_ المبالغة في الوصف ، تلك المبالغة التي استحالت طريقة في الشرح والتوضيح ، فقد صوّره

---

١) ظ : لسان العرب ، ابن منظور مادة (فحص) : ٧/ ٦٣ .
٢) ظ : شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٢٩٩.
٣) توضيح نهج البلاغة ، محمد الحسيني الشيرازي : ١٣٠/٢.
٤) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ١٠٠/٣.
٥) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٣/ ٢١ .

تصويراً في غاية الدقة ، فأظهره بصورة مرعبة من البأس والقوة والبطش والقسوة ، لتوجيه الأذهان إلى تصور عظيم ما سيلاقونه ؛ إذا حلّتْ تلك الفتنة بديارهم .

بعد أنْ وصف الإمام عليه السلام الضلّيل ، بدأ بوصف الفتنة ، في النصّ المحكي نفسه بقوله : ((**وَمَاجَتِ الْحَربُ بأَمْوَاجِهَا ، وَبَدا مِنَ الْأَيَّامِ كُلُوحُها ، مِنَ اللَّيَالِي كُدُوحُها**))[١] ، فاستعار لفظة الموج للحرب ((وكنّى بها عن الاختلاط الواقع فيها من القتل والأهوال))[٢] كما يموج البحر فيخلط كلَّ شيءٍ ، ثمَّ كنّى عليه السلام بـ **(كُلُوحُها_ كُدُوحُها)**عمّا سيصيب الناس ((من المظالم وما يحل بالبلاد من الخراب والدمار))[٣]، وبوصف الفتنة بهذا الشكل المتفرد ، تكون اللوحة الكنائية قد استكملت جميع أبعادها، وأعطت ما تحمله من معانٍ دقيقة وعميقة للمتلقي الذي من شأنه تفكيك تلك الصورة بما يملكُه من معرفةٍ قارةٍ في مخزونه الثقافي ، أو بما تفرضه طبيعة مجرى الأمور أو الواقع ، للوصول لتلك المعاني .

٣_ صورة الكناية عن النسبة :

هي ((أن يُصرّحَ فيها بالصفة والموصوف ولا يُصرّح بالنسبة التي بينهما ، ولكن يُذكر مكانها نسبة أخرى تدّل عليها))[٤]، وندرَ مجيء هذا النوع من صورة الكناية في الحكاية العلوية . منها قوله (عليه السلام) رداً على من زعموا أنّهم راسخون في العلم من دونهم :((**أَيْنَ الَّذينَ زَعَمُوا**

---

[١]) نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، ك (١٠٠) : ١٩٣.

[٢]) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٢١/٣.

[٣]) شرح نهج البلاغة ، السيد عباس الموسوي : ٩٥/٢.

[٤]) الكناية والتعريض ، أبو منصور الثعالبي : ٣٦ .

أَنَّهُمْ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنا ، كِذْباً وَبَغْياً عَلَيْنا ... إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا في هذا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ ، لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ ، وَلَا تَصْلُحُ الْوُلاةُ مِنْ غَيْرِهِم .))[١]، فـ **(الْبَطْنِ)** كناية عن البيت الهاشمي ، فمجيئه هنا لإثبات صفات عدة تمثل الركائز الأساسية التي تهدف الصورة الكنائية كشفها وبيانها للمتلقين ، وهذا الهدف هو بيان فضلهم ومكانتهم على سائر الخلق ، بإثبات إنّ العلم والإمامة والولاية هي مختصة بالبيت الهاشمي دون غيره ، فنسبة هذه الصفات للبطن هي من باب إثبات الصفات في الموصوف .

ثانيا_ حكاية الكناية باعتبار الوسائط والسياق : تقسّم الكناية على اعتبار الوسائط والسياق إلى أربعة أضرب هي : التعريض ، والإشارة ، والرمز ، والتلويح ، وكلٌّ هذه الضروب تسهم في رسم صورة كنائية ؛ لأنّ ((لكلٍّ واحدةٍ منها تنفرد بخصيصة لغوية وفنية ، تنهضُ بمهمتها في التعبير عن فكر الأديب وذوقه ، والتأثير في المتلقي))[٢]، وكما جرتْ عادةُ البحث في تقصي الفنون بحسب ما يرد منها في الحكاية ، لذا سيكون البدء بـ :

١_ صورة التعريض :

وهو إخفاء المعنى وعدم إظهاره بشكل مباشر كالتصريح ، وهو ((نوعٌ لطيف من الكناية يُطلق فيه الكلام مشاراً به إلى معنى آخر يُفهمُ من السياق، أو المقام الذي يتحدث منه))[٣] ، ولا

---

[١]) نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، خ (١٤٤) : ٢٦٧.

[٢]) بناء الصورة في البيان العربي ، كامل حسين البصير : ٣٢٩.

[٣]) علوم البلاغة ، محمد احمد قاسم : ٢٤٩.

يُشترط في التعريض ((لزوم ذهني ولا مصاحبة ، ولا ملابسة مابين الكلام وما يُراد به عليه))[١]، وقد سمي التعريض بهذا الاسم ((لأنّ المعنى يُفهم من عرضه ؛ أي من جانبه))[٢] ، وما جاء منه، قوله (عليه السلام) حكاية عمّن اتهمه بالشّكِ والخوف من قتال أهل الشّام : ((**وَأَمَّا قَوْلُكُمْ : شَكّاً فِي أَهْلِ الشَّامِ ! فَوَاللهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً إِلاَّ وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِي بِي، وَتَعْشُو إِلَى ضَوْئِي**))[٣] ، فقوله **(وَتَعْشُو إِلَى ضَوْئِي)** يعكس صورة عن أهل الشّام ، الذين امتازوا بضعف بصائرهم عن رؤية الحقِّ ، فهم ((بالاهتداء بهداه ، كمن يعشو ببصرٍ ضعيف إلى النار ليلاً))[٤] ، ونلمسُ في هذا التعريض نوعاً من الترفّق مشوباً بأملٍ لاهتدائهم للحقّ ، الأمل الذي يجعله يدفع الحرب يوماً بعد يوم ، حتى لا يُقْتَلوا على ضلالتهم ، وإن كان قتلهم نتيجة اندفاعهم وراء الباطل .

وإنْ كُنّا قد لمسنا في النص السابق ليناً ورفقاً ، فالنصِّ الآتي يبدو مختلفاً جداً لعلَّ هذا الاختلاف كون الطرف المخاطب معاوية ، الذي ماانفك يضع نفسه في مواضع الحرج والضيق ، كما في قوله (عليه السلام) حكاية عن سؤاله الشّام : ((**وَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأُعْطِيَكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمسِ. ...وَأَمَّا قَوْلُكَ : إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ ! فَكَذَلِكَ نَحْنُ . وَلَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ . وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ . وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ وَلَا**

---

[١] البلاغة العربية ، عبد الرحمن بن حسن الدمشقي : ١٥٢/٢.

[٢] المثل السائر ، ابن الأثير : ١٨٦/٢.

[٣] نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، م (٥٤) : ١١٤ .

[٤] منهاج البراعة ، حبيب الله الخوئي : ٣٢٨/٤.

الصَّرِيحُ كَالَّلصِيقِ . وَلَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ . وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ . وَلَبِئسَ الْخَلَفُ خَلَفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ!))[١] .

نلحظ بشكل لافت تتابع الكنايات في الحكاية العلوية ، ومجيئها بهذا الشكل هي محاولة لإظهار صورة خفية تقوم على أساس سلب فضيلة من طرفٍ عن طريق إثباتها في الآخر، فتشكّلت صورتان في الوقت نفسه ، صورة للمتكلم جسدّ فيها كلَّ صفات الكمال، فبدت صورة حيّة تمثلت فيها كلُّ معاني الخلق والفضيلة ، وصورة للطرف الآخر كانت على نقيض الأولى ، فكلا الصورتين توارت خلف عبارات مشحونة بالمعاني ، والمرتكز الذي انطلقت منه الصورتان ، قوله **(إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ ! فَكَذَلِكَ نَحْنُ)** الذي أثبت به الأصل الجامع بينهما ، ثمَّ طفق في بيان ما افترقوا فيه من باب التعريض بالخصم ؛ لذا نلحظ أنّه ((أطال كناياته في تقابل دلالي بينما لم يقفْ على السابقين طويلًا بأكثر من تقابل صريحٍ ؛ لأنّ غرضه من ذلك الوصول إلى بيان حاله ومقارنتها بحال خصمه))[٢] ، فوقفت تلك التقابلات الدلالية على أمورٍ مهمة مثلت نقاط ذلك الافتراق منها أنّه إبان فضلِه وشرفِه من جهات متعددة هي : شرفه من جهة الآباء... وفضيلة السبق بالإسلام والهجرة ... وشرف صحة النسب... وكونه على الحقِّ فيما يقول ويعتقد... وفضيلة كونه مؤمناً مستكملاً للكمالات الدينية والنفسية [٣] ، وبها استحق الفضل والعلو والشرف ، فالتوسل بهذا الأسلوب هنا كان أبلغ وأشدّ تأثيراً .

---

[١]) نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، ك (١٧) : ٤٩٦.

[٢]) بلاغة النهج في نهج البلاغة ، د. عباس علي حسين الفحام : ١٦٨.

[٣]) ظ : شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٤٦٧/٤.

٢_ صورة الإيماء أو الإشــارة :

هي كنايةٌ ((ليس بين المكنى به والمكنَّى عنه وسائطٌ كثيرة ، ولا خفاء))[١] ؛ لذا هي ((تتوسط بين التلويح والرمز))[٢]، وما جاء من هذا النوع من الكناية ، قوله (عليه‌السلام) حكاية عمّن اتهموه بالحرص على الخلافة : ((**فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا : حَرَصَ عَلَى الْمُلكِ ، وَإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا: جَزَعَ مِنْ الْمَوت ، ... بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُم اضْطِرَاب الْأَرْشِيَةَ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدةِ**))[٣]، فقد أشار عليه‌السلام إلى ما يحمله من علم بقوله (**انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ**) ، ولفظة العلم الواردة في النصّ، يفهم منها أمران هما:

الأول _ أمّا علمه بما أخبره به النبي الأعظم صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بخصوص الخلافة بدلالة السياق الذي وردت به .

الثّاني _ ما انطوت عليه نفسُه من العلوم كافة ، لذا جاء بها نكرةً ، لتدل على عموميّة وشمولية علمه لكلِّ شيءٍ . وأشار إلى عدم إمكانية البوح به ؛ وعلّة ذلك مرجعها أنّ البوح موجب للاضطراب لمن يسمعه .

وفي موضع آخر يُشير عليه‌السلام إلى مقدار ما يلقيه على الناس من علمٍ ، من دون أن يجدَ مَنْ يحملُه ، ففي قوله ((**بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ : عَلِيٌّ يَكْذِبُ ... وَيْلُ امِّهِ كَيْلاً بَغَيْرِ ثَمَنٍ ! لَوْ كانَ**

---

[١]) البلاغة العربية ، عبد الرحمن حسن جنكة : ١٤١/٢.

[٢]) علوم البلاغة ، احمد محمد قاسم : ٢٥٠.

[٣]) نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، م (٥) : ٦٢.

لَهُ وِعاءٌ))[١]، نلمح استعارتين توسلها الإمام كوسيلة لرسم صورة كنائية ، **الأولى** : لفظة الكيل ، للإشارة لـ ((ما يحمله من العلوم والمعارف والأخلاق الكريمة ، وإنّه كان يفيضها عليهم دون أجرٍ أو جزاء ، لكنّهم لا يفقهونها))[٢]، **والثانية** : لفظة الوعاء كناية عن القلوب التي هي مستودع العلوم . فهاتان الكنايتان أعطت صورة عميقة لعظم ما يحمله من علمٍ اختصّ به من دون غيره.

وتبدو كناية الإشارة في كثير من الأحيان السبيل الأبلغ ، لاسيّما مع معاوية ، وهذا يتجلى في حكايته (عليه‌السلام) له : ((**وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الإِسْلامِ فُلانٌ وَفُلانٌ فَذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّهُ ... وَإِنَّكَ لَذَهَّابٌ في التِّيهِ ، روَّاغٌ عَنْ الْقَصْدِ . أَلَا تَرَى ـ غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللهِ أُحَدِّثُ ـأَنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا في سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ**))[٣]. وبقوله (**غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ**)، إشارة إلى صغر مكانته ؛ أي ((لستَ عندي أهلاً حتى أخبرك))[٤]، فهو ليس ممن يرتقي إليه منزلةً ، ولا يجاريه علماً ، وليس له من المقام شيءٌ حتى يُتَوجّه بالكلام إليه .

وفي ردِّه عليه‌السلام على حكاية معاوية تضمنت تهديده بالحرب : ((**وَذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلِأَصْحَابِي عِنْدَكَ إِلاَّ السَّيْفُ ... وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِين ... مُتَسَرْبِلِينَ**

---

[١]) نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، م (٧٠) : ١٢٥.

[٢]) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني :٢٦٣/٢.

[٣]) نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، ك (٢٨) : ٥١٢_ ٥١٣.

[٤]) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ١٢١/١٥.

سَرَابِيلَ الْمَوْتِ ، أَحبُّ اللِّقَاءِ إِلَيْهُمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ ، وَقَدْ صَحِبَتْهُم ذُرِّيةٌ بَدْرِيَّةٌ ، وَسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ ، قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِها في أَخِيكَ وَجَدِّكَ وَخَالِكَ وَأَهْلِكَ))[١] .

وراء هذا الحكاية العلوية ترتسم صورة تعكس معاني الشجاعة والقوة والثبات ، التي تجمعها عقيدة راسخة لهذا الجيش ، فحملت الحكاية إشارات عدة تستند عليها تلك الصورة ، منها قوله **(مُتَسَرْبِلِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ)** ، فيشير بها إلى استعدادهم للموت ، فهو نهاية الطريق للقاء الله ، وهو ما عبّر عنه **(أَحبُّ اللِّقَاءِ)** إشارة إلى غايتهم التي يسعون إليها ، ثمّ تلتها إشارة أخرى تمثلت بقوله **(ذُرِّيةٌ بَدْرِيَّةٌ)** ، إشارة إلى أنّ هؤلاء يحملون من العقيدة والشجاعة التي كان آباؤهم يحملونها في بدء الدعوة الإسلامية ، ومثلما قاتل آباؤهم من أجل الدين ، سيقاتلون هم أيضاً ، ولإعطاء الصورة مزيد من القوة ، جاء بقوله **(وَسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ)** ، إشارةٌ إلى شجاعةِ أهلِ بيته وصولاتِ سيوفِهم التي فتكتْ بصناديد العرب ، وإنَّ رسمَ صورةِ الجيشِ بهذا الشكل لهو أبلغ وأشد في مواقف الوعيد والتهديد ؛ لأنه الأقدر على تثوير مكامن الخوف والانفعال عند العدو .

٣_ صورة الــرمــز:

يرتبط الرمز بعالم المعاني فهو تلميح للمعنى بشكل خفي ، وهذا ما أشار إليه السكاكي(ت٦٢٦هـ) بقوله : ((الرمز هو أن تشير على قريب منك على سبيل الخفية))[٢] ، وهو مظهر قلَّ مجيئه في الحكاية العلوية ، منه قوله **عليه السلام** رداً على حكاية لمعاوية هدده بالحرب

---

[١]) نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، ك (٢٨) : ٥١٢_ ٥١٧.

[٢]) مفتاح العلوم : ٤١١ .

: ((**وَذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِري في الْمُهَاجِرِينَ والْأَنْصَارِ ... وَإِنَّكَ _ وَاللهِ مَا عَلِمْتُ_ الْأَغْلَفُ الْقَلْبِ ، الْمُقَارِبُ الْعَقْلِ**))[١]، فهنا رمز عن بُعدٍ معاويةَ عن التدبّر والتفكر بـ **(الْأَغْلَفُ الْقَلْبِ)** ؛ أي الذي على قلبه غلاف فلا يعي شيئاً ، ورمز إلى نقصان عقله وعدم زنته للأمور بـ **(الْمُقَارِبُ الْعَقْلِ)** لذلك فهو دائماً يضع نفسه في غير موضعها لعدم إدراكه .

وفي ردِّه **عليه السلام** على حكايةٍ حين سُئل عن سبب قبوله التحكيم : ((**وَأَمَّا قَوْلُكُمْ : لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ أَجَلاً في الْتَّحْكِيم ؟ فَإِنَّما فَعَلْتُ ذلِك لِيَتَبَيَّن الْجَاهِلُ وَيَتَثَبَّتَ الْعَالِمُ ... مَا أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بِهَا ، وَلَا زَوَافِرَ عِزٍّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا . لَبِئسَ حُشَّاشُ الْحرْبِ أَنْتُم**))[٢]، فأشار إلى سبب القبول بطريقين :

الأول _ الصريح الظاهر، المتمثل بقوله (**ليتبيّن الْجَاهِلُ ويتثبّت الْعَالِمُ**) ؛ أي حين يظهر للجاهل عاقبةُ أمرِ التحكيمِ الذي جرّوه إليه بجهلِهم ، ويتأكد العالم ويتثبّت حين يرى حكمته وبصيرته **عليه السلام** في الأمور.

الثّاني _ الخفي الباطن ، الذي رمز به إلى قلّة طاعتهم له ونكوصهم عن أعدائهم ؛ لانخداعهم بحيلةِ رفعِ المصاحفَ ، من دون تدبّرٍ وتعقّلٍ ، المتمثل بقوله **(بِوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بها _ زَوَافِر عِزٍّ _ حُشَّاشُ نارٍ)** ، وقد جاءت هذه العبارات في معرض التوبيخ لهم ، ما يعني أنّكم لستم ركناً قوياً يُستندُ إليه ولا عروةً وثيقةً يُعتمدُها ، ولا يداً يُسدُّ بها ثغرٌ ولا يُضربُ بها العدو .

---

[١] نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، ك (٦٤) : ٦٠٧.

[٢] المصدر نفسه ، م (١٢٥) : ٢٤٢_ ٢٤٣.

يتضح أثر الكناية ، في بناء صورةٍ على مستوى من الدّقة ، صورة بليغة مكثفة المعنى ، التي تجلت عبر وسائل تعددت وتنوعت في طريقة عرضها، ورسمها للصورة الكنائية المتوارية ، وإن اختلفت المساحة التي شغلتها كلٌّ وسيلةٍ منها، إلاّ أنّها تمكنت من نقل المعاني المتضمنة فيها .

الفصل الثالث

أثر الفنون البديعية في إخراج الحكاية

التنغيم وأثره

المبحث الأول : الأثر التنغيمي في الحكاية .

أولاً_ الجناس . ثانياً _الطباق والمقابلة . ثالثاً _ السجع . رابعاً _ التوازن .

المبحث الثاني : التفاعل النّصي في الحكاية .

أولا _ الاقتباس

أ_ الاقتباس من القرآن الكريم

١_ الاقتباس الإشاري أو غير المباشر.

٢_ الاقتباس النصي أو المباشر .

ب_ اقتباس الحديث النبوي الشّريف .

ثانيا _ التضمين

أ _ التضمين الشعري : ١_ تضمين البيت الشعري . ٢_ تضمين شطر البيت

ب_ تضمين المثل

ثالثا: الاستشهاد

رابعا : المذهب الكلامي

التنغيم وأثره

النغم **لغةً** هو ((جرس الكلمة وحسن الصوت))[١] ، أمّا في **الاصطلاح** فهو ((ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام))[٢]، وبانتظام النغمات يتشكّل الإيقاع ، وعلى الرغم ((من أنّ الإيقاع أساس الفنون كافة ، لكنّه يبدو في الشعر والموسيقى أكثر تقارباً ؛ لأنّ كلاً منهما يقوم على نفس المبدأ ، وهو تناسب حركة الأصوات في تتابعها المنتظم))[٣] ، ويشكّل الصوت عنصراً كبيراً في بناء الصورة ، إذ تتجلى وظيفته في ((توليد المعاني عبر تسلسل صوتي خاضع لقواعد معينة في التجاور والارتباط والموقع ، تبعاً للموقعيّة والنبر والتنغيم))[٤] ؛ ولأنّ الأخير كان أساس الموسيقى التي تحملها الألفاظ فهو ((شكلٌ آخر من أشكالِ التعبيرِ الفنيِّ ، يُسهمُ من خلال الإيقاع المنظّم للكلماتِ في رسم صورةٍ في الذهنِ))[٥]، إذ إنَّ للإيقاع ((وظيفة خاصة يؤديها في استنفاد الطاقة الشعورية ، وهي جزءٌ من دلالةِ التعبيرِ كالدلالةِ المعنوية اللغوية))[٦]، بيد أنّ هذه الموسيقى لم تعدْ مرتبطةً بالشعر فقط ، فالنثر أيضاً ((يشتمل على نوعٍ من الموسيقى ، نراها في صعود الصوت وهبوطه أثناء الخطاب ، وقد نراها في قوافٍ تنتهي بها بفقراتٍ تسمى السجع))[٧] ، فالجرس الصوتي يشكّل ((قيمة المفاضلة بين الألفاظ في التعبير الأدبي))[٨]، ذلك

---

[١] لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (نغم) : ٥٩٠/١٢ .

[٢] منهج البحث في اللغة ، تمام حسّان : ١٦٤.

[٣] الأسس الجمالية للإيقاع في العصر العباسي ، د. ابتسام حمدان :٢٣ .

[٤] الإيقاع الصوتي الإيحائي في القرآن الكريم . د. جنان محمد مهدي (بحث منشور) : ١ ، مجلة كلية التربية عدد ٤ ، ٢٠١٠ .

[٥] التصوير الفني في خطب الإمام علي (ع) ، د. عباس علي حسين الفحام: ٢٠٩.

[٦] النقد الأدبي مناهجه وأصوله ، سيد قطب : ٦٤.

[٧] موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس : ١٤.

[٨] جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي عند العرب ، ماهر مهدي هلال : ١٥.

التعبير الذي ((لا ينتهي عند الدلالة المعنوية للألفاظ والعبارات ، تضاف إلى هذه الدلالة مؤثراتٍ يكملُ بها الأداء الفنيِّ وهذه المؤثرات ، هي الإيقاع الموسيقي للكلماتِ والعباراتِ ، والصور والظّلال التي يشّعُها اللفظُ ، وتشّعها العباراتُ الزائدة عن المعنى الذهني))[١]، فـ ((موسيقى الألفاظ تشكّلُ جانباً كبيراً من التأثيرِ في قضية التلقي ، فلها من الفضلِ في تهيئة الأذهانِ واستقطابِها ، وتفاعلها بعد ذلك مع ما يطرح إليها من موضوعاتٍ ، فالنّفس الإنسانية بفطرتِها تميلُ إلى الإيقاع الصوتي المنظم ، وتأنس إليه ، وهذا ما تريده التعبيرات الفنية من المتلقي : الإقبال ثمَّ التأثير))[٢]، فإذا كانت عمليتا الإقبال والتأثير مرتبطتان بموسيقى الألفاظ ، واختيار الألفاظ القادرة على إحداث ذلك التأثير متوقفاً على قائلها وموهبته وبراعته ومقدرته ، إذاً فلا أروع من عليٍّ في وضع اللفظ _بما يحمله من دلالة وقوة وقدرة_ موضعه الذي يتناسب تناسباً باهراً ، شكله مع مضمونه ، جرسه مع موقعه ، وموقفه الذي يُقالُ فيه ، وموافقته لأقدارِ المتلقين ، وعكسه للحالة الشعورية ، وما يحمله من فكرٍ ، وتأسيساً على ذلك انفرد هذا المبحث في دراسة تلك الوسائل التنغيمية التي أسهمت في إخراج الصورة الحكائية ؛ لذا سنبدأ بأكثرها ظهوراً وأوسعها حضوراً ، هو :

---

[١]) النقد الأدبي مناهجه وأصوله ، سيد قطب : ٤٠.

[٢]) الأثر القرآني في نهج البلاغة ، د. عباس علي حسين الفحام : ٢١٤.

أولا _ الجنـــاس وأنواعه

يعدُّ الجناس أو التجنيس من أساليب التنغيم التي تضفي جرساً موسيقياً مميزاً ، وهو كما يعرّفه ابن المعتزُّ(ت٢٩٦هـ) بـ ((أنْ تجيءَ الكلمة تجانسُ أُخرى في بيت شعرٍ أو كلامٍ ، ومجانستها لها هو في تأليف حروفها))[١] ؛ أي إنّ اللفظتين متشابهتان في الحروف وترتيبها ، مع اختلاف المعنى ، وإنّ هذا التشابه في الألفاظ ((يُحْدِثُ في السّمعِ ميلاً إليه ، فإنّ النّفسَ تتشوق إلى سماع اللفظةِ الواحدةِ إذا كانتْ بمعنيين ، وتشوق إلى استخراج المعنيين المشتمل عليهما ذلك اللفظينِ ، فصارَ للتجنيسِ وقعٌ في النفوس))[٢] ، وأجمل التجنيس ((ما وقع من غيرِ قصدٍ من المتكلمِ إلى اجتلابه ، وتأهُّبٍ لطلبه ، أو ماهو _ لحسن ملاءمته ، وإن كان مطلوباً_ بهذه المنزلة وفي هذه الصورة))[٣] ، ويقسم الجناس على : التّام أو الحقيقي وهو الذي تتساوى فيه اللفظتان في الحروف وعددها وترتيبها _ ولم يردْ هذا اللون من الجناس في الحكاية _ والجناس الناقص أو غير الحقيقي أو المشبه بالتجنيس[٤] ، وهو الذي يقع الاختلاف فيه أما بعدد الحروف أو هيأتها أو نوعها أو ترتيبها، ويُقسَّمُ هذا النوع على ضروبٍ مختلفة نوردها حسبِ مجيئها في الحكاية ، منها :

---

[١]) البديع : ٣٦ ، ظ : العمدة ، القزويني : ٣٢١ ، معترك الأقران ، للسيوطي: ٣٩٩/١.

[٢]) جوهر الكنز ، ابن الأثير الحلبي : ٩١.

[٣]) أسرار البلاغة ، الجرجاني : ١١.

[٤]) ظ : المثل السائر ، ابن الأثير : ٢٦٢_ ٢٦٨.

١ـ الجناس الاشتقاقي :

وهو أكثر ضروب الجناس ظهوراً في الحكاية ، وهو ((أنْ يجيءَ بلفظين يجمعهما أصلٌ واحدٌ في اللغةِ))[١] ، ويؤدي جناس الاشتقاق أثراً ظاهراً في تقوية جرس الألفاظ وتوكيد المعنى ، فما جاء منه قوله **عليه السلام** رداً على حكاية من أتهمه بحرصه على الخلافة : ((**فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَى الْمُلكِ ، وَإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا: جَزَعَ مِنْ الْمَوت ... بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُمْ اضْطِرَاب الْأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ االْبَعِيدَةِ**))[٢] .

فالجناس الاشتقاقي في (اضطرب ـ اضطراب) أسهم في إضفاء قوة نغميّة تضرب بصميم المعنى ، فقد أراد الإمام بيان عدم أهليتهم وقدرتهم على تحمّل علمه ، فجاء ذلك البيان عبر المصدر ، الذي كان له أثره في الإفصاح عن المعنى وتوكيده بشكّلٍ قطعي .

نظيره قوله حكاية عن أمر مقتل عثمان:((**وَمَنْ خَذَلَهُ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ : نَصَرَهُ مِنْ هو خَيْرٌ مِنِّي . وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ ، اسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الْأَثَرَةَ ، وَجَزِعْتُمْ فَأَسَأْتُمْ الْجَزَعَ**))[٣]، نلحظ في الجناس الاشتقاقي هنا أنه أبان مدى استئثار عثمان الخارج إلى حدِّ الاستبداد على الناس ، حتى أوصلهم إلى مرحلة الجزع ، الذي دفع بهم إلى قتله[٤] ، ولو لم تكنْ الأمور بين الخليفة والناس قد اضطربت حدّ القتل لاكتفى عليه السلام بقول(استأثر ـ وجزعتم) من دون الحاجة للاشتقاق ، لكنّ الجناس هنا إلى جنب إثرائه الألفاظ بالقوة ـ إذ إنَّ صوت الجّيم من الأصوات

---

[١] تحقيق الفوائد الغياثية ، شمس الدين الكرماني : ٨١٥/٢.

[٢] نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، م (٥) : ٦٢.

[٣] المصدر نفسه ، م (٣٠) : ٩١.

[٤] ظ : شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٨٤/٢.

الشديدة وتكرارها عن طريق الاشتقاق منح النصَّ قوة اكبر_ كان له أثره في رسم صورة للوضع العام .

كذلك قوله ردّاً على حكاية عمرو بن العاص الذي زعم لأهل الشام بأنّه رجلُ تلعابة : ((**يَزْعُمُ لأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فيَّ دُعَابَةً ، وَأَنِّي امْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ ، أُعَافِسُ وَأُمَارِسُ ... فَأَيُّ زَاجِرٍ وَآمِرٍ هُوَ ! مَا لَمْ تَأْخُذِ السِّيُوفُ مَآخِذَهَا ... إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيةَ حَتَّى شَرَطَ لَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَّةً ، وَيَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَةً**))[١] .

فالجناس الاشتقاقي الواقع في **(مَآخِذَهَا)** : يوحي بقوة الحرب وشدّتها ، وبالوقت نفسه يعكس صورة جبن عمرو بن العاص ؛ لذا جاء في سياق التعجب ، فهو ممن يحرّض على الحرب حتى إذا سُعّرت نارها واشتدّت يهرب[٢] ، فالقائد الحقيقي هو من يظهر ثباته في معترك الحروب وهذا ما تنفيه مواقف هروبه من سيف الإمام ، بيد أننا نلحظ أنّ الإمامَ جاء بالجناس **(أَتِيَّةً)** حين أراد بيان سبب وقوف ابن العاص مع معاوية في حربه ضده ، وهو إعطاؤه ولاية مصر، لكن حين أراد بيان موقع هذا الشرط مقابل الدِّين عبّرَ عنه بـ **(رَضِيخَةً)** وهي العطاء القليل[٣] ، إذ كلُّ شيءٍ في مقابل الدين هو قليلٌ وحقير، فكشف الجناس الاشتقاقي صلته العميقة بالمعنى المراد .

وفي قوله حكاية عن الناس حين شكوا إليه عثمان فجاء في جملة كلامه : ((**يُقَالُ: يُقْتَلُ في هذِهِ الأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْها الْقَتْلَ والْقِتَالَ ... وَيَبُثُّ الْفِتَنَ فِيها، فَلَا يُبْصِرُون الْحقَّ مِنَ**

---

[١] نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، م (٨٣) : ١٤٦.

[٢] ظ: شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ٦/ ٢٨٠.

[٣] ظ: لسان العرب : ابن منظور، مادة(رضخ) : ١٩/٣.

الْبَاطِلِ يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجَاً ، وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجَاً))[١] ، إنّ تقوية الألفاظ عن طريق شحنها بطاقة موسيقية كبيرة تولَّدت من مجيء الاشتقاقات **(مَوْجَاً ـ مَرْجَاً)** تباعاً ، الذي أسهم في حمل المخاطب على التركيز على المعنى ، فقد أبان قوة وشدة الفتن وما يُصيب الناس من اختلاط وخبط ، ومضمون الكلام ظهر عبر الشكل الاشتقاقي الذي جسَّده .

٢ـ الجناس المضارع أو اللاحق

هو ((ما اختلفت فيه الكلمتان في نوع الأحرف ، ويشترط ألاّ يقع الاختلاف بأكثر من حرفٍ ، فإنْ كانَ الحرفانِ اللذان وقع فيهما الاختلاف متقاربين في المخرج ، سُمّيَ الجناسُ مضارعاً ، وأنْ كانا متباعدين في المخرج ، سُمّيَ الجناسُ لاحقاً))[٢] ، وقد جاء الجناس اللاحق خمس مراتٍ في الحكاية العلوية فمثاله ، قوله (عليه السلام) ردّاً على حكاية قبوله التحكيم : ((**وَأَمَّا قَوْلُكُمْ : لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ أَجَلاً فِي الْتَحْكِيمِ؟ ... يَوْمَاً أُنَادِيكُمْ وَيَوْمَاً أُنَاجِيكُمْ ، فَلَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ النَّدَاءِ ، وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ النَّجَاءِ**))[٣] ، وقع الجناس في : **(أُنَادِيكُمْ ـ أُنَاجِيكُمْ)** و **(النَّدَاءِ ، النَّجَاءِ)** ، فالدال صوتٌ مجهور يتصف بالشدة [٤] وهو ممّا ينسجم وحالة الحربِ لما تتطلبه من تثوير انفعالات المقاتلين وحملهم على القتالِ ، أمّا حرف الجيم فهو من الأصواتِ الأقلَّ شدّةٍ [٥] وهو ما يتناسب مع موقف العتاب والتوبيخ ، فقيمة تلك الألفاظ لم تكمنْ في جرسِها

---

١) نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، م (١٦٤) : ٣١١.

٢) علم البديع دراسة تاريخية وفنية ، د. بسيوني عبد الفتاح فيّود : ٢٨٣ـ٢٨٤.

٣) نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، م (١٢١) : ٢٣٧.

٤) ظ : مناهج البحث في اللغة ، تمام حسان : ٩٣.

٥) ظ : الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس : ٧٠.

العالي ووقعها على سمع المخاطب وحسب ، وإنّما فيما عكسته من إيحاءات ألقتْ بظلالها على المعنى.

نظيره قوله (عليه السلام) ردّاً على حكاية بلغته في هروب بعض الرجال من المدينة إلى معاوية :((**بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالاً مِمَّن قِبَلَك ، يَتَسَلَّلُونَ إلى مَعَاوِيةَ...فَلَا تَأسَفْ عَلَى مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدِدِهِمْ ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدِدِهِمْ**))[١]، فما بين(**عَدِدِهِمْ _ مَدِدِهِمْ**) جناس لاحق لبعد مخرج العين الحلقي ، عن مخرج الميم الشفوي .

كذلك قوله حكاية عن النبيِّ(صلى الله عليه وآله وسلم) : ((**لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إلى ضِلِّيلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ ... وَبَدَا مِنَ الْأَيَّامِ كُلُوحُها ، وَمِنَ اللَّيَالِي كُدُوحُها**))[٢]، فالجناس اللاحق في (**كُلُوحُها_كُدُوحُها**) فحرفا اللام والدّال متباعدان مخرجاً ، كما أنّ اللام صوتٌ متوسط الشدّة ، والدال حرفٌ شديدٌ ، وهذا يتفق مع ما تحمله اللفظتان من معنى ، فكأنّ الانتقال بين الصوتين هو تدرجٌ في الانتقال بشدّةِ الفتنة من مستوى صعب وهذا ما توحيه (كلوحها) ، إلى مستوى أصعب ونلمسه في (كدوحها) فوقعت اللفظتان موقعهما في الحكاية بحسبِ وقعها في الواقع الخارجي ، وهذا التدرج والانتقال الذي وقع على عاتق جرس الألفاظ ، شدَّ المتلقي وخطف لبّه واسترعى انتباهه لتلك المعاني الضمنية .

أمّا الجناس المضارع فقد جاء مرتين ، فما جاء منه في الحكاية قوله عليه السلام ردّاً على حكاية معاوية حين طلب منه الشّام ((**وَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأُعْطِيَكَ الْيَوْمَ مَا**

---

[١]) نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، ك (٧٠) : ٦١٧.

[٢]) المصدر نفسه ، خ (١٠٠) : ١٩٣.

مَنَعْتُكَ أَمسِ ... كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ الدِّينَ : إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً))[١] ، فالجناس وقع في **(رَغْبَةً _ رَهْبَةً)** فحرفا الغين والهاء هما من مخرج واحد وهو الحلق ، ولا ريب في ((أنّ تقارب الحروف بين الألفاظ المتجانسة يعني إضفاء مزيدٍ من النغم الصوتي ؛ لأنّ فيه تشابهاً للتجنيس التّام الذي يتكرر فيه جرس اللفظ ذاته))[٢] ، وهما مع ما يدلان عليه من فقد خلقا توازناً يعكس تلك الدلالة.

٤ _ الجناس الناقص

هو ((أن تكونَ إحدى الكلمتين مشتملة على الأخرى مع زيادة))[٣] ، ويسمى أيضاً المتردَّف أو المطرّف [٤] ، وقد تكون هذه الزيادة في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها ، ولم يردْ هذا النوع من الجناس سوى ثلاثة مرات في الحكاية ، منها قوله (عليه‌السلام) ردّاً على حكاية محمد بن أبي بكر : ((**بَلَغَني مَوْجِدَتُك مِنْ تَسْرِيحِ الْأَشْتَرِ إلى عَمَلِكَ ، وَإِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذلِكَ اسْتِبْطَاءً لَكَ فِي الْجَهْدِ ، وَلَا ازْدِيَاداً لَكَ فِي الْجِدِّ**))[٥] ، فوقع الجناس بين لفظتي **(الْجَهْدِ _ الْجِدِّ)** بزيادة حرفٍ في الوسط ، ولا يخفى ما بين اللفظتين من التقارب الصوتي الذي أضاف تنغيماً خفيف الوقع على السمع بما يتناسب مع حال المخاطب .

كذلك قوله ردّاً على حكاية ممن قبل التحكيم : ((**أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ حِيلَةً وَغِيلَةً ، وَمَكْراً وَخَدِيعَةً ، إِخْوانُنَا وَأَهْلُ دَعْوَتِنا... وَلَا تَلْتَفِتُوا إلى نَاعِقٍ نَعَقَ : إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ ،**

---

١) نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، ك (١٧) : ٤٩٦_ ٤٩٧.

٢) الأثر القرآني في نهج البلاغة، د. عباس علي حسين الفحام: ٢٦١.

٣) الطراز ، العلوي : ١٩٦/٣.

٤) ظ : شرح الكافية البديعية ، للحلي : ٦٤.

٥) نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، ك (٣٤) : ٥٤١_ ٥٤٢.

وَإِنْ تُرِكَ ذلَّ))[١] ، فوقع الجناس الناقص في (**نَاعِقٍ نَعَقَ**) بزيادة حرفٍ في وسط الكلمة ، وقد أضفى هذا النوع من الجناس جرساً خاصاً تمثل بالتنغيم الحاصل بالانتقال من الاسم إلى الفعل ، فتقديم اسم الفاعل (ناعق) على الفعل (نعق) فضلا عمّا أضفاه من جرسٍ ، فإن هذا التقديم للفظ (ناعق) يشير إلى : أمّا ناعق مقصود بذاته وجيء به نكرة ، من باب التحقير والتصغير ، أو يقصد به العموم ؛ أي كلّ ناعق في كلِّ زمانٍ ومكان ، وفي الحالتين نهي الإمام عن إتباعه في قوله (**وِلَا تَلْتَفِتُوا إلى**) فهو نهي صريح بعدم الالتفات ؛ لما يوجبه من وقوع في الضّلال .

أمّا الزيادة التي وردت في آخر اللفظ هي في قوله (عليه السلام) جواباً على حكاية من اتهمه بالحرص على الخلافة : ((**وَقَدْ قَالَ قَائِلٌ : إِنَّكَ عَلَى هذا الْأَمرِ يا بْنَ أَبي طَالِبٍ لَحَرِيصٌ ...فَلَمَّا قَرَّعْتُهُ بِالْحُجَّةِ في الْمَلإِ الْحَاضِرِينَ هَبَّ كَأَنَّهُ بُهِتَ لَا يَدْرِي مَا يُجِيبُني بِه!**))[٢] ، فالجناس الناقص بين (**بُهِتَ _ بِه**) ، أنّ تلك الزيادات التي تجيءُ في اللفظ دون الآخر هي تنويعات نغمية تُسهمُ في التركيز على المعنى المحكي .

٣_ جناس التصحيف

هو ((ما خالف أحد ركنيه الآخر بإبدال حرفٍ على صورة المبدل منه في الخط ، وليكون التنقيط فارقاً بينهما في تغايره))[٣] ، فهو تشابه الحرفين في الشكل واختلافهما في النقط ؛ لذا يُسمى جناس الخط . وما جاء منه ، حكايته عليه السلام عمّن قال عن المولى جلّ وعلا (كان) ، قوله (عليه السلام) : ((**لا يُقَالُ كانَ ، بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَتَجْري عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحْدَثَاتُ ، وَلَا يَكُونَ**

---

[١]) نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، م (١٢١) : ٢٣٧.

[٢]) المصدر نفسه ، خ (١٧٢) : ٣٢٦_ ٣٢٧.

[٣]) شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ، صفي الدين الحلي : ٦٥.

بَيْنَهُمَا وَبَيْنَهُ فَصْلٌ ، وَلَا عَلَيْهَا فَضْلٌ))[١] ، فما بين (فصل _ فضل) تشابهٌ في شكل الحرف ، لكن اختلفا في وضع النقط . وهي بعد لها مزيد معنى تدلل عليه ، فلا يقال عنه سبحانه إنّه محدث فيكون محتاجاً ، عندئذٍ لن يكون بينه وبين الأشياء فصل ولا له عليها أي فضلٍ ؛ لأنّهما يكونان قد اشتركا في الاحتياج[٢]، فيتساوى الخالق والمخلوق تعالى عن ذلك علّواً كبيراً .

كذلك قوله (عليه السلام) واصفاً أهل بيته في ردّه على حكاية جماعة من قريش حين اتهموا النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلّم بالكذب: ((**فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ : بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ ...لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَا يَعْلُونَ ، وَلَا يَغُلّونَ**))[٣] ، فتشابه اللفظان في الشكل من دون التنقيط ، لكن لكل لفظٍ مهمة ينهض بها ، فقد جاءت لفظة (يعلون) بعد الاستكبار؛ لأنّها متضمنة لمعنى زائد على التكبر، الذي هو رفع النفس فوق استحقاقها، ففي لفظ العلو معنى التجبّر والقهر[٤] ، أمّا (يغلون) فهي الخيانة ؛ ولأنّ كلا الحرفين العين والغين متفقان في المخرج فقد أضفيا جرساً هادئاً يلائم المعنى والحال الشعورية للإمام عليه السلام .

٥_ جناس التحريف

هو ما ((اتفقَ ركنا الجناس في الحروف دون الحركات))[٥] ، وهو من سبل ((تقوية الجرس

---

[١] نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، خ (١٨٦) : ٣٦٦.

[٢] ظ : شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٤/ ٢٠١.

[٣] نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، خ (١٩٢) : ٤٠٤_ ٤٠٥.

[٤] ظ: لسان العرب ، مادة (علا) : ٨٥/١٥ ، الفروق اللغوية ، العسكري : ٢٤٧/١.

[٥] جنان الجناس في علم البديع . صلاح الدين الصفدي : ٢٢.

وإثراء العبارة بالإيقاعات الصوتية))[١]، وجاء هذا النوع من الجناس مرةً واحدةً في الحكاية ، هي في قوله (عليه السلام) ردّاً على حكاية بلغته بدخول جيش معاوية الأنبار: ((**وَلَقَدْ بَلَغَني أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُم كانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرى الْمُعَاهِدَةِ فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلُبَهَا وَقَلائِدَهَا وَرُعُثَهَا ما تَمْتَنِع مِنْهُ إِلّا بالاسْتِرجَاعِ وَالاسْتِرحامِ...يُغارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغِيرُونَ، وَتُغْزَونَ، وَلَا تَغْزُونَ**))[٢]، فتشابهت اللفظتان (تُغْزَونَ _ تَغْزُونَ) في نوع حروفهما وترتيبهما وتباينت في تشكيلها.

ثانياً : الطباق والمقابلة

الطباق والمقابلة من فنون البديع التي تضفي جرساً موسيقياً بما تحمله من تنويعات صوتية تتفاوت حدّتُها وقوّتُها صعوداً ونزولًا عند الانتقال بين المتناقضين أو المتطابقين ، ويُعرَّفُ الطباق بأنّه : ((الجمع بين الشيء وضدّه))[٣] ، وإنّ ((الجمع بين الأمور المتضادة يكسو الكلام جمالاً ويزيده بهاءً ورونقاً ، فالضدّ يُظهرُ حسنه الضدُّ))[٤] ، ويكون الطباق أمّا بين فعلين ، أو بين اسمين أو حرفين ، وهما ما قلَّ مجيؤهما ، ودراسة هذا الأنواع تكون على الشكل الآتي :

١ـ **الطباق الواقع بين فعلين** : هو أمّا **طباق سلب** ؛ أي الجمع بين فعلين أحدهما مثبت ولآخر منفي _ ولم يرد هذا اللون من الطباق في الحكاية _ أو **طباق إيجاب** وهو الجمع بين اللفظ وضده ، وما جاء منه في الحكاية ، قوله (عليه السلام): ((**فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ**

---

[١]) الأثر القرآني في نهج البلاغة ، د. عباس علي حسين الفحام : ٢٥٩.

[٢]) نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، خ (٢٧) : ٨٥ .

[٣]) المثل السائر ، ابن الأثير ٢٦٤/٢ .

[٤]) علم البديع ، بسيوني عبد الفتاح فيّود : ١٣٦.

، وإِنْ أَسْكُتْ : يَقُولُوا : جَزِعَ مِنَ الْمَوتِ))[١]، فوقع الطباق بين لفظي (أَقُلْ _ اسكُت) فمجيء اللفظين المتضادين رسم صورةً لموقفِ الناس المتذبذب إزاء سكوت الإمام أو مطالبته بحقه بالخلافة ، فتجاوزا بذلك حدود الزخرفة اللفظية ، إلى الكشف والبيان .

نظيره قوله (عليه السلام) الذي جاء رداً على حكاية من اتهمه بالخوف من حرب أهل الشّام : ((**أَمَّا قَوْلُكُمْ : أَكُلَّ ذّلِكَ كَرَاهِيةَ الْمُوتِ ؟ ... فَوَاللهِ مَا أُبَالِي ؛ دَخَلْتُ إلى الْمَوتِ أو خَرَجَ المَوتُ إِليَّ**))[٢] ، فالطباق بين (**دَخَلْتُ_ خَرَجَ)** تصويرٌ فريد للشجاعة ، ومن المعلوم أنّ الخروج للموت هو أصعب وأشدّ وأعظم من دخول الموت ، لما في الثانية من انتظار للموت وترقبه .

وقوله (عليه السلام) ردّاً على حكايةِ من زعم أنّه يهدي لأوقات الخير ويعلم أوقات الشر: ((**أَتَزْعُمْ أَنَّكَ تَهْدي إلى الْسَّاعةِ الَّتي مِنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ؟ ... فَمَنْ صَدَّقَكَ بِهذا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرآن**))[٣]، فالطباق **(صَدَّقَ _ كَذَّبَ)** إنّ الجرس القوي المتولد بين المتطابقين ، ناتج من الترديدات الصوتية لحرفي الدّال والذال المتقاربين في المخرج ، ذلك التشديد أسبغ عليهما قوة ، تنسجم مع شدة توكيد الإمام على حرمة التنجيم لما فيه بعد عن الله عزَّ وجلَّ والاعتماد على غيره .

٢_ الطباق الواقع بين الاسمين : وهو الجمع بين أسمين متضادين بالمعنى ، وبهذا لا يختلف عن طباق الإيجاب ، وقد قل مجيء هذا اللون من الطباق في الحكاية ، فما جاء منه قوله (عليه السلام) ردّاً على حكاية من اتهمه بالتضّليل : ((**فإِنْ أَبَيْتُمْ إِلاّ أَنْ تَزْعُمُوا أَنَّي أَخْطَأتُ**

---

[١]) نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، م (٥) : ٦٢ .

[٢]) المصدر نفسه ، م (٥٤) : ١١٤.

[٣]) المصدر نفسه ، م (٧٨): ١٣١.

وَضَلَلْتُ ... وَسَيَهْلِكُ فيَّ صِنْفَانِ : مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلى غَيْرِ الحقِّ ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلى غَيْرِ الحقِّ))[١] ، وقع الطباق بين المتضادين **(مُحِبٌّ_ مُبْغِضٌ)** و **(الْحُبُّ _ الْبُغْضُ)** ، و الغاية من الجمع بينهما هي بيان تساويهما في الإفراط المفضي إلى الخروج عن الحقِّ ، سواء أكان في الحبِّ أو البغض .

مثله قوله (عليه السلام) ردّاً على شكوى بلغته من أحد عمّاله :((**فَإِنَّ دَهَاقِينَ أهلِ بَلَدِكَ شَكَوا مِنْكَ غِلْظَةً وَقَسْوَةً... وَدَاوِلْ لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ وَالرَّأْفَةِ**))[٢] . فجمع بين **(الْقَسْوَةِ _ الرَّأْفَةِ)** ليُشير إلى تلك المنزلة ، التي تأخذ بطرفي القسوة والرأفة فتشكل حال وسط يتصرف على أساسها .

٣_ الطباق الواقع بين الحرفين : ، فكان نصيبه الأقلّ بين الأنواع حضوراً ، منه قوله (عليه السلام) ردّاً على حكاية معاوية حيت اتهمه بقتل طلحة والزبير وتشّريد السيدة عائشة : ((**وَذَكَرْتَ أَنِّي قَتَلْتُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ ، وَشَرَّدْتُ بِعائِشَةَ ، وَنَزَلْتُ بَيْنَ الْمِصْرَينِ ، وَذَلِكَ أَمْرٌ غِبْتَ عَنْهُ فَلَا عَلَيْكَ ، وَلَاَ الْعُذْرُ فِيهِ إِلَيْكَ**))[٣] ، وقع الطباق بين **(عَلَيْكَ_ إِلَيْكَ)** وهو بما يحمله من وقع نغمي ، أبان أمراً لمعاوية ، هو أنّ مقتل عثمان غاب عنه ، فالتكليف فيه لا يقع عليه ، وعليه لن يكون منتهى العذر إليه ، لبعده عن جرثومة الأمر .

ثم يستمر الإمام (عليه السلام) ببيان ما أوقع معاوية نفسه فيه ، عن طريق المطابقة بالحروف قائلاً في ردّه على حكايته حين هدده بالحرب: ((**وَذَكَرْتَ أَنَّك زَائِري فِي الْمُهاجِرِينَ والْأَنْصَارِ** ...

---

[١]) نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، م (١٢٧) : ٢٤٤_ ٢٤٥.

[٢]) المصدر نفسه ، ك (١٩) : ٤٩٨_ ٤٩٩.

[٣]) المصدر نفسه ، ك (٦٤) : ٦٠٧.

إِنَّكَ رَقَيْتَ سُلَّمَاً أَطْلَعَكَ مَطْلَعَ سُوءٍ عَلَيْكَ لَا لَكَ))[١]، هنا يتناغم الجناس(**أَطْلَعَكَ مَطْلَعَ**) بما يملك من جرس قوي _عضدته أداة التوكيد التي سبقته_ مع الطباق الذي جاء في (**عَلَيْكَ_ لَكَ**) فيمنح الكلام تناسباً موسيقياً مع الموقف وسياق الحال ، فأوضح الإمام عن طريق هذا الطباق موقف معاوية الحرج ، الذي عاد عليه بكبير ضررٍ أحاط به وهذا ما دلَّ عليه الحرف(على) ، وهو خرق لما توقعه من عوده عليه بالفائدة .

يبدو ممّا سبق إنّ الطباق يتناول معنيين متضادين فقط ، أمّا إذا تجاوز التعبير حدود هذين المعنيين عندئذ يسمى مقابلة ، وقد عرّفها القيرواني (ت٤٥٦ هـ) : ((مواجهة اللفظ بما يستحقه من حكم))[٢] ؛ أي تقابل الألفاظ المتوافقة في المعنى ، لألفاظ أُخر مختلفة عنها على الترتيب[٣] ، وقد تجيء المقابلة بين ثلاثة معانٍ ، أو أربعة ، أو خمسة أو ستة ، وكلّما زاد عدد الألفاظ المتقابلة كلّما كان أبلغ ؛ لأنّ ذلك دليل موهبة المتكلم وقدرته على التصرف بوجوه المعاني ، وهذا ما نلمسه في الحكاية العلوية ، فمن تقابل الأربعة قوله (عليه السلام) ردّاً على حكاية بلغته عن وصول بُسر اليمن : ((**أُنْبِئتُ بُسْراً قَدِ اطَّلَعَ الْيَمَنَ ، وَإِنِّي والله لَأظُنُّ أَنَّ هؤلَاءِ الْقُومَ سَيُدَالُونَ مِنْكُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ ، وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحقِّ ، وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ ، وَبِأَدَائِهِم الْأَمَانَةَ إِلى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ ، وَبِصَلَاحِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ وَفَسَادِكُمْ**))[٤] ، فجمع الإمام في الحكاية بين أربع تقابلات يمكن توضيحها بالشكل الآتي :

---

[١] نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، ك (٦٤) : ٦٠٧_ ٦٠٨.

[٢] العمدة : ١٥/٢ .

[٣] ظ: جوهر الكنز ، الحلبي : ٨٥ .

[٤] نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، خ (٢٥) : ٨١.

اجتماعهم على الباطل ⟵ تفرقكم عن حقكم

طاعتهم إمامهم في الباطل ⟵ معصيتكم إمامكم في الحقّ

أدائهم الأمانة إلى صاحبهم ⟵ خيانتكم

صلاحهم في بلادهم ⟵ فسادكم

فنلمس في هذه التقابلات التدرّج في الألفاظ الحاملة للدلالات فبدأ بالأساس وهو الاجتماع المفضي للطاعة ، وعند حصول الطاعة يكون أداء الأمانة الموجب للصلاح ، وأوضح الإمام **عليه السلام** أنّ ذلك الاجتماع والطاعة كان لمعاوية دونه ، مع علمهم بباطله وعلم أصحابه بأحقيّته.

نظيره قوله (**عليه السلام**) ردّاً على حكاية معاوية الذي يذكر فيه تفضيل الخلفاء عليه : ((**وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الإِسْلامِ فُلانٌ وَفُلانٌ ... وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمْ الْمُكَذِّبُ ، وَمِنَّا أَسَدُ اللهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ الْأَحْلافِ ، وَمِنَّا سَيِّدا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ ، وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ، وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ**))[1] ، فهنا أراد بيان أفضلية أهل بيتِه **عليهم السلام** على غيرهم وبما اختصوا به ، وهو يبدو جليّاً بتقديم شبه الجملة (منّا) ، وقد جاءت التقابلات على النحو الآتي :

---

[1]) نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، ك (٢٨) : ٥١٣_ ٥١٤.

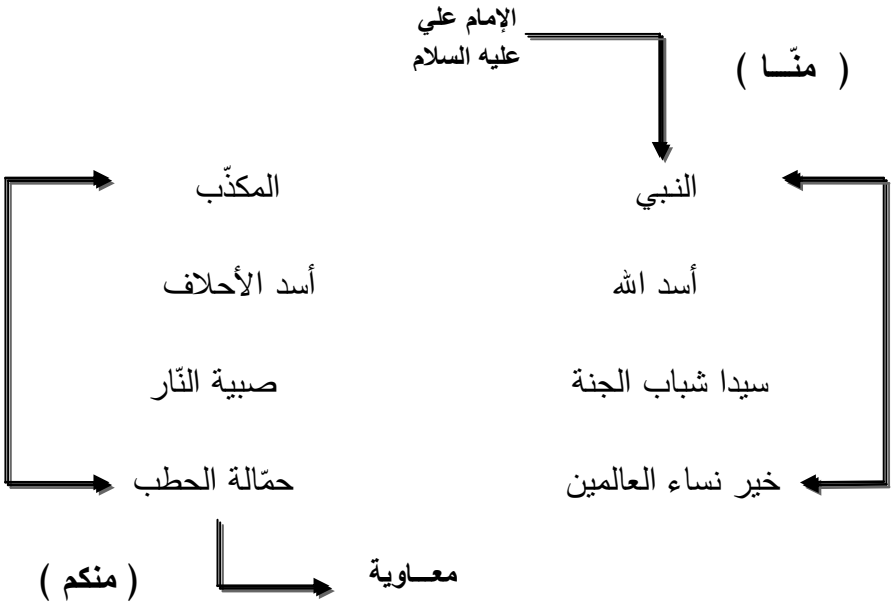

فتلك التقابلات الدلاليّة تنوعت فيها الإيقاعات صعوداً ونزولاً ، فيرتفع جرس الألفاظ حين يذكر عليه السلام (منّا) ، وينخفض في (منكم) ، وهذا التباين بجرس اللفظ إنّما هو نتيجة شعورٍ نابع من داخل الإمام عليه السلام ممزوج بالصدق ، فنبرات الفخر المتشح بالصدق دائما ما تكون أعلى جرساً وأشدَّ تأثيراً .

في موضع آخر نلحظ تعدد التقابلات التي عقدها الإمام في ردّه على حكاية لمعاوية لطلبه الشّام قائلاً : ((**وَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ فإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأُعْطِيَكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمسِ ... أَلَا وَمَنْ أَكَلَهُ الْحقُّ فإِلى الْجنَّةِ ، وَمَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلى النَّارِ، وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا في الْحرْبِ وَالرِّجَالِ فَلَسْتَ بِأَمْضَى عَلَى الشَّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِين . وَلَيسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الآخِرَةِ . وَأَمَّا قُوْلُك : إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ! فَكَذلِك نَحْنُ ، وَلَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ . وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ . وَلَا الْمُهَاجِرُ كالطَّلِيقِ ، وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيق . وَلَا**

الْمُحِقُّ كالْمُبْطِلِ . وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ))[١] ، فالحكاية هنا قائمة على مجموعة مقابلات منها :

١ـ التقابل المبدئي : وما نعنيه هو القاعدة أو القانون الناشئ عند الفرد ، الذي هو حصيلة علم ومعرفة ، يتجلى عن طريقهما حُسن الأشياء وقبحها ، فيختار الإنسان على أساس ذلك ما يسلك من طريقٍ ، وهذا ما ظهر في الحكاية العلوية ، حيث أوضح الإمام نهج الطرفين ومبدأيهما عن طريق عقد مقابلات تمثلت في (**وَمَنْ أَكَلَهُ الْحقُّ فإلى الْجنَّةِ ، وَمَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإلى النَّارِ، فَلَسْتَ بِأَمْضَى عَلَى الشَّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِين ، وَلَيس أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الآخِرَةِ**) ، فالتقابلات هنا تمثّلُ مبدأين مختلفين ، ومن ثمّ اتجاهين متناقضين ، وإنْ كانت نتيجة كلا الفريقين هي القتل ، لكنّ الإمام فرق بين من يُقتلُ على يقين وحقّ وهم أهل العراق ، وبين من يُقتلُ على باطلٍ وشكٍّ وهم أهل الشّام .

٢ـ التقابل النسبي : يمثل النسب تلك الوشائج والعلائق التي تربط بين الإنسان ومن ينتمي إليهم ، وهذا ما تجسد في هذه الحكاية ، بقوله (**إنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ! فَكَذلِك نَحْنُ ، وَلَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ . وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ**) ، وعلى الرغم من أنّ الإمام قد أثبت الأصل الجامع بين البيتين وهو (بنو عبد مناف) ، إلاّ أنّه فرق بينهم بما امتلكه بنو هاشم من فضائل ومكارم خلقٍ وعلو مكانة وسبق في الدين ، وهذا ما أكدته أدوات النفي (ليس ـ لا) ، وقد تكررت الأخيرة أكثر من مرة لبيان ذلك الفارق .

٣ـ التقابل الذاتي : ونعني بالذات تلك الهيئات النفسية والملكات الروحية والقدرات والفضائل التي يكتسبها الفرد ، والتي تميّزه عن غيره ، وهذا يبدو جلياً عندما ننظر إلى تلك التقابلات التي نلمسها في الحكاية العلوية (**الْمُهَاجِرُ كالطَّلِيقِ ـ الصَّرِيحُ كَاللَّصِيق ـ وَلَا الْمُحِقُّ كالْمُبْطِلِ ـ وَلَا**

---

[١]) نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، ك (١٧) : ٤٩٦.

الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ) ، فتلك التقابلات الدلاليّة التي أشار بها **عليه السلام** إلى ما امتاز به من فضائل ، والتي توسع في عرضها على نحو أزرى بالطرف الآخر ، إنّما هي مختلفة باختلاف طبيعة الذات وما تحمله من ملكات ، كانت محلاً للتفاضل .

إنّ تلك التقابلات على اختلاف تسمياتها ولّدت جرساً موسيقياً وإيقاعاً يتراوح ما بين الصعود والهبوط بحسب المعاني ، فنلحظ جرس الألفاظ بدأ قوياً عند المقابلات المبدئية والذاتية ، وهذا ما تتطلبه تلك المقابلات ، بينما يهبط عند التقابلات النسبية ثم ما يلبث أن يرتفع عند ذكر الإمام أهل بيته ، وهذا عامل أسهم في تجلى تلك الحقائق وشخوصها للطرف الآخر .

فهذا اللون البديعي لم يكن مجرد زخرفة معنوية وإنْ منحت الكلام شرفاً وزادته جمالاً وعضدته بالقوة والتوكيد ، فقد كان له أثره الفاعل ، في نقل المعاني بصورة تجعل المتلقي يقلّبها في ذهنه ويتدبرها بعقله ويعقلها بقلبه ، فيكون لها تأثيرها المرجوّ.

ويمكن أن نعرض تلك التقابلات المختلفة بمخطط يبدأ من المقابلات النسبية إلى المبدئية لبيان المعنى الكلي وبالشكل الآتي :

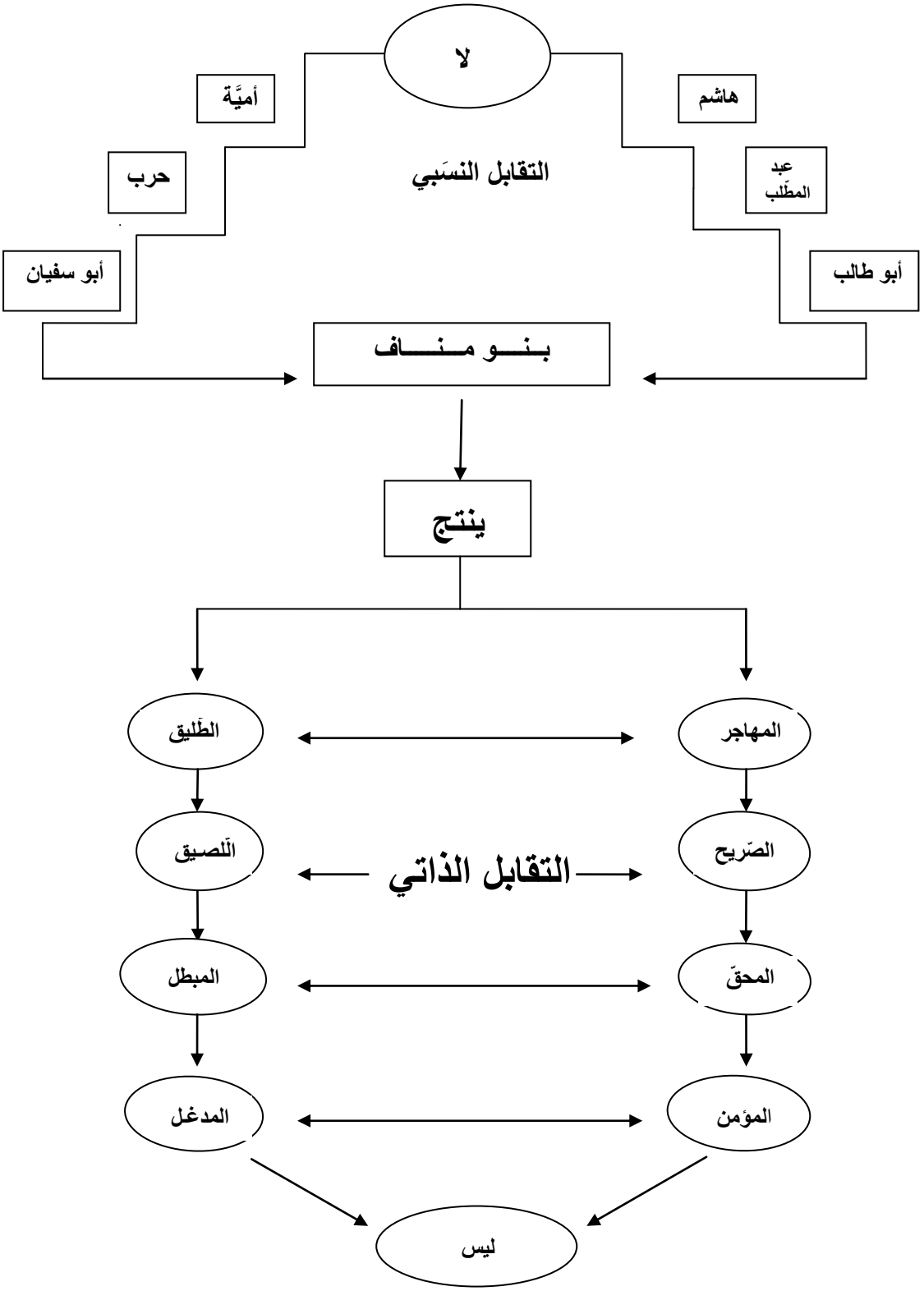
لا
أميَّة
هاشم
التقابل النسَبي
حرب
عبد المطّلب
أبو سفيان
أبو طالب
بـنـــو مـنـــاف
ينتج
الطّليق
المهاجر
اللّصيق
التقابل الذاتي
الصّريح
المبطل
المحقّ
المدغل
المؤمن
ليس
الحقّ
الباطل
التقابل
الجنّة
النّار
المبدئي
اليقين
الشّك
أهل العراق
أهل الشّام

ثالثاً : السّجـــع

السجع من الفنون البديعيّة التي تكسو الكلام رونقاً ، فهو في المنثور كالقافية في المنظوم ونعني به : ((تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرفٍ واحدٍ))[١] ، وقد اختلف البلاغيون في السجع ((فمنهم من يعيبه ويعدّه من الأساليب التي تقوم أكثر ما تقوم به على الصنعة والتكلّف والتعسّف ، ومنهم من استحسنه ودافع عنه))[٢] متخذاً من القرآن الكريم حجة قوية يؤيد بها رأيه ، لما حفل به القرآن من سجعٍ ((فقد كان أحد أدواته الرئيسة في الإيقاع الصوتي الموحي والمؤثر وهو ما يسمى أيضا الفاصلة القرآنية))[٣]، والسجع كبقية الفنون إذا جاء عفو الخاطر وقادته المعاني ، فله ((في النفوس تأثير السّحر ، ويلعب بالإفهام لعب الريح الهشيم ، لما يحدثه من النغمة المؤثرة والموسيقى القوية التي تطرب لها الآذان ، وتهش لها النّفس ، فتقبل على السماع من غير أن يداخلها ملل أو يخالطها فتور فيتمكن المعنى في الأذهان))[٤] ، وهذا ما نلمسه في نهج البلاغة عامة ، ولاسيّما الحكاية ، إذ منحت تلك الأسجاع التي جاءت طوعاً لمعانيها صفة البقاء ، فكانت أعلق في الأذهان وأكثر تأثيراً في الألباب ، فما جاء منها في الحكاية :

قوله (عليه‌السلام) ردّاً على حكاية بلغته بتوجيه رجال معاوية في موسم الحجِّ إلى الحجاز : ((**فَإِنَّ عَيْنِي عَلَى الْمَغْرِبِ كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُني أَنَّهُ وُجِّهَ إِلى المَوْسِمِ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ... وَلَن يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلاَّ عَامِلُهُ ، وَلَا يُجْزَى جَزَاءَ الشَّرِّ إِلاَّ فَاعِلُهُ . فَأَقِمْ عَلَى مَا في يَدَيْكَ قِيَامَ الْحَازِمِ**

---

[١]) المثل السائر ، ابن الأثير : ١/١٩٥.

[٢]) علم البديع ، عبد العزيز عتيق : ٢٣٣.

[٣]) الأثر القرآني في نهج البلاغة ، د . عباس علي حسين الفحام: ٢١٩.

[٤]) علم البديع دراسة تاريخية وفنية ، بسيوني عبد الفتّاح فيّود : ٣٠٩_ ٣١٠.

الطَّبيبِ ، وَالنَّاصِحِ اللَّبِيبِ ، التَّابِعِ لِسُلْطَانِهِ ، الْمُطِيعِ لِإِمَامِهِ))[١] .

يُلحظ في النصِّ المحكي ، نهاية الفواصل جاءت متفاوتة بين حرفي (الهاء_ الباء) ، فوقع السجع في فقرات بعضها قد تطول وقد تقصر ، بحسب ما تستدعيه المعاني ، مع الحفاظ على التوازن السجعي ؛ إذ أفادت السجعة المنتهية بالهاء المضمومة ، الشِّدّة الممتزجة بالنّصح الدّالة عليه أداة الحصر (إلاّ) ، وأكدت هذه الشِّدّة ، السجعة المنتهية بالباء في (**الْحَازِمِ الطَّبِيبِ ، وَالنَّاصِحِ اللَّبِيبِ**) ، ثمَّ انتقل من الشّدّة إلى اللين الذي أفادته سجعة الهاء المكسورة (لسلطانهِ _إمامهِ) فضلاً على لفظتي (التابع _المطيع) اللتين اتفقتا وسياق الموقف المفيد للجمع بين الشّدّة والطاعة .

كذلك قوله (عليه السلام) : ((**وَلَوِ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيارِ الْخَاوِيَةِ ، وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ ، لَقَالَتْ : ذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ ضُلَّالاً ، وَذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَّالاً**))[٢] ، فجاءت الفاصلتان (**ضُلَّالاً_ جُهَّالاً**) متفقتين وزناً وتقفيةً وهذا ما يُسمى بالسجع المتوازي[٣] ، ولا ريب أنّ مجيء الفاصلتين متفقتين وزنا وقافية يضفي قوة تنغيمية وإيقاعاً عالياً ، نظير ذلك قوله: ((**فَلا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ النِّدَاءِ ، وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ النِّجَاءِ**))[٤] ، فاتفقت الفاصلتان في الوزن والقافية أيضاً.

قوله (عليه السلام) أيضاً ردّاً على حكاية بلغته عن عامله عثمان بن حُنيف حين دُعي إلى مأدبة : ((**أَمَّا بَعْدُ ، يا بْنَ حُنيفٍ :فَقَد بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إلى مَأْدُبَةٍ**

---

[١] نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، ك (٣٣) : ٥٤٠_ ٥٤١.

[٢] المصدر نفسه ، ك (٢٢٠) :٤٥١.

[٣] ظ: علم البديع دراسة تاريخية وفنية ، بسيوني عبد الفتّاح فيّود : ٣٠٠.

[٤] نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، م (١٢٥) : ٢٤٣.

فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوانُ ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ ! وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلى طَعَامِ قَوْمٍ، عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ ، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ))[١] .

فنلمس ذلك الإيقاع المتولد بين الفاصلتين(**الْأَلْوانُ _ الْجِفَانُ**)، كذلك مابين(**مَجْفُوٌّ_مَدْعُوّ**) فجاءت جميعها متفقة بالوزن والقافية ، وقد يكون الاتفاق بين الفاصلتين بالقافية من دون الوزن عندئذٍ يسمى بالسجع المطّرف[٢] ، كقوله (**عليه السلام**) ردّاً على حكاية بلغته عن محمد بن أبي بكر:((**بَلَغَني مَوْجِدَتُك مِنْ تَسْرِيحِ الْأَشْتَرِ إِلى عَمَلِكَ ... إِنّ الرَّجُلَ الَّذي كُنْتُ وَلَّيْتُهُ أَمرَ مِصْرَ كانَ رَجُلاً لَنَا ناصِحاً، وِعَلَى عَدُوِّنَا شَدِيداً نَاقِماً، فَرَحِمَهُ اللهُ ! اسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ، وَلَاقَى حِمَامَهُ**))[٣].

فتوافقت الفواصل (**نَاقِماً_ أَيَّامَهُ_ حِمَامَهُ**) في القافية دون الوزن . ونلحظ مجيء السجع القصير في الحكاية ، الذي يُعدَّ أصعب ألوان السجع وذلك ؛ لأنّ ((الألفاظ إذا كانت قليلة ... وأطرافها متقاربة لذّت على الآذان لقرب فواصلها ولين معاطفها))[٤] ، وقد يلتمس الإمام **عليه السلام** التنويع السجعي الذي ((يحافظ على سبك النصِّ بعوامل صوتية ، موسيقية ، ووزنيّة إيقاعية ، وذلك بإيجاد العلاقات الموزعة على أجزاء النصّ التي تستدعي بعضها البعض))[٥] ، كقوله (**عليه السلام**) حين بلغه شراء قاضيه شُريح داراً : ((**بَلَغَني أَنَّك ابْتَعْتَ دَاراً بِثَمانينَ دِينَاراً ، وَكَتَبْتَ لَهَا كِتَاباً، وَأَشْهَدْتَ فِيه شُهُوداً ... فَعَلَى مُبَلْبِلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ ، وَسَالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَةِ ، وَمُزِيلِ**

---

[١] المصدر نفسه ، ك (٤٥) : ٥٥٣.

[٢] ظ : علم البديع ، عبد العزيز عتيق : ٢١٧.

[٣] نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، ك (٣٤) : ٥٤١_ ٥٤٢.

[٤] الطراز ، العلوي : ١٤/٣ .

[٥] شبهة استعمال السجع وتنميق الكلام في نهج البلاغة ، علي حاجى خانى(بحث منشور) مجلة دراسات في العلوم الإنسانية ، عدد ٢ ، ٢٠١٦ ص: ١٢١.

مُلْكِ الْفَرَاعِنَةِ ، مِثْلِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَتُبَّعٍ وَحِمْيَرَ ، وَمَنْ جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَأَكْثَرَ، وَمَنْ بَنَى وَشَيَّدَ ، وَزَخْرَفَ وَنَجَّدَ ، وَادَّخَرَ وَاعْتَقَدَ ، وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ_ إِشْخَاصُهُمْ إِلى مَوْقِفِ الْعَرْضِ وَالْحِسَابِ ، وَمَوْضِعِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ))[١] .

جاءت الحكاية على إحدى عشرة فقرة ، وقد وقعت فيها تلك السجعات على أربعة أحرف هي (**التاء _ الدّال _ الراء _ الباء)** ، وقد أضفت إيقاعاً عالياً ، بسبب الترديدات الصوتية ذات الجرس القوي ، وتلك القوة التي تحملها تتساوق تساوقاً مع المعنى الذي يريد الإمام نقله للمخاطب ، بيد أنّ نظرةً سريعة تكشف لنا الفارق بين الحكايات التي ورد فيها السجع ، ففي الحكاية المكتوبة ، نرى السجع شهد تراجعاً ؛ لأنّها تخاطب جانب العقل أكثر فلا يحتاج فيها إلى تلك الأدوات الصوتية والسمعية ، فضلا عن الحال الشعورية للمتكلم ، التي لها تأثيرٌ كبيرٌ على عملية الخطاب وهذا ما توافرت عليه الحكاية الشفوية ، فهي تخاطب الوجدان والعقل معاً، فيتفاعل المخاطب مع الأفكار والمعاني الإيحائية ، ولتحقيق هذه الغاية ، يلجأ المتكلم إلى إيجاد روابط بين أجزاء الكلام[٢] ، التي تتمثل بتشابه نهايات الفقرات وتناسق جرسه .

رابعاً : الــتوازن

يُعدُّ التوازن أو الموازنة من المحسنات اللفظية التي تكون في النثر والشعر سواء ، والمقصود بالتوازن ((أنْ تكونَ ألفاظ الفواصل في الكلام المنثور متساوية في الوزن))[٣] ، وهذا

---

[١]) نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، ك (٣) : ٤٨٢_ ٤٨٤.

[٢]) ظ : شبهة استعمال السجع وتنميق الكلام في نهج البلاغة ، علي حاجى خانى : ١٢٠.

[٣]) المثل السائر ، ابن الأثير : ٢٧٢/١ .

اللون من الكلام ((هو أخو السجع في المعادلة دون المماثلة))[١] ، فلو كان يُشترط في السجع ((الاتفاق في الحرف الأخير من سجعاته لكانت الموازنة قسماً منه))[٢] ، والتوازن وسيلةٌ من وسائل التكّثيف الموسيقي ، الذي ((منبعه التماثل في زنة الألفاظ ، إذ كلّ مفردة في الصدر متطابقة في التوازن مع أختها في العجز ، الأمر الذي يكثّف الإيقاع ويقوي الجرس خاصة مع تكراره))[٣] ، فما جاء منه ، قوله (عليه السلام) رداً على حكاية من أنكر الحكومة : ((**أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ حِيلَةً وَغِيلَةً ، وَمَكْراً وَخَدِيعَةً ،إِخْوانُنَا وَأَهْلُ دَعْوَتِنا...؟ فَقُلْتُ لَكُمْ : هذا أمرٌ ظَاهِرُهُ إِيمانٌ ، وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ**))[٤] .

فالتوازن وقع بين (**إِيمانٌ _ عُدْوَانٌ**) فقد اتفقت اللفظتان بالوزن الذي ولد جرساً ، أضفى له الطباق الذي سبقه ، الذي وقع بين (**ظَاهِرُهُ _ بَاطِنُهُ**) قوة إيقاعية لها أثرها في المتلقي ، وقد ((يبلغ التوازن في الكلام ذروته من الجرس حين تتماثل ألفاظ كلّ فقرة في الوزن))[٥] ، وعلى هذا جاءت أغلب الجمل في الحكاية العلوية ، كما قوله (عليه السلام) رداً على حكاية نقلها عن فرعون:((**أَلا تَعْجَبُون مِنْ هذين يَشْرِطَانِ لي دَوَامَ الْعزِّ، وَبَقَاءَ الْمُلْكِ ؛ وَهُمَا بِما تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ!فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرةٌ مِنْ ذَهَبٍ ، إِعْظَامَاً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ، وَاحْتِقَاراً للصَّوفِ وَلُبْسِهِ... مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلأُ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنًى ، وَخَصَاصَةٍ تَمْلأُ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ أَذًى**))[٦].

---

[١] المثل السائر ، ابن الأثير : ٢٩١/١.

[٢] البلاغة العربية ، عبد الرحمن الدمشقي : ٥١٢/٢ .

[٣] الأثر الْقرآني في نهج البلاغة ، د. عباس علي حسين الفحام : ٢٧٢.

[٤] نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، م (١٢١) : ٢٣٧.

[٥] الأثر القرآني في نهج البلاغة ، د. عباس علي حسين الفحام: ٢٧٣ .

[٦] نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، خ (١٩٢) : ٣٨٩_ ٣٩٠.

فنلحظ التوازن هنا تجاوز حدود اللفظين ، إلى الجمل فوقع بين **(إِعْظَامَاً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ _احْتِقَاراً للصَّوفِ وَلُبْسِهِ)** ، فكلُّ مفردةٍ في هذه الجمل تقابل أختها في الوزن ، ونلمس في تقديم تعظيم الذهب ؛ كونه الأساس الذي فاضل به فرعون حين رأى ما عليه نبي الله موسى **عليه السلام** من حال الفقر الذي أشار إليه بـ(لبس الصوف) ، فكان ((إعظام الذهب هو شعار الغني ، واحتقار الصوف ولبسه ممّا هو شعار الفقر سبباً حاملاً لفرعون على ذلك الاستكبار والتعجب))[١] ، وفي الحكاية نفسها نلمس توازناً وقع بين**(قَنَاعَةٍ تَمْلأُ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنًى _ وَخَصَاصَةٍ تَمْلأُ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ أَذًى)** ، لمّا أراد الإمام بيان حال الأنبياء وما هم عليه من انقطاع لله **جلّ وعلا**، بيّن حال بعدهم عن الدنيا وملذاتها ، ذلك البعد الذي أوجبته قناعة ، ملئت قلوبهم ، وقدّمها إشارة إلى أنّها محل العشق الآلهي ومستودعه ، فإذا مُلِئَت قناعة ، انصرفت أبصارهم عمّا يشغلهم من الوصول إلى غايتهم ، فكأنّها ملئت خصاصة وإن كانت موجبة للأذى لما تسببه من ضعف نتيجة للجوع الشديد ، فجاءت تلك المعاني كُلّها في ألفاظ متوازنة أعطت قوة نغمية تحمل المتلقي على التفكر بحال الأنبياء ، والاعتبار بهم .

نظيره قوله (**عليه السلام**) ردّاً على حكاية الأشعري : ((**يَقُولُ : إِنَّها فِتْنَةٌ فَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ ، وَشِيمُوا سُيُوفَكُمْ ... وَخُذُوا مَهَلَ الأيَّامِ ، وَحُوطُوا قَوَاصِيَ الإسْلامِ .أَلَا تَرَونَ إِلى بِلادِكُمْ تُغْزَى ، وَإِلى صَفَاتِكُمْ تُرْمَى**))[٢] .

نلمس جرس الألفاظ يتصاعد قوياً منبعه ذلك التوازن الحاصل ما بين الألفاظ في **(الأيَّامِ_الإسْلام)** فقد توافقت اللفظتان وزناً ، وبين جمل الحكاية العلوية في **(إِلى بِلادِكُمْ تُغْزَى _**

---

[١] شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٤/ ٣٢٠ .

[٢] نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، خ (٢٣٦) : ٤٧٤.

وَإِلى صَفَاتِكُمْ تُرْمَى) ، وتتابعها جعلَها أشدّ وقعاً بسبب جرسها العالي وإيقاعها القوي الذي يتناسب ومقتضى الحال .

نلحظ من السابق ذكره ، أثر الوسائل التنغيمية في إخراج الحكاية العلوية ، وقدرتها على حمل المتلقي إلى التأمل والتفكّر في المعاني المراد بيانها ، عن طريق منحها جرساً قوياً يتفاوت في صعوده وهبوطه تبعا للموقف والموضوع ، وعلى الرغم من قلّة تلك الوسائل التنغيمية ، الراجع إلى غلبة الحكاية المكتوبة على الشفاهية ، فلا تتطلب الأولى ما تتطلبه الحكاية الثانية من نبرٍ وتنغيم وإشارات وإيماءات ، إلا إنّ الحكايتين تمكنتا بما تمتلكانه من أدوات ، إيصال أفكار الإمام إلى المتلقين بالشكّل الذي أراده .

التفاعل النصّي في الحكاية

إنّ النصَّ (الأدبي) تحديداً يكتسب سطوته وقوته عن طريق عملية التأثر والتأثير التي ينتجها الخطاب ، وتتجلى أهميته عن طريق ترابطه ((في منظومة المجتمع البشري بالجانب العقلي فيها ، فهو حامل للعلم ومصدر التجربة والعرفان ، بل تتلخص فيه الحقيقة التي تقوم عليها كلُّ المعارف ، فهو من حيث هو كائن ثابت ضامن لاستمرارها بالحفاظ عليها ، وهو مدخل إلى الحقيقة يُتوسَّلُ به لإثبات موقف أو مبدأ من مبادئ عقيدة كاملة))[١] ، وأيّ نصٍّ ((لا ينشأ من فراغ ، ولا يظهر في فراغ ، إنّه يظهر في عالم مليئ بالنصوص الأخرى ، ومن ثم يحاول الحلول محل هذه النصوص أو إزاحتها من مكانها...وفاعلية النص المزاح لا تقلُّ في أهميتها وقوة تأثيرها عن فاعلية النص الحال))[٢] ، ومسألة التأثر بالنصوص مسألة قديمة ظهرت بموروثنا الأدبي والثقافي ، وقد تناولها علماؤنا القدماء تحت اسم السرقات الأدبية ، إذ كان أغلب الشعراء يعيدون صياغة المعاني التي تناولها شعراء غيرهم وصبّها في قوالب جديدة ، أو أن يُودعَ شعره ألفاظاً وأحياناً شطر بيت لشاعر آخر، مما كان يُعدّ قدحاً به ، حتى احتدم الصراع الذي تمخض عنه كتاب الوساطة للجرجاني (٣٩٢هـ) ، وقد اختلفت النظرة للموضوع من وجهة نظر الدراسات الحديثة ، التي ترى أنّ النصّ ينبثق من نصوص متعددة ، فالكاتب ((في إنتاجه لنصّه يخضع لعملية تعالق لا متناهية مع المعجم اللغوي المفتوح ، ومع ترسبات ثقافية فنيّة ، ربّما تعود لفترات متباعدة))[٣] ، وهذا التلاقح بين النصوص نتج عنه مصطلح جديد هو التناص

---

[١]) نسيج النص ، الأزهر الزناد : ١٣.

[٢]) التناص وإشاريات العمل الأدبي ، حافظ صبري (بحث منشور) مجلة عيون المقالات ، عدد٢، ١٩٨٦،ص: ٨١.

[٣]) مصطلح السرقات الأدبية والتناص بحث في أولية التنظير : رامي أبو شهاب (بحث منشور) ، مجلة :علامات في النقد . عدد : ٦٤ ، ٢٠٠٨، ص: ٢٣٨.

الذي بلورت مفهومه وأرست قواعده جوليا كرستيفا، فترى أنّ التناص ((ترحال للنصوص وتداخل نصّي ، ففي فضاء نصٍّ معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطفة من نصوص أخرى))[١]، إذاً التناص عملية ((صهر وامتصاص لعدّة نصوص غائبة بطريقة ذكيّة ، والنص الجديد يبقى دائما في حاجة إلى تطعيم وإثراء من نصوص أخرى))[٢] ، ويتجلى التناص في مستويين هما: تناص خفيٌ يمثله المخزون الثقافي والفكري للكاتب ، وتناص ظاهر يمكن رصده من خلال الاقتباس والتضمين ، المعارضات ، التلميح ، الإيحاء[٣] ، إذا الاقتباس والتضمين هما وسيلة من وسائل التناص ، الذي تتجسد فيه موهبة المتكلم ، سواء أكان شاعراً أم ناثراً ؛ لذا سيتناول هذا المبحث تلك التفاعلات التناصية ، بدءاً بـ :

أولا: الاقـتـبـاس

الاقتباس في **اللغة** مأخوذ من ((القبس : وهي الشعلة من النار تقتبسها))[٤]، فالاقتباس هو الأخذ ، وعلى هذا جاء المعنى الاصطلاحي ، فهو ((أنْ تُدرجَ كلمةٌ من القرآن أو آية في الكلام تزييناً لنظامه وتفخيماً لشأنه))[٥] ، من دون تنبيه عليها ؛ أي يدرجُ النصّ المُقتَبس في الكلام وكأنّه منه ، ولا يقتصر الاقتباس على القرآن فحسب ، وإنّما يشمل الحديث النبوي الشريف

---

[١]) علم النص ، جوليا كرستيفا : ٢١.

[٢]) التناص في رواية المخطوطة الشرقية لواسيني الأعرج ، بلعباس ياسين وبلقاسمي نعيمة(رسالة ماجستير): ١٧.

[٣]) ظ : مصطلح السرقات الأدبية والتناص بحث في أولية التنظير ، رامي أبو شهاب : ٢٣٨ ، والتناص التراثي في الشعر العربي المعاصر ، عصام حفظ الله واصل : ٧٨.

[٤]) تهذيب اللغة ، محمد بن احمد الأزهري : ٣١٨/٨ .

[٥]) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، فخر الدين الرازي : ١٧٣، ظ : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، احمد بن علي القلقشندي :٢٣٧/١.

أيضا[١] ، ويرى بعض البلاغيين أنّ الشعر يدخل دائرة الاقتباس لاسيّما شعر من عُرِفَ بإجادته في الألفاظ والمعاني[٢] ، وذهب البعض إلى أنّ ما جاء منه في الشعر هو عقد وتضمين ، فيقتصر الاقتباس على المنثور[٣] ، والاقتباس من القرآن يأتي على ثلاثة أقسام : ((مقبول ، ومباح ومردود فالأول : ما كان في الخطب والمواعظ والعهود ومدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم . الثاني : في الغزل والرسائل والقصص . والثالث : يكون على ضربين ما نسبه الله لنفسه ، وتضمين آية كريمة في معنى هزل))[٤].

ويعدُّ البلاغيون الاقتباس والتضمين الذي سيأتي ذكره ، من الفنون البديعية ، التي تتطلب تمكناً كبيراً ، فهو يتوقف على كيفيّة استدعاء النصوص سواء أكانت قرآنية ، أم أحاديث شريفة ، وتوظيفها داخل النصّ حتى تغدو جزءاً منه ، ولا يكون ((هذا الاستدعاء موفقاً وفاعلاً في إثراء النصّ ما لم يكن متأتياً بطريقة تكشف قدرة المبدع على استلهام الموروث المعرفي ، والتعامل معه فالنظم الصحيح والمنسوج في سياق فنّي صحيح ضامن لنجاح ذلك الاستدعاء الذي يتحدُ به القديم والجديد))[٥] ، فعملية الاقتباس هي _ من جهة_ دليل ثقافة المتكلم الواسعة واطّلاعه على الموروث القديم وربطه بالجديد ، ومن _ جهة أخرى _ إحياء لنصوص اندثرت وغابت عن أذهان الناس ، وتوظيفها بشكلٍ يجعل جذورها تتشابك في بنية نصيّة مشحونة بالمعاني تُضاف إلى رصيد المعاني التي اكتسبتها أول ولادتها ، وهو بعد يشكّل _ الاقتباس _ الأساس في

---

[١]) ظ : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح ، عبد المتعال الصعيدي : ٦٨٨/٤

[٢]) ظ : المثل السائر ، ابن الأثير : ٩١/١ .

[٣]) ظ: خزانة الأدب ، ابن حجة الحموي : ٤٧١/٢.

[٤]) السرقات الأدبية ، بدوي طبانة : ١٦٣.

[٥]) الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة دراسة أسلوبية ، كاظم عبد فريح الموسوي : ٢.

التفاعل النصي ، وهذا ما يُشير إليه مفهوم التناص الذي يمثل حضوراً فعلياً لنصوص تتداخل مع بعضها بعضاً لإنتاج نص جديد .

فالنصوص العلوية هي نصوصٌ حية متجددة ، تمثل لغتها شريان الحياة فيها، تلك اللغة الزاخرة بمعاني القرآن الكريم ، فقد وعى الإمام **عليه السلام** القرآن وعياً تاماً فاستحالت معه ألفاظ القرآن من لفظٍ يُقرأ إلى سلوكٍ يُلمس تجسّد في شخصيته وصفاته ؛ لذا لا عجب إن بُني النصّ العلوي على أساس النص الآلهي ، أو اغترف من الفيض المحمدي الذي تربى في كنفه ، وسوف يتتبع هذا المبحث تلك المنابع التي نهل منها **عليه السلام** في بناء النصوص العلوية وكيفيّة اقتباسه للأثر القرآني أو النبوي من دون أن يبدو دخيلاً ، بل بدا النص متلاحم الأطراف ، قوي البنيان ، سهل العبارة ، عميق الدلالة .

وسيدرس هذا المبحث الاقتباس من محورين ، الاقتباس من القرآن الكريم ، والاقتباس من الحديث الشريف ، وستكون نقطة بدء البحث من الاقتباس القرآني كونه يشكّل المظهر الأكثر حضوراً .

أ_ الاقتباس من القرآن الكريم

قُسّمَ الاقتباس القرآني على قسمين ، ارتأينا أن نذكرَ كلَّ قسم وعرض شواهده من النهج ، تجنباً للتكرار بدءاً بأكثرها تجلياً .

١ـ الاقتباس الإشاري أو غير المباشر

هو أن يأخذ المقتبس كلمة يُشير بها إلى آيةٍ من القرآن ، أو حديثٍ من دون أن يلتزم بنقلها بلفظها وتركيبها[١]، وقد شاع هذا النوع من الاقتباس في الحكاية ، فقد ازدانت كثير من النصوص الحكائية في النهج بالمفردات القرآنية ، واتسمت ظاهرة استدعاء تلك المفردات بالعفوية مع أداء وظيفة دلالية نابعة من طريقة بنائها ضمن النصّ ، فحملت إشارات تكشف للمتلقي تلك الدلالات ، وهذا يعتمد على ((ملكات الإمام **عليه السلام** في قوة إحضار النصّ القرآني وقدرته على التصرف بالجملة القرآنية وإعادة صياغتها طبقا لموقفه))[٢] ، ولا تتوقف المسألة على إعادة الصياغة للجملة القرآنية وحسب ، وإنّما قد يقتبس الإمام اللفظة القرآنية ويودعها داخل سياقٍ ، هو السياق نفسه الذي كانت فيه ، والموقف نفسه والدلالة نفسها ، حاملاً المتلقي على التأمل، فيما توحيه تلك اللفظة أو الألفاظ ؛ لذا علينا أن لا نقف على حدود اللفظة المقتبسة من النص ، سواء أكان قرآنياً أم حديثاً نبوياً ، بل يفترض الرجوع إلى النصّ لمعرفة العلاقة التي استوجبت اقتباس هذه اللفظة أو تلك ، فمن تلك المفردات **(يَتَسَلَّلُونَ_مُهْطِعُونَ_ مَدَدِهِمْ_ يَفرُّوا مِنْ)** ، التي وردت في قوله تعالى : **﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾**[٣] ، وقوله تعالى:**﴿مُّهْطِعِينَ إِلى الدَّاعِ ﴾**[٤] ، وقوله تعالى : **﴿ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِن فَوْرِهِمْ هذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِن الْمَلَائِكَةِ ﴾**[٥] ، وقوله تعالى : **﴿إِنَّ الْمَوْتَ الَّذي تَفِرُّونَ مِنْهُ**

---

[١] ظ: الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي ، عبد الهادي الفكيكي : ١٣.

[٢] الأثر القرآني في نهج البلاغة ، د. عباس علي حسين الفحام : ٨٥ .

[٣] سورة النور ، آية : ٦٣.

[٤] سورة القمر ، آية : ٨.

[٥] سورة آل عمران ، آية ١٢٥.

فَإِنَّه مُلاقِيكُم﴾[١] ، فاقتبسها الإمام (عليه‌السلام) في قوله ردّاً على حكاية بلغته عن فرار رجالٍ من المدينة قاصدين معاوية : ((**فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالاً مِمَّنْ قِبَلَكَ يَتَسَلَّلُونَ إِلى مَعَاوِيَةَ ، فَلَا تَأْسَفْ عَلَى مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ...فَإِنَّما هُمْ أَهْلُ دُنْيا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا ، وَمُهْطِعُونَ إِلَيْهَا...إِنَّهُمْ ـواللهـ لَمْ يَفِرُّوا مِنْ جَوْرٍ، وَلَمْ يَلْحَقُوا بِعَدْلٍ**))[٢].

إنّ استحضار تلك الألفاظ القرآنية هي بمثابة إضاءات ترفع النقاب عن المعاني التي يحملُها النصُّ ، وهي بعد لها وشيجة كبيرة يربطها بسياق الحال ، فهنا الإمام في معرض بيان حال من فرَّ من المدينة والتحق بمعاوية ، فالتسلّل : هو ((الانطلاق في استخفاء))[٣] ، فاللفظة بتكاتف معناها مع جرسها الخفي ، تكشف عن نواياهم الزائفة وأهوائهم الباطلة ، ومن كانت هذه حالهم فلا يُؤسف على ضياع مددهم ؛ أي عونهم ونصرهم[٤] ، ثمَّ جاءت أداة القصر (إنّما) لتشكل حلقة وصلٍ تربط طرفي النصّ إتماماً للمعنى ، وهي لها زيادة توكيد تمثّلت بحصر طرفي الإسناد ببعضهما ؛ فلأنّ الدنيا هي غاية ما يسعون إليه عبّر عنهم بعبارة (مهطعون إليها) ؛ أي مسرعون[٥] ؛ لذلك أوضح سبب فرارهم بأنّه لم يكن من جور وقع عليهم ؛ لأنّهم يعلمون أن الناس سواسية أمام الإمام ، ولا لطلب عدل معاوية ، فهم يعرفون بعده عن الآخرة ، وإنّما فرّوا لطلب الدنيا المتمثلة بما في يد معاوية .

---

١) سورة الجمعة ، آية ٨.
٢) نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، ك (٧٠) : ٦١٧.
٣) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (تسلل) : ٣٣٨/١١.
٤) ظ : المصدر السابق ، مادة (مدد) : ٣٩٨/٣.
٥) ظ : تهذيب اللغة ، الأزهري : ٩٧/١.

إنّ حضور تلك الألفاظ يعني تجلي أربعة نصوص قرآنية بآنٍ واحد ، انصهرت داخل تراكيب تمخض عنها نصٌّ متكامل البناء ، وهو بعد كفيل بجعلِ ذهن المتلقي يحوم في فضاءات تلك النصوص القرآنية التي شكّلت حلقةَ الوصلِ ما بين المتكلم والمتلقي لاستجلاء المعاني .

إنّ للفظ أثراً في عملية الوصف التي يتوسلها الإمام لنقل المعاني ، مثال ذلك ما جاء في جملة كلام له ردّاً على حكاية بلغته عن عامله بالبصرة حين دُعي إلى مأدبة فقال (عليه‌السلام) : ((**أَمَّا بَعْدُ ، يَا بْنَ حُنَيْفٍ : فَقَد بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إلى مَأْدُبةٍ فأسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوانُ وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ ... وَسَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ الْأَرْضَ مِنْ هذا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ ، والْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدَرَةُ مِنْ بَيْنَ حَبِّ الْحَصِيدِ**))[١] .

فلفظ (**مَرْكُوسِ**) ، اقتبسه الإمام عليه‌السلام من قوله تعالى :﴿ **فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِين فِئَتَيْنَ وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا** ﴾[٢] ، والركس هو ((ردّ الشيء مقلوباً))[٣] ، لكنّه عليه‌السلام جاء به على زنة مفعول ، فانتقل باللفظ من الفعل إلى الاسم ، وهذا الانتقال لم يُبعده عن أصله القرآني ، ومورد اللفظ هنا هو لبيان صفة معاوية ، فالتعبير عنه بلفظي (جسم _ شخص) للإشارة إلى ((عنايته بكمال بدنه دون كمال نفسه))[٤] فكأنّه أضحى قالباً فقط بعيداً عن الملكات النفسية التي تهيئه للكمال الروحي ، واستعمال لفظ (مركوس) دون سواه هنا ، هو لبيان حقيقة أنّه كلما أُريد به الصّلاح ردّ منقلباً كمَن يُردُّ أوله على آخره ، وخلق التوازن بين مفردتي (معكوس_ مركوس) ثنائية بين اللفظ والمعنى ، أسهمت في كشف دلالة اللفظ وشدِّ المتلقي.

---

[١]) نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، ك (٤٥) : ٥٥٣_ ٥٥٧.

[٢]) سورة النساء ، آية : ٨٨.

[٣]) الصحاح ، الجوهري ، مادة (ركس) : ٩٣٦/٣ .

[٤]) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٥/ ١٤٢ .

ونلمس تصويراً آخر مختلف لمعاوية ، ولربّما منبعه اختلاف الموضوع ، وطريقة عرضه ، ومن ثمَّ طريقة الردّ عليه ، وإن كان في النصِّ السابق وصفه بـ (بالشخص المعكوس والجسم المركوس) فقد وصفه في موضع آخر بـ (الأغلف القلب) في قوله رداً على حكاية معاوية حين هدده بالحرب : ((**وَذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِرِي فِي الْمُهَاجِرِينَ والْأَنْصَارِ ... وَإِنَّكَ _ وَاللهِ مَا عَلِمْتُ _الْأَغْلَفُ الْقَلْبِ ، الْمُقَارِبُ الْعَقْلِ**))[١] ، وقد اقتبسه الإمام من قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَّعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ** ﴾[٢] ، والأغلف هو الذي على قلبه غشاوة فلا يعي شي ؛ لأنّه ((محجوب بالهيئات وأغشية الباطل عن قبول الحقِّ وفهمه ، فكأنّه في غلاف منها))[٣] ، فهو وصف له بقلّة التفكّر والتدبّر.

ونظير ما ذكرنا من تجلي النصوص القرآنية في نصوص نهج البلاغة ، هو ما جاء في ردّه (عليه‌السلام) على حكاية لمعاوية حين طلب إعطاءه الشّام : ((**وَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأُعْطِيَكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمسِ... وَفِي أَيْدِينا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتي أَذْلَلْنا بِهَا الْعَزِيزَ ، وَنَعَشْنَا بِهَا الذَّلِيلَ. وَلَمَّا أَدْخَلَ اللهُ الْعَرَبَ فِي دِينِه أَفْوَاجاً ، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هذه الأُمَّةُ طَوْعاً وَكَرْهاً ، كَنْتُمْ مِمَّنَ دَخَلَ فِي الدِّينِ : إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً ، عَلَى حِين فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ ، وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِم . فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيباً ، وَلَا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلاً**))[٤] ، فنلحظ في قوله **(وَلَمَّا أَدْخَلَ اللهُ الْعَرَبَ فِي دِينِه أَفْوَاجاً)** ، اقتباساً لقوله تعالى : ﴿ **وَرَأَيْتَ النَّاسَ**

---

[١]) نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، ك(٦٤) : ٦٠٧.

[٢]) سورة البقرة ، آية : ٨٨ .

[٣]) شرح نهج البلاغة ،ابن ميثم البحراني : ٥/ ٢٥٩.

[٤]) نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، ك (١٧) : ٤٩٦.

يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً ﴾[١] ، وممكن أن نلمس الفارق بين النصين في نسبة فعل الدخول ، فالنصّ القرآني نسب الفعل للناس ، ولا يكون هذا من شأنهم لولا النبوة التي كانت الوساطة بين السماء والأرض ، فبالنبوة اهتدى الناس لدين الله وعرفوا الحقّ واتبعوه طوعاً ، فالنصّ القرآني اكتفى بذكر السبب ، أمّا النصّ العلوي فنسب الفعل لله **عزّوجلّ** ، وهو من باب ذكر المسبب ؛ لأنّه في معرض بيان فضل الله ورحمته على عباده ، ففيه إشارة وإشعار للمخاطب ، بأنّ الله يختصُّ برحمته وفضله من يشاء ، فاختصّهم بذلك الفضل الذي بسببه دخل معاوية الدين سواء أكان رهبة أم رغبة . أمّا قوله : **(فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيباً)** فهو مقتبس من قوله تعالى : ﴿ **لَّعَنَهُ اللهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا** ﴾[٢] ، فيحذر الإمام **عليه‌السلام** معاوية من أن يكون غرضاً لوسوسة الشيطان فيكون له به نصيب ؛ لأنّ كلّ ذي شركةٍ له نصيب بما اشترك فيه ، فهو نهي له عن إتباع الأهواء المضلّة التي تجعل منه فريسة سهلة للشيطان .

وقد يرد الاقتباس غير المباشر على نحو بعيد خلاف ما مرَّ فتلك الاقتباسات ، التي وردت تحيل للنصِّ القرآني الذي اقتبست منه ، وقد يمتزج النص القرآني ويتداخل في بنية النص العلوي بحيث يصبح من الصعوبة بمكان الفصل بينهما ، ما يتطلب إعادة استكشاف كنه النصّ أكثر من مرة لمعرفة النصّ المقتبس ، ففي قوله (**عليه‌السلام**) رداً على حكاية من اتهمه بالجبن والشكّ في قتال أهل الشام : ((**أَمَّا قَوْلُكُمْ : شكًّا فِي أَهْلِ الشَّامِ ! فَوَاللهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْمَاً إِلاَّ وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدي بِي ، وَتَعشُوَ إِلى ضَوْئِي ، وَذَلِكَ أَحَبُّ إِليَّ مِنْ أَنْ اقْتُلَهَا**

---

[١] سورة النصر ، آية ٢ .

[٢] سور النساء ، آية : ١١٨ .

عَلَى ضَلالِها ، وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِها))[١] .

هذا النصّ يتطلب من المتلقي إطالة نظر ، وإجالة فكر ، حتى يتسنى له معرفة أنّه يُشير بمضمونه إلى قصة ابني أدم ، فاقتبس الإمام عليه السلام من قوله تعالى :﴿ **إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ** ﴾[٢] ، معنى النص لعلاقته المباشرة بمقام الحال ، فأراد عن طريق هذا الاقتباس بيان ما وقع عليه من ظلم ، والمتمثلة بحرب أهل الشام ، ورميه بالجبن والشكّ ، فحاله كحال قابيل حين ظلمه أخوه بقتله فباء بإثمه وإثم من قتله .

٢ـ الاقتباس النصّي أو المباشر

هو أن يلتزم المقتبس بنقل النصّ كما هو بلفظه وتركيبه من دون زيادة أو نقصان أو تغيير[٣] وقد ذكرنا عند تعريف الاقتباس ، إنّ المقتبسَ لا يُشير إلى القائل ، فلا يَعدُّ البلاغيون نقل النصِّ مع الإشارة إلى قائله اقتباساً ، والاقتباس النّصّي المباشر للقرآن حين يتداخل ويمتزج مع النص العلوي ، يهيئ فرص التواصل بين المتكلم والمتلقي ؛ لأنّ النصَّ القرآني يمثّل الركيزة الأساسية والثقل الأكبر لأي أديب ، سواءً أكان من ناحية الجمال الأسلوبي أم من ناحية العقيدة ، فيجعل التواصل ناجحاً ومثمراً ، فضلاً عمّا يمنحه القرآن من ثقل أدبيٍّ للنصوص[٤]، وهذا ما تجلّى في النصوص العلوية كلِّها بشكل عام ، والنصوص المحكية بشكل خاص ، على الرغم من أنّ هذا النوع من الاقتباس لم يردْ في الحكاية إلاّ في ثلاثة مواضع ، إلا أنّه تمكّن من إذكاء النصّ العلوي بمزيد دلالة تمكّن المتلقي من استيعاب المعاني ، ولاسيّما أنّ الغرض من الاقتباس

---

[١] نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، م (٥٤) : ١١٤.

[٢] سورة المائدة ، آية : ٢٩ .

[٣] ظ: الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي ، عبد الهادي الفكيكي : ١٣.

[٤] ظ : نظرية علم النصّ رؤية منهجية في بناء النصّ النثري ، د. حسام احمد فرج : ٢٢٢.

هو تأكيد المقصود فيبدو الاقتباس وقتها كأنّه شاهدٌ على ما قيل ، فما جاء منه قوله (عليه‌السلام) رداً على حكاية بلغته عن شُريح أنّه اشترى داراً :((**بَلَغَنِي أَنَّكَ ابْتَعْتَ دَاراً بِثَمانِينَ دِينَاراً ، وَكَتَبْتَ لَهَا كِتَاباً .... فَعَلَى مُبَلْبِلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ ، وَسَالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَةِ ، وَمُزِيلِ مُلْكِ الْفَرَاعِنَةِ ، مِثْلِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَتُبَّعٍ وَحِمْيَرَ ، وَمَنْ جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَأَكْثَرَ،وَمَنْ بَنَى وَشَيَّدَ ، وَزَخْرَفَ وَنَجَّدَ ، وَادَّخَرَ وَاعْتَقَدَ ، وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ_ إِشْخَاصُهُمْ إِلى مَوْقِفِ الْعَرْضِ وَالْحِسَابِ ، وَمَوْضِعِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، إِذا وَقَعَ الأَمْرُ بِفَصْلِ الْقَضَاءِ «وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ» شَهِدَ عَلَى ذلِكَ الْعَقْلُ إِذا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوى وَسَلِمَ مِنْ عَلَائِقِ الدُّنْيَا**))[١] .

إنّ النصَّ العلوي يحمل نوعين من الخطاب ، **الأول** : خطاب خاص : وهو الموجه للقاضي شُريح ، **والثاني** : خطاب عام للإنسان بكل عصر، بلحاظ ذلك الامتداد الزمني الذي انطوى عليه النصُّ ، فحبُّ الدنيا والتعلق بها سمة الإنسان في أيِّ عصر كان ؛ لذا جاء تحذير الإمام (عليه‌السلام) منها _ الدنيا _ بذكر أخبار الأمم السابقة ، التي شيّدت وعمّرت وجمعت الأموال ، ثم شخصوا عن الدنيا إلى مواقف الحساب والثّواب ، فالنصُّ يضع المتلقي أمام مشهد عظيم يكون فيه بين مفترق طريقين لا ثالث لهما ، إمّا الآخرة والاستعداد لها للفوز بثوابها ، أو الدنيا عندها يكون مصداقاً لقوله تعالى : ﴿**خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هو الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ**﴾[٢] ، فأمام هكذا مشهد، لا بدَّ من استدعاء نصٍّ ينسجم مع سياق الترهيب ؛ لذا نلمس في النصُّ القرآني المقتبس

---

[١] نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، ك (٣) : ٤٨٢_٤٨٤.

[٢] سورة الحج ، آية ١١ .

« **وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ**»[١] ، تلاحماً وتعاضداً للمعنى ، فكان ركيزة أساسية في ترابط النص العلوي ودليلاً مؤيداً لما سيق .

إنّ عملية استحضار نصٍّ داخل نصٍّ آخر يتطلب قدرة كبيرة لا تتأتى لكلِّ أديب ، لكن ونحن أمام النصّ العلوي ، نلحظ تلك السلاسة والانسيابية في استدعاء النصّ القرآني بما ينسجم وطبيعة الموقف ، ففي قوله (عليه السلام) ردّاً على حكاية معاوية حين اتهمه بقتل عثمان : ((**ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كان مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمَانَ ، فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هذه لِرَحِمِكَ مِنْهُ ؛ فَأَيّنَا كان أَعْدَى لَهُ، وَأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ ! أَمَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَاسْتَكَفَّهُ ، أَمَّنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَى عَنْهُ وَبَثَّ الْمَنُونَ إِلَيْه ؛ حَتَّى أَتَى قَدَرُهُ عَلَيْهِ ! كَلَّا واللهِ لَقَدْ عَلِمَ اللهُ « الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً» وَمَا كُنْتُ لِأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَاثاً ؛ فَأَنْ كانَ الذَّنْبُ إِلَيهِ إِرْشَادِي وَهِدَايَتِي لَهُ ؛ فَرُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ**))[٢] .

كلام الإمام هنا في مورد بيان معنى مهم وتوكيده ، لبطلان زعم معاوية واتهامه إيّاه بقتل عثمان ، فالإمام ممن بذل نصرته لعثمان فرفضها واستقعده وطلب منه الابتعاد والكفّ عنه ، وقد أرسل عثمان لمعاوية طالباً نصرته فلم يزل يتراخى عنه لطمعه بالخلافة حتى قُتلَ[٣] ، فكان ممن أسهم في قتله بمنعه النصرة ، فالاستفهام فـ (**فَأَيُّنَا**) خارج لمعنى التعجب من هذا الاتهام ؛ أي أيكون من قتله هو من بذل له نصرته حين اشتدَّ حصار الناس عليه فرفضها ، أم مَن تراخى عنه وقعد عن استنصاره ، وسلمه ليد المنون ؟

---

[١] سورة غافر، آية ٧٨.

[٢] نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، ك (٢٨) : ٥١٢_ ٥١٦.

[٣] ظ : شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٤/ ٥٢٩_٥٣٠

هذه الحالة من التثبيط والغدر تتطلب استدعاء نصٍّ يضرب في صميم معنى النصّ العلوي ؛ لذا اقتبس الإمام هذا النص القرآني ﴿ **قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً**﴾[١]، فالمعوِّقون ((هم الذين يعوقون غيرهم عن الجهاد مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لينصرفوا عنهم، وهم اليهود))[٢]، وقد يكون المقصود بالمعوِّقين المنافقون[٣]، وهذا ينطبق على حال معاوية ، فكان ممن يدعي نصرة عثمان ، وفي الحقيقة كان ممن يثبطون عن نصرته ويصرفون الناس عنها ، فكأنّه بذلك أعان على قتله وسلّمه لحتفه ، فشكّل النصّ المقتبس المرتكز والمحور الذي دار مداره النصّ العلوي .

وفي الحكايةِ نفسها يقتبس الإمام نصاً قرآنياً آخر يختم به كلامه حين هدده معاوية بالحرب فقال(عليه السلام) : ((**وذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لي وَلأَصْحَابي عِنْدَكَ إِلاّ السَّيْفُ ... وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ ، شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ ، سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ ، مُتَسَرْبِلِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ ، أَحبُّ اللِّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ ، وَقَدْ صَحِبَتْهُمْ ذُرِّيةٌ بدْرِيَّةٌ ، وَسُيُوفٌ هَاشِمِيةٌ ، قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ وَخَالِكَ وِجَدِّكَ وَأَهْلِكَ « وَمَا هِي مِنْ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ**».))[٤] .

جاء وعيد الإمام عليه السلام لمعاوية بالحرب ، في سلسلة من الجملِ المحتشدة ، المصطّفة داخل إيقاع يعكس جانب القوة التي هيّئها الإمام لملاقاة العدو، وهذا ما يناسب مواقف التهديد

---

١) سورة الأحزاب ، آية : ١٨ .

٢) مجمع البيان في تفسير القرآن : الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي : ١١/ ٣٤٨.

٣) ظ : الكشّاف ، الزمخشري : ٨٥١.

٤) نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، ك (٢٨) : ٥١٢_ ٥١٧.

والوعيد، التي تجعل الطرف الآخر متصدع الأركان ، ونلحظ أنّ ذلك الإيقاع المشحون قوة يصل إلى الذروة عند النصّ القرآني المقتبس « **وَمَا هِيَ مِنْ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ** » ، إنّ استحضار هذا النصّ تحديداً بعد ذكر السيوف الهاشمية مباشرة ، هو إيصال إشارة مهمة للمتلقي ، فعند الرجوع إلى النصِّ بشكل كامل وهو قوله تعالى :﴿ **وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ مُّسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنْ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ** ﴾ [١] نجد الضمير(هي) يعود على الحجارة التي أعدّها الله للظالمين ، فأراد الإمام تشبيه السّيوف الهاشمية بتلك الحجارة ، فكأنّهم مُعَدّون من قِبل الله للنيل من الظالمين ، وليست تلك السيوف عنهم ببعيدة .

فالنص القرآني المقتبس الوارد في الحكاية ، شحن النصّ العلوي بمزيد من القوة والتوكيد ، التي من شأنها ضعضعة قوة العدو ، وتحطيم معنوياته .

ب_ اقتباس الحديث النبوي الشريف

تعد السنّة النبوية الشريفة شارحةً وموضحةً لكلِّ ما في القرآن الكريم ، لذلك فهي المصدر الثاني للتشريع ، وبحكم قرب الإمام من هذا المنبع الثّر المتمثل بالنبيّ الأعظم **صلى الله عليه وآله وسلم** فقد تلقّفه ونهل منه ، وظهر هذا جلياً في نصوص نهج البلاغة ، فالاقتباس في النهج لم يكن مقتصراً على القرآن وحسب بل شمل الأحاديث النبوية ، وإن كان حضوره قليلاً جداً على مستوى النصوص المحكية .

فممّا جاء من اقتباسه **عليه السلام** للحديث الشريف قوله ردّاً على من أنكر أمر التحكيم : ((**أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ حِيلَةً وَغِيلَةً ، وَمَكْراً وَخَدِيعَةً ، إِخْوانُنَا وَأَهْلُ دَعْوَتِنا، أَسْتَقَالُونا**

---

[١] سورة هود ، آية : ٨٢_٨٣ .

وَاسْتَرَاحُوا إِلى كِتَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ ؟ ... وَلكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوانَنَا فِي الإِسْلَامِ عَلَى مَا دَخَلَ فِيه مِنْ الزَّيْغِ والِاعْوِجَاجِ وَالشُّبْهَةِ وَالتَّأَوِيلِ))[١] .

قراءة متمعّنة للنصّ العلوي ، تُحيل مباشرة إلى الحديث النبوي الذي اقتبسه الإمام **عليه السلام** ، وهو ((**إنّ منكم من يقاتل على تأويله كما قاتلتُ على تنزيله ، فقام أبو بكر وعمر ، فقال : (لا ولكنّه خاصف النعل) ، وعليٌّ يخصف نعله**))[٢] .

لقد كان بوسع الإمام أن يُشهدَهم على ما سمعوه من النبيّ **صلى الله عليه وآله وسلم** في حقه بخصوص القتال على التأويل ، لكن اقتباسه للحديث بهذا الشكل فتح أمام المتلقين آفاقاً واسعة تحملهم على التأمل والتفكّر في استدعاء حديث النبي الأعظم **صلى الله عليه وآله وسلم** ، وربطه بسلسلة الوقائع الدائرة خاصة عند ملاحظة تدرّجه **عليه السلام** في ذكر أسباب الحرب بدءاً من **(الزَّيْغِ)** إلى **(التَّأَوِيلِ)** ، مما يُتيح زيادة فاعلية المتلقين في استحضار الأحداث وربطها مع بعضها بعضاً ، فتتشكّل صورة متكاملة غايتها ، بيان حقيقة سيره **عليه السلام** على خط الإسلام الصحيح ، الذي تطلب الحرب لحفظ بنيانه ، كما تطلب الحرب لتثبيت أساسه .

إنّ إيكال مهمة حفظ الدين بالإمام **عليه السلام** وأهل بيته ؛ كونهم المهيئين والمُعَدّين لذلك ، هذا يُحيلنا إلى نصٍّ محكي علوي آخر امتزج والتحم بالحديث النبوي الذي يُشير إلى عظيم منزلتهم ، تمثّل في قوله رداً على حكاية من زعم أنّهم أعلم من أهل البيت **عليهم السلام** : ((**أَيْنَ الَّذينَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا ، كِذباً وَبَغْياً عَلَيْنَا ، أَنْ رَفَعَنَا اللهُ وَوَضَعَهُمْ ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ ،**

---

[١]) نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، م (١٢١): ٢٣٧.

[٢]) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، احمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني : ١٧/ ٣٩٠.

وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ... إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هذا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ ، لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ ، وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ مِنْ غَيْرِهُمْ))[١]

بدأ الإمام مطلع النصّ المحكي باقتباس قرآني فقوله :**(الرّاَسِخُونَ فِي الْعِلْمِ)** هو مقتبس من قوله تعالى : **﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاّ اللهُ والرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾**[٢] ، وختمه بقوله **(إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ)** الذي اقتبسه من قول النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** :((**لا يزال الإسلام عزيزاً إلى أثني عشر خليفة... كُلّهُم من قريش**))[٣] ، فالنصُّ يكشف عن مدى التلازم فيما بينه وبين النّصّين القرآني والنبوي اللذين وعاهما الإمام **عليه السلام** واستوعبهما حتى كانا شاخصين وحاضرين أمامه ، إنّ هذه السرعة في استدعاء النصوص ، تخلق حركةً ذهنية منتظمة وسريعة لدى المتلقي في استكناه مكامن المعنى في الحكاية ، بربط أوّله بآخره وكأنّ المعنى في حركة دائرية يسعى إلى حصر ذلك الفضل الآلهي بهم ، الذي تمثل بـ (العلم والرسوخ به _ النبوة _ الإمامة) وتُعدُّ الأخيرة امتداد للنبوة ، وبالتالي فكلّ من يزعم الرسوخ بالعلم والفضل من دونهم فهو كاذب .

لطالما حرصت السنّة النبوية الشريفة على رسم طريق الخلق الإسلامي الرفيع ، الذي خطّه القرآن الكريم ، وحذّرت كثيراً من السلوكيّات التي تنافي النهج القرآني ، ولا يبتعد النصّ العلوي عن ذلك الخط في تسليط الضوء على من سلك مسلكاً بعيداً عن القرآن والسنّة ، تحذيراً للناس من الوقوع في مكائدهم والاغترار بظاهر كلامهم ، من قبيل ذلك قوله (**عليه السلام**) ردّاً على حكاية عمرو بن العاص ، الذي زعم لأهل الشّام أنّ في الإمام دُعابة : ((**يَزْعُمُ لأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ**

---

[١] نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، خ (١٤٤) : ٢٦٧.

[٢] سورة آل عمران ، آية ٧.

[٣] صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري : ٣/ ١٤٥٣.

دُعَابَةً ، وَأَنِّي امْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ ، أُعَافِسُ وَأُمَارِسُ ، لَقَدْ قَالَ بَاطِلًا ، وَنَطَقَ آثِماً . أَمَا ـ وَشَرُ الْقَوْلِ الكَذِبُ ـ إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ ، وَيَعِدُ فَيُخْلِفُ، وَيُسْأَلُ فَيَبْخَلُ ، وَيَسْأَلُ فَيُلْحِفُ، وَيَخُونُ الْعَهْدَ ، وَيَقْطَعُ الْإِلَّ))[١] .

وصف الإمام **عليه السلام** عمرو بن العاص بصفاتٍ متعددة منها : (**يَكْذِبُ ـ يُخْلِفُ ـيَخُونُ)** فتلك الصفات هي من أشرِّ ما يُصيب الأشخاص ، ويتصدع بها البناء المجتمعي ، وقد اقتبسها **عليه السلام** من حديث النبيّ **صلى الله عليه وآله وسلم** الذي جمع فيه صفات المنافق في قوله:((**آية المنافق ثلاثٌ : إذا حدّثّ كَذَبَ ، وإذا وَعَدَ أخلف ، وَإِذا اؤتُمِنَ خَانَ**))[٢] ، ويلحظ أنّ النصّ العلوي المحكي قد ربط الألفاظ بـ (الفاء) الدالة على التعقيب ، دليل على أنّ قوله متبوع بالكذب مباشرة ، أو إنّه ينطق كذباً ، كذلك إذا وعد فسرعان ما يخلف وعده ، وإذا ائتمن خان أمانته[٣] ، وقد ساقها الإمام لبيان حقيقة مفادها ، إنّ من كانت هذه صفاته فقد ثبت فسقه ومن ثمّ سقوط زعمه وبطلان رأيه .

ثانيا : التضمين

في اللغة هو من ((ضمن الشيءَ الشيء : أودعه إيّاه ، كما تُودع الوعاء المتاع والميت القبر))[٤]، و((كل شي جعلته في وعاء قد ضمنّته إيّاه))[٥]، أمّا الاصطلاح فهو ((قصدك إلى

---

[١] نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، م (٨٣) : ١٤٦.

[٢] صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري : ١/ ١٦ .

[٣] ظ : الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة ، د . كاظم عبد فريح الموسوي : ٨٧ .

[٤] لسان العرب ، ابن منظور : ٢٥٧/١٣ .

[٥] الصحاح ، الجوهري : ٢١٥٥/٦ .

البيت من الشعر أو القسيم فتأتي به في أواخر شعرك أو في وسطه كالمتمثل))[١] ، وقد سمّاه بعضهم بالتلميح[٢] ، والغاية منه تقوية المعاني وتوكيدها لدى المخاطبين[٣] ، وقد يكون التضمين مباشرة ، أو يكون إشارة ؛ أي لا يكون تضمين اللفظ نصّه ، ولكن بلفظ يدلّ عليه ويتضمن معناه ، ويشكّل التضمين ملمحاً من ملامح التناص ، فأي نصٍّ لا يقوم بمعزل عن النصوص الأخرى ، فكلّ نصٍّ ((يتسرب إلى داخلِ نصٍّ آخر ، ليجسد المدلولات سواء وعى الكاتب بذلك أو لم يعِ))[٤] ، وسواءً أكانت النصوص شعرية أم نثرية ؛ لأنّ ((صانعي النصوص أنفسهم ليسوا سوى نتاج ثقافي لسياقات الموروث الأدبي ، وهم يكتبون من فيض ذلك المخزون الثقافي في ذاكرتهم كأفراد ، وفي ذاكرة اللاوعي الجمعي لمجتمعاتهم))[٥] ، إنّ ((للآثار الإبداعية أصولا أصولا تستقي منها أو تستند إليها ، أو توظّفها فنياً ، ومتى كانت تلك الأصول حية :عقيدة وتاريخاً وفلسفة ، فإنّ الآثار الإبداعية التي اتكأت عليها ستقرب من دائرة البقاء إنسانياً))[٦] ، وهذا ما يمثله نهج البلاغة الذي استقى ونهل من القرآن والسنّة فهو نصٌّ معطاء لا يقف عند حدود عصرٍ وزمنٍ ، فالنصّ العلوي يمثّل عبقرية صاحبه وعمق ثقافته ، وما نلحظه فيه من اقتباس وتضمين ماهو إلاّ دليل على عمق تلك ثقافة ، وهذا أمرٌ بيّنٌ فهو ابن القرآن وربيب النبوة ، لكن ثمّة سؤال عن سبب تضمينه تلك النصوص بالشعر والمثل ، وما الحاجة إليهما دام أنّ النصّين القرآني والنبوي قادران على بيان وكشف المعاني المراد بيانها ؟

---

[١] العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ابن رشيق القيرواني : ٨٤/٢ ، ظ: الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي :٣٠٩/٣ .

[٢] ظ : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : فخر الدين الرازي : ١٧٣ .

[٣] ظ: المثل السائر : ابن الأثير ٣٢٦/٢ .

[٤] الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية ، عبد الله محمد الغذامي : ٣٢٥ .

[٥] المرجع السابق : ٥٨ .

[٦] التناص في الشعر العربي الحديث ، حصة البادي : ٣٦.

إنّ معرفة الجواب تكمن بالرجوع إلى مكانة الشعر عند العرب ، فهو كان وما يزال ميدانهم الرحب ، ومضمارهم الصعب ، سجل تاريخهم ، ولسان حالهم ، ودليل ثقافتهم ، وحامل أفكارهم ، وباب في تمايزهم ؛ لذلك تضمينها ناتج عن إدراك الإمام((لقيمة الأثر الكبير للإشارات المباشرة أو غير المباشرة للشعر والمثل...باعتبارها إشارات كافية لاستثارة ذاكرة المتلقي ، واستصحاب الدلالة المصاحبة لها فور سماعها أو قراءتها))[١] ، لذلك كانت مسألة تضمين الشعر أو المثل طريقة من ضمن طرائقٍ توسلها الإمام في كلامه ؛ لأجل زيادة المعنى وكشفه للمتلقي بكلَّ السبل الممكنة ؛ لذا سيتناول هذا المحور التضمين على مستويين : التضمين الشعري ، وتضمين المثل.

١ـ التضمين الشعري

قيل إنّه ((لاشيء أسبق إلى الأسماع ، وأوقع في القلوب وأبقى على الليالي والأيام من مثلٍ سائر وشعرٍ نادر))[٢] ، وكلاهما نجده في نهج البلاغة ، باختلاف المساحة التي شغلها كلّ منهما ، فعلى الرغم من أنّ الشعر في النصِّ المحكي ، لم يكنْ له ذلك الحضور الذي لمسناه في غيره (الاقتباس القرآني والحديث النبوي) ، لكنّه قياسا بالمثل كان له مجاله الأوسع ، ونلمس في النص العلوي شكلين للتضمين الشعري : تضمين البيت الشعري بشكلٍ كاملٍ ، أو تضمين نصف البيت . وسنذكرها على النحو الآتي :

---

[١]) الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة ، د . كاظم عبد فريح الموسوي : ١٣٤ .

[٢]) كتاب الصناعتين ، أبو هلال العسكري : ١٣٧ .

أ _ تضمين البيت الشعري

إن التضمين الشعري أمر دأب عليه الشعراء ، واستحسنه البلاغيون ، وجعلوا من التضمين ما هو حسن وما هو قبيح ، وقد يأتي الشاعر على البيت فيضمّنه في شعره أو الشطر منه أو كلمة أو المعنى ، ولربّما أودعوا أشعارهم معاني المنثور من الكلام ، شريطة ألّا تعلو طبقته على المنظوم ، فإذا كان ((نقل المنثور إذا علت طبقتُه في البلاغة على المنظوم))[١] ، أمر مرفوض ، كذلك نقل المنظوم إلى المنثور إذا علت طبقته هو مرفوض أيضاً ؛ لأن ذلك يُعدّ قدحاً بمؤلف النص ، وموهبته ، إذاً مسألة التضمين هي رهينةُ مبدعِها وقدرته على استدعاء النصّ بشكل لا يزيد النصّ إلاّ وضوحاً ، وهذا ما نلمسه في الحكاية العلوية ، ذلك التلاحم بين النصّ المنثور والمنظوم ، وكأن المنظوم يشدُّ من عضُد الحكاية في إظهار المعاني وإيصال الدلالات للمتلقي بشكل أقوى ، فما جاء من تضمين البيت في النص المحكي قوله (عليه السلام) ردّاً على حكاية بلغته بدخول بُسر بن أرطاة اليمن : ((**أُنْبِئتُ بُسْراً قَدْ اطَّلَعَ الْيَمَنَ ... اللَّهُمَّ مِثْ قُلُوبَهُمْ كَمَا يُماثُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ ، أَمَا وَاللهِ لَوَدَدْتُ أَنَّ لي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ بَني فِرَاسِ بْنِ غَنْمٍ .**

هُنَالِكَ لَوْ دَعَوْتَ أَتَاكَ مِنْهُمْ فَوَارِسُ مِثْلُ أَرْمِيَةِ الْحَمِيـــــــــمِ[٢]))[٣]

ويمكن ملاحظة الوشيجة القوية بين معنى الحكاية العلوية والنص المتضمن الذي تطلّب استدعاءه دون سواه ، فهو الأقرب في بيان المقصود ، إذ سبقه دعاء له عليه السلام (فأَبْدِلني بِهِمْ

---

[١]) مواد البيان ، علي بن خلف الكاتب : ٤٧ .

[٢]) البيت لأبي جندب الهذلي ، شرح أشعار ديوان الهذليين : ٣٦٣ .

[٣]) نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، خ (٢٥) : ٨١.

خَيْراَ مِنْهُمْ)[١] ، فتمنّى إنّ مَن يكون عوضاً عن قومه ، صفاتهم كصفاتِ ((الفوارس الذين أشار إليهم الشاعر في المبادرة والاجتماع على دفع الضيم ونصرة حقّهم))[٢] ، وخصَّ بني غنم[٣]؛ لأنّهم حاملون لتلك الصفات ، فهم مسرعون لمن يدعوهم ويستغيث بهم [٤] ، وهذا أقوى توبيخاً وأشد تقريعاً لهم على تقاعسهم عن نصرة الحقّ ، فهذا التضمين الشعري قد أضاء الحكاية بمزيد من الدلالات التي تجعل المخاطبين يُدركون إلى أي حدٍّ وصل بهم الضعف حتّى تمنّى الإمام غيرهم ، فهذا التقاعس عن حقّهم هو الذي جعل لمعاوية الجرأة على إدعاء الحكم .

نظيره قوله (عليه‌السلام) الذي ورد في جملة كلام له ردّاً على حكاية بلغته عن عامله عثمان بن حُنيف حين دُعي إلى مأدبة : ((**أَمَّا بَعْدُ، يَا بْنَ حُنَيْفٍ : فَقَد بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتيَةِ أهلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إلى مَأْدُبةٍ فأسْرَعْتَ إلَيْها تُسْتَطَابُ لَكَ الْألوانُ ، وَتُنْقَلُ إلَيْكَ الجِفَانُ ... هَيْهَاتَ أنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي إلى تَخَيُّرِ الْأَطْعِمَةِ _ وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ في الْقُرْصِ ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بالْشِّبَعِ _ أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى ، وَأَكْبَادٌ حَرَّى ، أَوْ أَكُونَ كَما قَالَ الْقَائِلُ :**

وَحَسْبُكَ عَاراً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحنُّ إلى الْقِـدِّ [٥]))[٦]

---

[١] نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، خ (٢٥) : ٨١.

[٢] شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٣٥/٢ .

[٣] بنو فراس بن غنم بن ثعلبه بن مالك بن كنانة عُرفوا بالشجاعة ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ٢١٧/١.

[٤] ظ : الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة ، محمد الغروي : ٥٤١ .

[٥] البيت منسوب إلى حاتم بن عبد الله الطائي الجواد وهو من (البحر الطويل)، وقد رويت كفى بك داءاً ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ١٦ /٣٧٠ .

[٦] نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، ك (٤٥) : ٥٥٣_ ٥٥٥ .

وقوله: (مبطاناً) ؛ أي ممتلئ البطن كأنّ همه بطنه ، وبذكر(أبيت) إشارة إلى الليل الذي يكون فيه احتمال الفقراء الجوع أكثر[١] ؛ لذا ينفي الإمام عن نفسه أن يكون تحت قياد هواه ، وأن يكون رهين الجشع الذي يوجُب الاستمتاع بالدنيا عن طريق طلب ملذاتها ، فيستبعد عنه تخيّر الطيّبات فليس مثله من يبيت مبطاناً وحوله أناس في بلاد المسلمين ، يكون عندهم القرص شيئاً صعب المنال ، ومن ثمّ لا عهد لهم بالشبع ، لذا نلحظ استدعاء هذا البيت ؛ لغرض ((التنفير عن العار اللازم عن الاستمتاع بالطيّبات مع وجود ذوي الحاجة إلى اليسير من الطعام))[٢] ؛ ولكونه حاملاً للمعنى ذاته فيكون وسيلة من وسائل التوكيد التي يتوسلها الإمام لبيان ما يريد بيانه للمتلقي .

ب_ تضمين شطر البيت الشعري

جاء في النصّ المحكي تضمين الإمام لشطر البيت ، والتضمين الشعري عند الإمام سواء للبيت بشكل كامل أو للشطر منه ، كان تضميناً حرفياً أو مباشراً ، فما جاء من تضمينه لشطر البيت ، قوله(عليه‌السلام) رداً على حكاية معاوية التي اتهمه فيها بحسده للخلفاء : ((**وَزَعَمْتَ أَنَّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ وَعَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتُ ، فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذلِكَ فَلَيْسَتِ الْجِنَايَةُ عَلَيْكَ ، فَيَكُونَ الْعُذْرُ إِلَيْكَ .**

وَتِلْك شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا [٣]))[٤]

---

[١]) ظ : توضيح نهج البلاغة ، السيد محمد الحسيني الشيرازي : ٤/ ١١٤ .

[٢]) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ١٣٩/٥ .

[٣]) البيت لأبي ذؤيب الهذلي (الطويل) ، صدره : وعيّرها الواشون أنّي أحبُّها وتلك شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُها ، ديوان الهذليين ، القسم الأول : ٢١ .

[٤]) نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، ك (٢٨) : ٥١٥.

لقد شاع هذا الشطر من البيت وذهب مذهب المثل بين الناس ، ويقال : ((ظهر عني العيب إذ ارتفع عنك ولم ينلك منه شيءٌ))[١] ، فالوشيجة بين النصّ المُضَمن والمعنى المراد نقله بيّنه ، فعلى فرض صحة اتهام معاوية للإمام ، بأنّه حسد الخلفاء وبغى عليهم ، فلا يلحقه من هذا الأمر عاره ، وينالـه نقصه ؛ لبعده عنه .

وفي الحكايةِ نفسها يردُّ الإمام على معاوية الذي اتهمه بقتل عثمان بقوله (عليه السلام) : ((**ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كان مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمَانَ ... وَمَا كُنْتُ لِأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَاثاً ؛ فَأَنْ كانَ الذَّنْبُ إِلَيهِ إِرْشَادِي وَهِدَايَتِي لَهُ ؛ فَرُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ .**

وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظَّنَّـةَ الْمُتَنَصِّحُ [٢]))[٣]

والظّنّة : ((التهمة والمتنصّح : المبالغ بالنصح لمن لا ينتصح))[٤] ؛ وهو مثل يضرب لمن يبالغ في نصيحة شخص حتى يُتهم بأنّه يريد حظاً لنفسه أو أنّه غاش[٥] ، كذلك عليه السلام في نصحه عثمان بالغ في إرشاده وهدايته حتى أُتهمَ أنّه يريد شيئا لنفسه فبدا نصحه له كأنّه تأليب عليه ، ثمّ أوضح الإمام أنّ مبالغته له في النصح كانت لأجل الإصلاح ، لاسيّما إنّ خلافة عثمان شهدت اضطراباً كبيراً .

---

١) منهاج البراعة ، حبيب الله الخوئي : ١٩/ ٩٩ .

٢) البيت لأكثم بن صيفي(الطويل) ، صدره : وَكَمْ سَقَتْ في آثَارِكُم مِنْ نَصِيحَةٍ وَقَد يَسْتَفِيدُ الظَّنَّةَ الْمُتَنَصّحُ
جمهرة الأمثال ، العسكري : ١٦١/٢ .

٣) نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، ك (٢٨: ٥١٦_ ٥١٧.

٤) الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة ، محمد الغروي : ٥٥٠ .

٥) ظ : شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٤/ ٥٣٠ .

فدلالة هذا الشطر وترابطها مع كلام الإمام سبب في استدعائه ، لتوكيد وتوضيح حقيقة للمتلقي تمحورت حول لفظ (المتنصّح) التي أعطت تصوراً عن موقف الإمام من مقتل عثمان.

ونلحظ في الحكايتين السابقتين تضمين الإمام للشطرين الأخيرين من البيت ، أمّا في الحكاية الآتية فقد كان التضمين للشطر الأول منه ، كما في ردّه على حكاية معاوية حين هدده بالحرب قائلاً : ((**وَذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلِأَصْحَابِي عِنْدَكَ إِلَّا السَّيْفُ ، فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ! مَتَى أَلْفَيْتَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عِنِ الْأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ ، وَبِالسَّيْفِ مُخَوَّفِينَ ، فَ**

لَبِّثْ قَلِيلاً يَلْحَقِ الْهَيْجَا حَمَلْ [١]))[٢]

وأصل البيت ((أنّ مالك بن زهير توعد حمل بن بدر فقال (لبث قليلا يلحق الهيجا حمل) ثمّ أتى وقتل مالكا ، فصار مثلا يُضرَبُ للوعيد بالحرب))[٣] ، فساقه الإمام هنا لمطابقته مقام الحال ، أي وعيد معاوية له بالحرب ، ومع علم معاوية اليقيني بأنّ بني عبد المطلب لا يهابون الموت ولا يضّرهم وعيد من وعدهم به ، إلاّ إنّ هذا التضمين لشطر البيت قد زاد الحكاية وضوحاً بما أضفاه من دلالة ، تجعل المخاطب إزاء موقف يتسم بالشدة والصلابة ، فيحمله على اخذ الحيطة والحذر والنظر والتفكر .

---

[١]) حمل هو ابن بدر رجل من قشير أُغير على أبله في الجاهلية فاستنقذها وقال :

لبّث قليلا يلحقِ الهيْجا حمل لا بأس بالموتِ إذا الموتُ نزل

البيت من (الرجز) ، شرح نهج البلاغة ،ابن ميثم البحراني : ٤/ ٥٣١.

[٢]) نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، ك (٢٨) : ٥١٧.

[٣]) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، محمد تقي التستري : ٩/ ٤١٣ .

٢ـ تضمين المـثـل

شغل المثلُ مكانة كبيرة في حياة العرب ؛ لأنّه يجمع ما لا يجمعه غيره من الكلام ففيه ((إيجاز لفظ ، وإصابة معنى ، وحسن تشبيه ، وجودة كناية فهو نهاية البلاغة))[١] ، إضافة إلى ما يشتمل ((عليه من مقاصد تنفذ إلى أعماق الجوانب الإنسانية بعد أن يرسخ قوائمه في الأذهان، فيفصح المضمون عن معاني التقرير والترغيب والاعتبار والزجر والثواب والعقاب))[٢]، و كانت العرب تضع الأمثال ((لأسباب أوجبتها، وحوادث اقتضتها ، فصار المثل المضروب لأمرٍ من الأمور عندهم كالعلاقة التي يُعرف بها الشيء وليس في كلامهم أوجز منه ولا أشدّ اختصاراً))[٣] ، والمثل في اللغة مأخوذ من ((الشبه ، فيقال: مِثل ومَثَل ، شِبه وشَبه بمعنى واحد))[٤] ، أمّا في الاصطلاح فقد تعددت التعريفات منها أنّ المثل ((تشبيه سائر و تفسير السائر أنّه يكثر استعماله على معنى أنّ الثاني بمنزلة الأول))[٥] ، والأمثال تحكى ؛ أي إنّها ((تضرب على ما جاءت عن العرب ولا تُغيّر صيغتها))[٦] ، وللمهمة الكبيرة التي يؤديها المثل ؛ ولأنّه مظهر من مظاهر ثقافة العرب ، نلمس حضوره الكبير في القرآن الكريم ، فكان وسيلةً كُشِفَ عن طريقها كثير من خبايا النصّ القرآني ، وحقائقه ؛ ولأن النصَّ العلوي هو نبع يستقي من فيض كتاب الله ؛ لذا نرى الإمام تتبع خطى القرآن وأسلوبه في توسل المثل كطريقة للإفهام

---

[١]) مجمع الأمثال ، أبو الفضل الميداني : ١/ ١٣ .

[٢]) مكانة الأمثال في الأدب العربي ، السيد إسماعيل حسيني(بحث منشور) ، فصلية دراسات الأدب المعاصر ، عدد ٣ : ٢٦.

[٣]) المثل السائر ، ابن الأثير : ٤١/١ .

[٤]) لسان العرب ، ابن منظور، مادة (شبه) : ٦١٠/١١ .

[٥]) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، فخر الدين الرازي : ١٣٢.

[٦]) جمهرة الأمثال ، أبو هلال العسكري : ١/ ٧١ .

والبيان . وعلى الرغم من أنّ المثل شغل مساحة كبيرة في النصوص العلوية ، إلاّ إنّ تلك المساحة تراجعت بشكل ملحوظ في النص المحكي ، فقد ورد المثل ثماني مراتٍ تجلى أكثرها في نصّين محكيين ، منه قوله (عليه السلام) ردّاً على حكاية بعض أصحابه التي يدّعون فيها قتال العدو: ((**تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ : كَيْتَ وَكَيْتَ ، فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ : حِيدِي حَيَادِ ... الْمَغْرُورُ وَاللهِ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ ـ وَاللهِ ـ بِالْسَّهْمِ الْأَخْيَبِ ، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ**))[١] .

والسهم الأخيب هو أحد سهام الميسر لا غنم له [٢] ، وخصّه بالذكر لكثرة خسارته، وتشبيههم به هو لبيان ضعفهم وعجزهم ، فمن يتخذهم عدة في الحرب يكون كمن يرمي(**بأفوق ناصل)** والناصل ((السهم الذي سقط نصله ، والأفوق الذي انكسر فوقه ، وفيه يضرب المثل لمن رجع عن مقصده بالخيبة أو بما لا غناء فيه))[٣] ، وتضمين المثل بعد التشبيه بالسّهم الأخيب ، هو توكيد لحالهم ، وتقرير لعدم نفعهم .

المثل في كلام الإمام يتجاوز البنية الشكلية والزخرفة اللفظية ، فهو يحمل غايات دلالية يهدف عن طريقها إلى بيانها، مثل قوله(عليه السلام) رداً على حكاية معاوية حين فاضل بينه وبين غيره من الخلفاء : ((**وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الإِسْلامِ فُلانٌ وَفُلانٌ ... وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ ، وَالْسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ! وَمَا لِلطُّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ ، وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِين**

---

[١] نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، م (٢٩) : ٩٠ .
[٢] ظ : شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٢/ ٧٥ .
[٣] مجمع الأمثال ، أبو الفضل الميداني : ١/ ٤٤٧ .

الْأَوَّلِينَ وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ ، وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ ! هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا ... أَلا تَرْبَعُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَلَى ظَلَعِكَ ، وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ))[١] .

يتجلى في النصِّ العلوي المحكي ، مدى التلازم والتلاحم بين المعاني المُراد بيانها وبين المثل ، وكأن تلك المعاني تترتب في شكّلٍ هرمي يُمثّل المثَلُ قمته ، وهو قوله عليه‌السلام : **(حَنَّ قِدحٌ لَيْسَ مِنْهَا)** ، والقداح هو ((أحدُ قِداح الميسر ، إذا كان احد القداح من غير جوهر أخوته ثمّ أجاله المفيض خرج منه صوت يخالف أصواتها ، فيُعرَفُ به أنّه ليس من جملة القداح))[٢]، وهو مثل يُضربُ لمن يدخل في جماعة من القوم وهو ليس منهم[٣] ، فالمثل هنا يعطي صورة تُجسّد بعد المخاطب عن الأمر وصغير منزلته وقصوره في معرفة الفاضل من المفضول ، لاسيّما أنّه جاء في سياق الاستفهام الدّال على التحقير والإنكار المتمثل في قوله : **(وَمَا لِلطُّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ)** ، فهي عبارة تشير إلى شمولهم بعفو النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلّم بعد فتح مكة ؛ أي لم يكونوا من المهاجرين الأوائل حتى يعرفوا تمييزهم وترتيبهم في مراتب .

ثمَّ يورد مثلاً آخر لبيان الصورة أكثر ، بدا وكأنّه ضرب لأوتاد تلك المعاني التي ساقها، فجعلها عالقة وشاخصة في ذهن المخاطب وتمثل هذا بقوله :(**ألا تَرْبَعُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَلَى ظَلَعِكَ وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ)** ، ويقال: ((ظلع البعير إذا غمز في مشيه ومعنى المثل تكلف ما لا تطيق ؛ لأنّ الراقي في سلَّمٍ أو جبلٍ إذا كان ظالعاً فإنّه يرفق بنفسه ، فيُضرب به المثل لمن يتوعَّدُ فيقال له : اقصد بذرعك ، وأرْقَ على ظلعك ؛ أي لا تُجاوز حدّك وأبصر نقصك وعجزك

---

[١]) نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، ك (٢٨) : ٥١٣.

[٢]) مجمع الأمثال ، أبو الفضل الميداني : ١/ ٢٨٩ .

[٣]) ظ : جمهرة الأمثال ، أبو هلال العسكري : ١/ ٣٧٠ .

عنه))[١] ، وهذا ما ينطبق على حال معاوية الذي تصدى لأمر لا يطيقه ، دون أن يلتفت إلى قصوره ونقصه .

وفي الحكاية نفسها يورد الإمام عليه‌السلام مثلاً آخر في قوله:((**وَلَوْلا مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ ، لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً ، تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤمِنِينَ، وَلَا تَمُجُّهَا آذانُ الْسَّامِعِينَ، فَدَعْ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ**))[٢] .

والرّميّة : الصيد الذي يرميه الصائد ، والأصل ((إنّ الرجل يقصد قصداً فيعرض له الصيد فيتبعه فيميل به عن قصده الأصلي))[٣] ، فصار مثلا ((يُضربُ لمن تميل به عن الحقّ أغراضه الباطلة))[٤] ، ففي الفعل **(دَعْ)** أمر بترك من مالت به ((الدنيا وانحرفت به عن الاستقامة والعدل كعمرو بن العاص وغيره))[٥] ، ويرى ابن أبي الحديد أنّها إشارة إلى عثمان [٦]، وربّما الرأي الراجح هو قصده الخلفاء لما ذُكِرَ من تفاضل بين الإمام وبينهم . فهذان المثلان كشفا كثيراً من خفايا الحكاية الدلاليّة ، فكانا متممين للمعنى الذي أراد الإمام رفع الستار عنه .

ثالثا : الاستشهـاد

يرى البلاغيون أنّ التنويه بذكر اسم قائل النصَّ ، هو خارج من باب الاقتباس ، وداخل في باب الاستشهاد ، ولا تخفى أهمية الاستشهاد في إثبات المعاني فهو يؤتى به ((لإقامة الحجة

---

[١] مجمع الأمثال ، أبو الفضل الميداني : ١/ ٤٤٥ .
[٢] نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، ك (٢٨) : ٥١٤ .
[٣] شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٥٠٠ .
[٤] منهاج البراعة ، حبيب الله الخوئي : ١٩/ ٩٨.
[٥] شرح نهج البلاغة ، السيد عباس الموسوي : ٤/ ٢٣٤ .
[٦] ظ : شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ١٥/ ١٩٢ .

،وقطع النزاع ، وإرغام الخصم))[١] ، وهو في اللغة مأخوذ من ((شَهِدَ: فهو يدل على حضورٍ وعِلمٍ وإعلام))[٢] ، أمّا في الاصطلاح هو ((أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول والحجة على صحته))[٣]، ويقع الاستشهاد في ((الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأبيات الشعرية ، والخطب والمقالات والأمثال والأقوال المأثورة وما إلى ذلك من شعر ونثر، وهكذا فإنّ الاستشهاد كلمة ذات معنى أعمّ من معاني التمثيل والاقتباس))[٤] والاقتباس))[٤] ، واختلف الشاهد وتعدد بتعدد المجالات التي يأتي بها ، وما يهمنا منها هو الشاهد البلاغي ، الذي يأتي به أرباب هذه الصناعة لبيان الجيد والرديء من المعاني أو ما حسن واستقبح من الصور البيانية ومدى استحسانها واستقباحها لدى المتلقي[٥] ، ويستمد الشاهد أهميته من الشاهد نفسه إذا كان من كلام الله أو حديث النبيّ **صلى الله عليه وآله وسلّم** فلهما من القدسية والروحية ما ليس لغيرهما من الشواهد ، إذ يفتحان أبواباً من التجاذب والتقارب بين المتكلم والمتلقي ، كذلك من ناقل الشاهد ومكانته التي تضفي سمة الفاعلية والتقبّل بين طرفي الخطاب [٦] ، وهو بعد ممّا يزيد من قوة النصّ وتماسكه ، ويعمق من دلالاته ، والاستشهاد داخل النصِّ العلوي يمثّل حلقة وصل محكمة تربط بين أجزائه فيخرج نصٌّ محكم الأصول ، قوي البناء تتعالق فيه المعاني وتترابط لإظهار فكرة صاحبه ، وهو بعد ظاهرة بارزة في النصوص العلوية لاسيّما الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وعلى الرغم من شيوعها إلاّ إنّها بدت ظاهرة

---

[١] نهاية الأرب في فنون الأدب ، شهاب الدين النويري : ٧/ ٢٩ .

[٢] مقاييس اللغة ، ابن فارس : ٣/ ٢٢١ .

[٣] كتاب الصناعتين ، أبو هلال العسكري : ١/ ٤١٦ .

[٤] معجم الاستشهادات ، د، علي القاسمي : ١٩ .

[٥] ظ: الاستشهاد بالشعر وأهميته ، د. مسعود غريب (بحث منشور) ، مجلة الأثر ، عدد ٢٦ ، ٢٠١٦، ص: ص: ١٩٣.

[٦] معجم الاستشهادات ، د . علي القاسمي : ٢٨ .

نادرة في نصوص الحكاية ، فلم يرد الاستشهاد إلاّ في موضعين ، تجلى في أحدهما نصّان من القرآن الكريم هو قوله (عليه‌السلام) ردّاً على حكاية معاوية بشان مفاضلته مع غيره من الخلفاء: ((**وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الإِسْلامِ فُلانٌ وَفُلانٌ ... فَإِسْلامُنَا ما قَدْ سُمِعَ ، وَجَاهِلِيَّتُنَا لَا تُدْفَعُ ، وَكِتَابُ اللهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا ، وَهو قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ﴾**[١]، **وَقَوْلُهُ تَعَالى﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بإبراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهذا النَّبيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤمِنِينَ﴾**[٢]، **فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بالْقَرَابةِ ، وَتَارةً أَوْلى بِالطَّاعَةِ**))[٣].

في كثيرٍ من مواضع هذه الحكاية ، نلحظ ذكر الإمام فضائل أهل بيته عليهم‌السلام ، بشكل متسلسل ، تارة على نحو التفصيل ، وتارة على نحو الإجمال ، وهذا التفصيل والإجمال تسوقه غايات ، تصل قمتها عند هذا الجزء من الحكاية ، الذي ربطه الإمام بنصين من القرآن ، جاء بهما للاستدلال على أمرين هما : (القرابة _ الإمامة) .

فالنصّ القرآنيّ الأوّل **(وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ)** ساقه شاهداً على صدق ما ادّعاه من قربه من النبيِّ حين قال : ((منَّا النبيُّ))[٤] ، فإذا كان القرآن الكريم جعل أولي الأرحام بعضهم أولى ببعضٍ ، فهو إذاً أولى بالنبيِّ ؛ لكونه أخصَّ أولي الأرحام به ، لقربه منه وعلى هذا يكون الأحقَّ في القيام مقامه ، هذا من جهةِ إثبات القرابة .

---

[١]) سورة الأنفال ، آية : ٧٥ .

[٢]) سورة آل عمران ، آية : ٦٨ .

[٣])نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، ك (٢٨) : ٥١٣_ ٥١٥ .

[٤]) المصدر نفسه ، ك (٢٨) : ٥١٤

أمّا من جهة إثبات الإمامة ، فنلحظ أنّ النصّ القرآني الذي جاء به الإمام كشاهد لإثبات حقّهم هو قوله تعالى : (**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإبراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهذا النَّبيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤمِنِينَ)** ، ووجه الاستدلال بالنصِّ القرآني أنّه لمّا أقرَّ القرآن إنّ الأولى بإبراهيم هم الذين اتبعوه ، ولا يكون الإتّباع إلاّ بعد التصديق والإيمان ، فكان **عليه السلام** أولى بالنبيِّ ؛ لأنّه ((كان أقرب الخلق إلى إتّباع رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلّم** ، وأول من آمن به وصدّقه وأفضل من أخذ منه الحكمة وفصل الخطاب ، وكلّ من كان كذلك فهو أولى بخلافته والقيام مقامه))[١] ، فجمع لهم القرآن الكريم ما لم يجمعه لغيرهم ، فكانوا الأولى بالنبيَّ **صلى الله عليه وآله وسلّم** مرةً من جهة القرابة ، والأخرى من جهة الطاعة .

فعند هذين النصّين العظيمين من القرآن تشخص الغاية من تسلسل تلك الفضائل ، فالاستشهاد هنا أدّى مهمة جليلة ، فقد كان الدليل الدامغ ، والبرهان القاطع ، والحجة التي لا يردها رادٌّ، فيخضع لها المتلقي فلا يقوى على تفنيدها .

خامساً_ المذهب الكلامي

إنّ المنبع الذي ينتمي إليه هذا الفن هو علم البديع ؛ لكنَّنا ارتأينا دراسته هنا لما تجلّى فيه من قدرة كبيرة للإمام **عليه السلام** في الاستدلال بالنصوص القرآنية والأحاديث النَّبوية ؛ للردّ على

---

[١]) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ٤/ ٥٢٧ .

مزاعم الكثيرين وأبطالها متتبعاً في ذلك خطى القرآن الكريم[١] ، فتفاعل تلك النصوص داخل النصّ العلوي الاستدلالي كانت السبب في نقل هذا الفن الكلامي هنا .

ظهر المذهب الكلامي في شكله البسيط القائم على أساس النقاش والاختلاف في الرأي في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني، وما أن نطلَّ على القرن الثالث والرابع[٢] حتى بدأت تتشكل فيه الفرق والمذاهب وتصبح لها آراؤها وأفكارها، والمقصود منه ((أن يوردَ المتكلم حجةً لما يدعيه على طريقة أهل الكلام ، وهو أن تكون بعد التسليم بالمقدمات مستلزمة للمطلوب))[٣]، وأهل الكلام ((علماء أصول الدين وسُمّوا بذلك ؛ لأنهم أول من تكّلم في كلام الله))[٤] ، وطريقة المتكلمين هي الطريقة الجدلية ، وهذا يفترض وجود قضية ما ، المراد إثباتها ، وللإثبات يحتاج المتكلم إلى أدلة إقناع ، تتسلسل تلك الأدلة للوصول إلى المطلوب ، وعلى هذا يجب أن يكونَ المتكلم ذا ثقافة عالية ، حتى يتمكن من إقناع المخاطَبين الذين يجب أن يكون على علمٍ بأحوالهم ومستوياتهم ، ولا نجدُ ذلك إلاّ في صنو النبيّ الأعظم **صلى الله عليه وآله وسلّم** فقد كان الإمام **عليه السلام** بعد وفاة النبيّ الباب الذي يُطرق للسؤال عن أي مسألة علمية أو دينية ، فكان يردُّ على أسئلة السائلين من المسلمين وغيرهم ، ويبطل حجج من يحتجّ بالبراهين القاطعة والأدلة الدامغة ، وإن تنوعت أساليبه **عليه السلام** في الاستدلال فهذا التنوع مردَّه إلى مراعاته للمستوى الفكري والثقافي والاجتماعي للمخاطبين ، وقد ورد المذهب الكلامي في الحكاية بأكثر من

---

١) كقوله تعالى :{ **مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُم عَلَى بَعْضٍ}**، سورة المؤمنون ، آية ٩١. ظ : سورة الأنبياء ، آية ٢٢ .

٢) مدخل إلى دراسة علم الكلام ، د. حسن الشافعي : ٤٥_٤٦.

٣) معجم المصطلحات البلاغية ، بدوي طبانة : ٢٣١.

٤) جوهر الكنز ، ابن الأثير الحلبي : ٣٠٢.

موضع اختلفت طرقه في عرض القضية والردّ عليها بحسب الموضوع ، فمّما جاء منه قوله (عليه السلام) رداً على حكاية من أنكر وجود الخالق :

((**زَعَمُوا أَنَّهُمْ كالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ ، وَلَا لِاخْتِلافِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ . وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا ، وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا أَوْعَوا . وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ منْ غَيْرِ بَانٍ ، أَوْ جِنَايَةٌ منْ غَيْرِ جَانٍ**))[١] ،

يقسّم المتكلمون ماهو موجود إلى : ممتنع الوجود ، والممكن ، و الواجب ، فالممتنع هو إيجاد المعلول بدون علّة ، والممكن ما كان محتاجاً في وجوده إلى علّة إيجادٍ ، أمّا الواجب هو ما كان موجوداً لذاته لا يطرأ عليه العدم وهو الله **جلّ وعلا** ، فكلام المنكرين الوارد في الحكاية العلوية ، يدور حول مدار الممتنع ، حيث أنكروا العلّة الحقيقة في وجودهم وهو الله ، وما استدّل به الإمام يدور حول مدار الممكن والواجب ، كما قُسّمت الأدلة في أثبات الخلق على نوعين : الاستدلال على وجود الله بالآثار والشواهد ، والاستدلال بالأدلّة الفلسفية ، واستدلال الإمام هو من النوع الأول حيث اتخذ من عملية الخلق والإيجاد من العدم ، قاعدة ينطلق منها ، وهذه القاعدة أشار إليها القرآن الكريم ، في قوله تعالى ﴿ **وَمِنْ آيَاتِه خَلْقُ السّمواتِ والأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ** ﴾[٢] ، وقد سار الإمام على نفّس النهج القرآني في إثبات الخالق ، ففي قوله :

_ اختلاف صورهم ، دليل قوي على وجود خالق قدير ، فهذا الاختلاف الذي امتاز به الإنسان دون الحيوان ، لمّا احتاجوا إلى معرفة بعضهم بعضاً وتمييز بعضهم عن بعض ، فلو

---

[١]) نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، خ (١٨٥) : ٣٦١.

[٢]) الروم : آية ٢٢.

تدّبروا في اختلاف صورهم وتباين ألسنتهم وتمايز أصواتهم ، وتشابههم في كونهم محلا للحوادث من مرض وصحة وشباب وهرم ، وحياة وموت ، لأدركوا أنّ هذا لم يحدثْ اعتباطا ولم يجيء صدفة ، وإنّ وراءَه مدّبراً دلَّ ((**على قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ ، و بِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى وجُوُدِهِ ، وبِاشْتِباهِهِم عَلَى أَنْ لا شَبَهَ له**))[١] ، فخلق الإنسان والكون بهذا النظام المحكم المتقن الصنع، محال أن يكون محض صدفة ، فالحجة التي جاء بها الإمام **عليه السلام** لإبطال دعوى إنكار الخالق هي قوله :(**وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ منْ غَيْرِ بَانٍ ، أَوْ جِنَايَةٌ منْ غَيْرِ جَانٍ)** وهنا الاستفهام على سبيل الإنكار ، فإذا امتنع قيام بناية من دون وجود بانٍ لها ، أو حدوث جناية من دون وجود جانٍ أحدثها ، فكيف بهذا الكون ؟!

فهذا النظام الكوني الدقيق الصنع ، يفضي إلى علّة حقيقية أوجدته ، وألّا فإنّ تسلسل العلل دون علّة حقيقية باطل ، فهؤلاء المنكرون لو تدبروا وتفكروا في تلك الآثار والشواهد الشاخصة ، لوصلوا إلى علّة الوجود الحقيقية .

لا يقتصر الاستدلال في المذهب الكلامي على الأمور التوحيدية ، وإنّما قد يتناول أمور فرعية في الدين مثل الأحكام وغيرها من المسائل[٢] ، مثل قول الإمام (عليه السلام) محتجاً على الخوارج حيت اتهموه بالضّلال : ((**فإنْ أَبَيْتُمْ إلاّ أنْ تَزْعُمُوا أَنَّي أَخْطَأتُ وَضَلَلْتُ فَلِمَ تُضَلِّلُونَ عَامَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ _صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وسلم _ بِضَلالي ... وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ الله _صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وسلم _ رَجَمَ الزَّانِيَ المُحْصَنَ ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ، ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ .وَقَتَلَ الْقَاتِلَ وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ . وَقَطَعَ السَّارِقَ وَجَلَدَ الزَّانِيَ غَيْرَ المُحْصَنِ ، ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفَيءِ ،**

---

[١])نهج البلاغة الإمام علي (عليه السلام) ، خ (١٨٥) : ٣٥٧.

[٢]) ظ : ما هو علم الكلام ، الشيخ علي الربّاني الكلبيكاني : ٣٠ .

وَنَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ ، فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ اللهِ_ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ_ ، بِذُنُوبِهِمْ ، وَأَقَامَ حَقَّ اللهِ فِيهِمْ ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الإِسْلَامِ ، وَلَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ))[١] .

إنّ ما صدر عن النبي الأعظم **صلى الله عليه وآله وسلّم** هو تطبيق لما في القرآن من أحكام، بيد أنَّ السؤال الذي قد يرد هنا هو : لماذا لم يحتجّ الإمام مباشرة بالقرآن ، واحتجّ بفعل النبيّ ؟

لعلّ مرجع ذلك هو :

_ إنّ الطرف الآخر من النزاع هم من الخوارج ، وهم ممن يأخذ بظاهر القرآن من دون تدّبر، إضافة لمعتقداتهم الباطلة ، فهم يرون أنّ كلَّ من أرتكب ذنباً فهو كافر على وجه الإطلاق ولا يفرقون بين ذنب وآخر ، بل يعدّون حتى الخطأ في الرأي كفر[٢] ، وهذا ما دفعهم إلى تكفير الإمام واتهامه بالضّلال .

فاحتجاج الإمام **عليه السلام** بما صدر عن النبيِّ **صلى الله عليه وآله وسلّم** من تطبيق لأحكام الله المتمثلة بمعاقبة الزاني برجمه ، وقتل القاتل لجرمه ، وقطع يد السارق لسرقته ، وجلد الزاني غير المحصن ، هي مما لا ينكره منكر ولا يرده رادٍ ؛ لأن تطبيق تلك الأحكام إنّما يكون على مرأى ومسمع من الناس ، ففعل النبيّ حجة ، فعلى الرغم من ارتكابهم لتلك الذنوب لم يخرجْهُم النبي من دائرة الدين وحظيرة المسلمين ، بدليل أنّه ورّثهم ميراث أهلهم ، وساواهم بالعطاء ، وتزوجوا من المسلمات .

---

[١]) نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، م (١٢٧) : ٢٤٤_ ٢٤٥.

[٢]) ظ : الخوارج تاريخهم _فرقهم_ عقائدهم ، د. احمد عوض أبو الشباب : ١٩٧.

فعليه يكون وجه الاستدلال هو: لو كان فعل (الزاني _السارق_ القاتل) يُعدُّ كفراً لأمر الله بقتلهم ، وطبق النبيّ أمر الله ، فليس هناك من هو أحرص من النبي الأعظم **صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلّم** على تطبيق شرائع الدين وتعاليم القرآن .

فاتخذ **عليه‌السلام** من فعل النبيّ دليلاً وحجةً ، فعلى فرض المحال أنّه أخطأ بقبوله التحكيم ، الذي جرّوه إليه عنوة ، فهذا لا يخرجه عن الدين ، فما صدر منه لو أُعتِبر ذنباً فهو ليس بمستوى تلك الذنوب التي عاقب عليها النبيّ **صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلّم** ، وعليه لا يصحّ بأي حال من الأحوال تكفيره وتضّليله .

نظيره قوله (**عليه‌السلام**) ردّاً على حكاية من اتهمه بالكذب : ((**وَلَقَدْ بَلَغَني أَنّكُمْ تَقُولُونَ : عَليٌّ يَكْذِبُ ، قَاتَلَكُمُ اللهُ تَعَالَى ! فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ ؟ أَعَلَى اللهِ ؟ فَأَنا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ ! أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ ؟ فَأَنا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَ به**))[1] .

اختلفت طريقة استدلال الإمام **عليه‌السلام** في هذا النصِّ عن سابقه ، ففي النصّ السابق كان الكلام موجّه للخوارج ، أمّا في النصّ الذي بين أيدينا فهو موجه للمنافقين ، وهم أشدّ خطراً من الخوارج ، لما يُظهرونه من خديعة ومكر فقد عبّر عنهم القرآن الكريم بالعدو ، في قوله تعالى : ﴿ **هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ** ﴾[2] ، فبطبيعة الحال تختلف طريقة الاستدلال باختلاف المخاطب ، وأيضا باختلاف الموضوع ، الذي يضرب في صميم الإيمان ، فمجمل القضية أنّ المنافقين كانوا يتّهمون الإمام بالكذب ، بسبب ما كان يخبرهم عنه من أمور غيبيّة ، كان بعضهم لا يعقلها ، لذلك نلحظ في استدلال الإمام البدء بذكر الإيمان دون الإسلام ؛ أي قال (أول من آمن وليس

---

[1] نهج البلاغة الإمام علي (عليه‌السلام) ، م (٧٠) : ١٢٥.

[2] سورة المنافقون ، آية ٤ .

من أسلم) ؛ لأن الإيمان أعلى مرتبة من الإسلام ، قد يكون المرء مسلماً ، ولكن ليس بالضرورة أن يصل مرتبة الإيمان ؛ لذا فرق القرآن الكريم بينهما ، في قوله تعالى : ﴿ **قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ** ﴾[١] ، فالإيمان ما انعقد عليه القلب وعملت به الجوارح ، وإيرادها مع لفظ الجلالة يستلزم زيادة توكيد ، فهو أول من آمن بآله واحد، في وقت كانت الناس تقودها عقلية جاهلية راضخة لمبدأ تعدد الآلهة ، مما يجعل مسألة تقبلهم وجود آله واحد، أمرٌ صعب ، ومع هذا الحال من الانقياد الأعمى ، كان **عليه السلام** أول من آمن بما جاء به النبيُّ الأعظم **صلى الله عليه وآله وسلّم** ، الذي تُعدُّ مسألة تصديقه المرحلة الأولى والأساسية للوصول لله **عزّ وجلّ** ، فبدأ بذكر أعلى سلطتين هما (الله _ النبي) ، بفارق إنّ الأولى تمثل سلطة على نحو من الاستقلال والهيمنة المطلقة ، والثانية على نحو التفويض ﴿ **وَمَا آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** ﴾[٢] ، فإذا كان أول من آمن ، وأول من صدّق ، فكيف مع هذا الإيمان يصدر منه الكذب ، ولو جاز صدوره منه ، لكان أول الأمر والأرض مملوءة كفر ، وهذا ما يبطل ما زعموا .

إذاً نخلص من كلِّ ما ذُكر إلى أنّ تعدد وسائل التفاعل النصيّ داخل نصوص الحكاية العلوية ، أسهم بشكل فاعل في إضفاء مزيد من الثراء المعنوي لها ، ومنحها قوة كبرى ، وتأثيراً أقوى على المتلقي ، وجاء بعضها كدليل وبرهان ، منح الحكاية تماسكاً وترابطاً أكثر ، وتوظيف تلك الوسائل كلّها، هو دليل على علم الإمام بأهميتها وأثرها في تحقيق الغايات المرجوات منها .

---

[١]) سورة الحجرات ، آية ١٤ .

[٢]) سورة الحشر ، آية : ٧ .

الخاتمة والنتائج

الخاتمة

بعد الرحلة العلمية في آفاق الحكاية العلوية ، ، خرج البحث بمجموعة من النتائج نعرضها على النحو الآتي :

أولا _ ظهر في النصوص الحكائية العلوية ، نوعان من الحكاية : الشفاهية ، والمكتوبة ، التي كان لها المجال الأوسع ، والميدان الأرحب ، والظهور الأكثر ، من نظيرتها ، وقد وقفت خلف الحكايتين أهداف وغايات منها : غايات كشفيّة ؛ أي الكشف عن الحقائق ، وغايات افهامية ، وإبلاغية ، وتوجيهية ، توسل الإمام لعرضها بأساليب عدة منها : الأسلوب الاستدلالي ، التربوي ، التذكيري والوعظي والإرشادي ، الأسلوب التنبؤي ، وغيرها ، فتمخض عنهما نوعان آخران من الحكاية هما: الحكاية المفصّلة والحكاية الموجزة .

ثانيا _ شغلت الحكاية المفصلة مساحة كبيرة جداً ؛ لذلك كانت وسائل تشكّلها كثيرة ومتنوعة ، الإطناب وعناصر ، والبناء التركيبي للجملة الطويلة ، التي تجلت بأساليب متعددة ، ومرجع ذلك يعود إلى الموقف وطبيعة الموضوع ، أمّا الحكاية الموجزة فقد شغلت مساحة أقل ؛ لذلك عوامل تشكيلها أقل من الحكاية المفصلة .

ثالثا : ظهر الاستفهام داخل الحكاية كأسلوب من أساليب بناء الجملة الطويلة ، على الرغم من أنّه من أساليب بناء الجملة القصيرة ، لكنّ الإمام وظّفه توظيفاً سمح بمدّ الجملة لمساحة ساعدت على بسط المعاني .

رابعا_ مثّلت وسائل التنوع البياني التي تجلت في الحكاية العلوية ، وسيلة مهمة من وسائل الإيجاز فيها ، ومرجع هذا التنوع إلى المعاني التي يعرضها الإمام بشكل مختلف في كلِّ مرةٍ ،

ولاسيّما إذا كانت المعاني مكررة ؛ لذا التلون ينأى بها بعيدا عن التكرار المنفر ، الذي تستثقله النّفس وتمجّه الأسماع ، وأنّ ذلك التلون والتنوع منح المعاني صفة التجدد والحيوية الباعثة على النشاط الذهني والتقبّل النفسي لدى المتلقي . كذلك طبيعة الأفكار التي يحملها المتكلم ، استلزم هذا التنوع ، فكلّ أساس من أسس علم البيان ينهض بمهمة يؤديها قد لا يؤديها غيره .

خامساً_ شكّلت الصورة الكنائية المتوارية الأساس في الحكاية العلوية ، لما لها من قدرة على إيجاز المعاني في أقل لفظ ، فهي تمثل أعلى مراتب الإيجاز ، عن طريق تنوع أساليب عرضها ، مابين التصوير بالمكنى عنه ، الذي كان أكثر حضوراً ، أو التصوير بالوسائط والسياق ، وجاءت الكناية عن الصفة بشكل أكبر من الكناية بالموصوف وهي بعد أكثر تجليا من الكناية بالنسبة ، التي قلّ مجيئها في الحكاية العلوية .

سادساً_ مثلت الصورة الاستعارية الأساس الثاني الذي بُنيت عليه الصورة الحكائية ، فكان لها أثرها البين على نحو أقل من الكناية ، وتبلورت تلك الصورة بشكل كبير في الاستعارة المكنية ، التي شغلت مساحة أكبر من غيرها من أنواع الاستعارات .

سابعاً_ جاء التشبيه ليشكل المظهر البياني الأقل ظهوراً في الحكاية العلوية ، وبرغم قلته إلا إنّ الإمام تدّرج في عرض الصور التشبيهية بحسب ما اقتضاه الحال ، فكان له أثره الفاعل في نقل المعاني وبيانها .

ثامناً_ تجلت أكثر الوسائل التنغيمية ظهورا في الجناس ، ولاسيّما الجناس الاشتقاقي منه لما له من قدرة على التوكيد إضافة إلى جرسه القوي . بينما شغلت الأنواع الأخرى من الجناس مساحة

أقل . أمّا السجع على الرغم من أنّه من الوسائل التنغيمية المهمة ، ولكنّه شهد تراجعاً ملحوظاً في النصوص الحكائية العلوية ؛ بسبب شيوع الحكاية المكتوبة .

تاسعاً_ تجلى التفاعل النصّي داخل الحكاية العلوية ، بالاقتباس القرآني الذي مثّل الظاهرة الأكبر ، ثم الأحاديث النبوية ، التي شغلت جزءاً أقل في النصوص الحكائية ، لكنّها على الرغم من ذلك أضفت مزيداً من القوة للنص العلوي الذي وردت فيه .

عاشراً_ وقع التضمين في الحكاية العلوية وقد شمل التضمين الشعري والمثل ، وقد كان للأول المجال الرحب قياساً بالأخير الذي لم يرد إلّا في أربعة مواضع من الحكاية ، وشكّل الاستشهاد وسيلة من وسائل التفاعل النصّي ، في الاستدلال والإثبات وهو بذلك لا يغاير المذهب الكلامي ، على الرغم من أنّه من فنون البديع ، في إثبات مسألة عقدية أو حكم من الأحكام ، وكان له ميدان كبير وفسيح في النصوص الحكائية العلوية .

مسرد الحكاية في نهج البلاغة

مسرد الحكاية في نهج البلاغة

الشـــاهـــد	الصفحة	الموضع الذي ورد فيه
١_ ((فإن أقل يقولوا : حرص على الملك ...)) .	٦٢	م : ٥
٢_ ((يزعم أنّه قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه ...)).	٦٤	م : ٨
٣_ ((نُبئت بسراً قد أطّلع اليمن ، وإنّي والله لأظنَّ ...)) .	٨١	خ : ٢٥
٤_ ((بلغني أنّ الرجل منهم كان يدخل على...)).	٨٥	خ: ٢٧
٥_ ((تقولون في المجالس : كيت وكيت ...)) .	٩٠	خ : ٢٩
٦_ ((هؤلاء يقولون : لا إمرة ...)) .	١٠٢	م : ٤٠
٧_ ((أمّا قولكم : أكل ذلك كراهية في الموت ...))	١١٤	م : ٥٤
٨_ ((بلغني أنّكم تقولون: عليٌّ يكذب ...)) .	١٢٥	م : ٧٠
٩_ ((أتزعم أنّك تهدي إلى الساعة التي من سار...)) .	١٣١	م: ٧٨
١٠_ ((يزعم لأهل الشّام أنّ فيَّ دعابة ...)) .	١٤٦	م : ٨٣
١١_ ((يقول: أقف عن الشبهات، وفيها وقع ...))	١٥٢	خ : ٨٦
١٢_ ((حتى يظنّ الظانُّ أنّ الدنيا معقولة ...)) .	١٥٤	=
١٣_ ((إنّ الذي أُنبئكم به عن النبي الأميّ ...)).	١٩٣	خ : ١٠٠
١٤_ ((وأمّا قولكم لم جعلت بينك وبينهم أجلا...))	٢٤٢	م : ١٢٥
١٥_ ((فإن أبيتهم إلا أن تزعموا أنّي أخطأت ...))	٢٤٤_ ٢٤٥_٢٤٦	م : ١٢٧

١٦_((تقولون: البيعة البيعة، قبضت كفي فبسطتموها...)) .	٢٥٩	م : ١٣٧
١٧_ ((أين الذين زعموا أنّهم الراسخون ...)) .	٢٦٧	خ : ١٤٤
١٨_ ((يدّعي بزعمه أنّه يرجو الله ، كذب والعظيم...)) .	٢٩٩	خ : ١٦٠
١٩_ ((يقال : يقتل في هذه الأمّة إمام ...)) .	٣١١	م : ١٦٤
٢٠_ ((قال قائل : إنّك يابن أبي طالب على هذا الأمر لحريص ...)) .	٣٢٦_ ٣٢٧	خ : ١٧٢
٢١_ ((زعموا أنّهم كالنبات ما لهم زارعٌ ...)).	٣٦١	خ : ١٨٥
٢٢_ ((فقال : ألا تعجبون من هذان يشرطان لي دوام الملك ...)) .	٣٨٩_ ٣٩٠ _٣٩١	خ : ١٩٢
٢٣_ ((فقال القوم كلّهم : ساحر كذاب ...)) .	٤٠١ _٤٠٤	=
٢٤_ ((فيقول : أنا أعلم بنفسي مني ...)) .	٤٠٨	خ : ١٩٣
٢٥_ ((يقول : أنا سمعته رسول الله(ص) ...)) .	٤٣٥	م : ٢١٠
٢٦_ ((وقالوا : ألا إنّ في الحقّ أن تأخذه ...)) .	٤٤٨	م : ٢١٧
٢٧_ ((لقالت : ذهبوا في الأرض ضلالاً ...)) .	٤٥١	م : ٢٢٠
٢٨ _ ((فقالوا : كلحت الوجوه النّواضر ...)) .	٤٥٣	=
٢٩_ ((فقال : لا ذا و لا ذاك ...)) .	٤٦٢	م : ٢٢٣
٣٠_ ((يقول :إنّها فتنة فقطّعوا أوتاركم ...)) .	٤٧٤	خ : ٢٣٦
٣١_ ((بلغني أنّك ابتعت داراً بثمانين ديناراً ...)).	٤٨٢_٤٨٣_٤٨٤	ك : ٣
٣٢_ ((وزعمت أنّك جئت ثائراً ...)) .	٤٩٠	ك : ١٠
٣٣_ ((وأمّا قولك إن الحرب أكلت العرب ...)) .	٤٩٦ _ ٤٩٧	ك : ١٧
٣٤_ ((بلغني تنمرك لبني تميم ....)) .	٤٩٨	ك : ١٨
٣٥_ ((أمّا بعد، فإنّ دهاقين أهل بلدك شكوا...)).	٤٩٨ _ ٤٩٩	ك : ١٩
٣٦_ ((أمّا بعد ، فقد أتاني كتابك تذكر فيه ...)).	٥١٢_٥١٧	ك : ٢٨
٣٧_ ((أمّا بعد، فإنّ عيني على المغرب كتب إليّ يعلمني أنّه وجه ناسٌ...)) .	٥٤٠_٥٤١	ك : ٣٣
٣٨_ ((بلغني أنّك جردت الأرض . فأخذت ما تحت قدميك ...)) .	٥٤٧	ك : ٤٠

٣٩_ ((بلغني عنك أمرٌ أن كنت فعلته فقد أسخطت ربك ... بلغني أنّك تقسم فيء ...)) .	٥٥١	ك : ٤٣
٤٠ _ ((وقد عرفت أنّ معاوية يستزلُّ لبّك ...)) .	٥٥٢	ك : ٤٤
٤١_ ((بلغني أنّ رجلاً من أهل البصرة دعاك إلى مأدبة ...)) .	٥٥٣_٥٥٧	ك : ٤٥
٤٤_ ((وقد زعمتما أني قتلت عثمان ...)) .	٥٩٥	ك : ٥٤
٤٥_ ((وذكرت أني قتلت طلحة والزبير ...)) .	٦٠٦_٦٠٨	ك : ٦٤
٤٦_ ((بلغني أنّ رجالاً من قبلك يتسللون إلى معاوية ...)) .	٦١٧	ك : ٧٠

جدول إحصائي بالألوان البلاغية

في الحكاية

جدول إحصائي بالألوان البلاغية الواردة في الحكاية

اللون البلاغي	عدد مرات مجيئه في الحكاية	الموضع الذي ورد فيه
الاعتراض	١٤	خ: ٨١/٢٥، خ: ٨٥/٢٧، م: ١٣١/٧٨، م: ١٤٦/٨٣، م: ٢٣٧/١٢١، م: ١٢٥/ ٢٤٢، م: ٢٤٦/١٢٧، خ : ١٦٠ /٢٩٩، م : ٣٣١/١٧٤، خ: ١٩٢/ ٤٠٤، ك: ٧٠/ ٦١٧، ك: ٥٥٥/٤٥، ك : ٢٨/ ٥١٣، ك : ٦٤/ ٦٠٧،
التذييل	٣	ك: ٣٤/ ٥٤٢ ، ك: ٦٠٨/٦٤ ، م: ١٢١/ ٢٣٧
الإيضاح بعد الإبهام	٣	ك: ٣/ ٤٨٤ ، م ١٢٧/ ٢٤٤_ ٢٤٦، ك ٤٣/ ٥٥١
التكميل أو الاحتراس	٢	ك: ٢٨/ ٥١٥، م/ ١٢١/ ٢٣٧
الإيغال	٢	ك : ١٠٠/ ١٩٣ ، م ٢٢٣ / ٤٦٢
ذكر الخاص بعد العام	٢	ك : ٢٨/ ٥١٣ ، ك : ١٣٧/ ٢٥٩
ذكر العام بعد الخاص	١	خ ٢٥ / ٨١_٨٢
التوشيع	١	م ٢٧/ ٢٤٤ _ ٢٤٥
الاستفهام بالهمزة	٥	م: ١١٤/٥٤، م: ١٢٥/٧٠، م: ١٣١/٧٨،م: ٢٣٧/١٢١، خ: ١٩٢/ ٣٨٩.
الاستفهام ب (هل)	١	خ : ٢٧ / ٨٧

الاستفهام ب (أي)	١	خ : ٢٩/ ٩٠	
الاستفهام ب (ما)	٢	خ : ٢٩ / ٩٠، خ: ١٩٢/ ٤٠٣.	
الاستفهام بـ (متى)	١	ك : ٢٨ / ٥١٧	
الاستفهام بـ (أين)	١	خ : ١٤٤ / ٢٦٧	
التشبيه البليغ	٣	م : ٥ / ٦٢ ، خ : ٢٩/ ٩٠ ، ك : ٤٤/ ٥٥٢	
التشبيه التمثيلي	٣	ك : ٢٨/ ٥١٢ ، ك ٦٤/ ٦٠٧ ، ك ٤٥ / ٥٥٦	
الاستعارة المكنية	٥	خ: ٢٨ / ٥١٥ ، ك : ٣٣/ ٥٤٠ ، م : ٢٢٠ / ٤٥١ _ ٤٥٣ ، ك : ١٧ / ٤٩٦	
الاستعارة التصريحية	٤	ك : ٦٤/ ٦٠٨ ، ك: ٣٣/ ٥٤٠ ، خ ١٠٠/ ١٩٣ ، خ : ٨٦/ ١٥٤	
الاستعارة الترشيحية	٣	ك : ١٨/ ٤٩٨ ، خ١٤٤/ ٢٦٧، ك : ١٩/ ٤٩٩ .	
الكناية عن الصفة	٨	خ: ٨١/٢٥ ، ك: ٤٠/ ٥٤٧، ك : ٤٣/ ٥٥١، خ : ١٧٢/ ٣٢٧، م: ٢١٧/ ٤٤٨، خ : ٢٣٦/ ٤٧٤، م / ١٢١/ ٢٣٧ ، م : ١٢٧/ ٢٤٤_ ٢٤٥.	
كناية عن الموصوف	٢	ك : ٢٨ / ٥١٣_ ٥١ ٧ ، خ : ١٠٠/ ١٩٣ .	
كناية النسبة	١	خ : ١٤٤ / ٢٦٧ .	

كناية التعريض	٢	م : ٥٤/ ١١٤ ، ك : ٤٩٦/١٧	
كناية الإشارة	٣	م: ٦٢/٥ ، م: ١٢٥/٧٠، ك : ٢٨/ ٥١٣_ ٥١٧.	
كناية الرمز	٢	ك : ٦٤/ ٦٠٧ ، م : ١٢٥/ ٢٤٣ .	
الجناس الاشتقاقي	٤	م: ٥/ ٦٢، م: ٣٠/ ٩١، م : ٨٣/ ١٤٦، م: ٣١١/١٦٤.	
الجناس المضارع واللاحق	٢ ٣	ك: ٤٩٧/١٧٠، م: ١٢١/ ٢٣٧. م : ١٢٥/ ٢٤٢، ك: ٧٠/ ٦١٧، خ: ١٠٠/ ١٩٣.	
الجناس الناقص	٣	ك: ٥٤٢/٣٤، م : ١٢١/ ٢٣٧، خ : ٣٢٧/١٧٢	
الجناس التصحيف	٢	خ : ١٨٦/ ٣٦٦، خ : ١٩٢/ ٤٠٥.	
طباق الفعل	٣	م : ٥/ ٦٢، م : ٥٤/ ١١٤ . م : ٧٨/ ١٣١	
طباق الاسم	٢	م : ١٢٧/ ٢٤٥، ك : ٧٠ / ٦١٧	
طباق الحرف	١	ك : ٦٤/ ٦٠٧_ ٦٠٨	
الاقتباس النصي المباشر	٤	ك: ٦١٧/٧٠، ك: ٤٥/ ٥٥٦، ك: ١٧/ ٤٩٦، م : ٥٤/ ١١٤ ،	
الاقتباس النصي أو المباشر	٣	م: ٧٠/ ١٢٥، ك: ٣ / ٤٨٤، ك : ٢٨/ ٥١٦ _٥١٧.	

الاقتباس من الحديث النبوي	٣	م : ١٢١/ ٢٣٧ ، خ : ١٤٤/ ٢٦٧، م : ٨٣/ ١٤٦.
تضمين بيت الشعر	٢	خ :٢٥/ ٨١ ، ك : ٤٥/ ٥٥٦
تضمين شطر البيت	١	ك : ٢٨ / ٥١٥_ ٥١٧.
تضمين المثل	٢	خ: ٢٩/ ٩٠ ، ك : ٢٨ / ٥١٣.
الاستشهاد	١	ك : ٢٨ / ٥١٥ .

المصادر والمراجع

أولا : المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

- الإتقان في علوم القرآن ، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ .
- الأثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون ، د. عباس علي حسين الفحام ، دار الرافدين ، لبنان ، ٢٠١٢ .
- الأدب وفنونه دراسة ونقد ، عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط : ٩ ، ١٤٣٤هـ _ ٢٠١٣م .
- الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط : ٥ ، ٢٠٠١ .
- أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، د. صباح عبيد درانة ، مطبعة الأمانة ، مصر ، ط : ١ ، ١٤٠٦_ ١٩٨٦ .
- الاستعارة ، تيرن هوكس ، ترجمة عمرو زكريا عبد الله ، مراجعة محمد بريري ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط: ١ ، ٢٠١٦ .
- الاستعارة الحية ، بول ريكور ، ترجمة د. محمد الولي ، مراجعة وتقديم جورج زيناتي ، دار الكتاب الجديد ، بيروت_ لبنان ، ط: ١ ، ١٠١٦.
- الاستعارة القرآنية في ظل النظرية العرفانية ، د. عطية سلمان احمد ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة _ مصر ، ط : ١ ، ٢٠١٤ .

- الاستعارة في النقد الأدبي الحديث ، يوسف أبو العدوس ، الأهلية للنشر ، عمّان _ الأردن ، ط: ١ . ١٩٩٧.
- أسرار البلاغة ، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت٤٧٠هـ) ، تعليق محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، ط : ١ ، ١٩٩١.
- الأسس الجمالية للإيقاع في العصر العباسي ، د. ابتسام حمدان ، دار القلم العربي ، حلب ، ط : ١ ، ١٩٩٧.
- الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس ، مكتبة نهضة مصر ، مصر ، (د.ت) .
- أصول النقد الأدبي ، احمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط : ١٠ ، ١٩٩٤ .
- الأصول في النحو ، أبو بكر بن السريّ بن سهل النحوي المعروف بـ (ابن السّراج) (ت٣١٦هـ) ، تحقيق محمد عثمان ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط : ١، ٢٠٠٩ .
- إعراب الجمل وأشباه الجمل ، د. فخر الدين قباوة ، دار القلم العربي ، حلب ، ط : ٥ ، ١٩٨٩ .
- إعراب نهج البلاغة وبيان معانيه ، الدكتور زهير غازي زاهد ، إصدار وحدة الدراسات والبحوث ، الكلية الإسلامية الجامعة ، النجف ، ط : ١، ٢٠١٤ .
- الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي ، عبد الهادي الفكيكي ، دار النمير ، سوريا ، ط : ١ ، ١٩٩٦.
- الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة دراسة أسلوبية ، د . كاظم عبد فريح الموسوي ، (د.م) ، ٢٠٠٦ .

- الإيضاح في علوم البلاغة ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن احمد بن محمد القزويني (ت٧٣٩هـ) ، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت_ لبنان ، ط : ١ ، ٢٠٠٣.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة محمد باقر المجلسي ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت_ لبنان ، ط : ١، ١٤٢٣هـ_ ٢٠٠١ .
- البديع ، أبو العباس عبد الله بن المعتز(ت١٩٦هـ) ، شرحه وحققه عرفان مطرجي ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط : ١ ، ٢٠١٢.
- البرهان في علوم القرآن ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ط : ١ ، ١٩٥٧.
- البرهان في وجوه البيان ، أبو إسحاق بن إبراهيم بن وهب الكاتب ، تحقيق د . حفني محمد شرف ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، دار الرسالة ، ١٩٦٩ .
- بغية الإيضاح في تلخيص المفتاح ، عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٩٩، (د. ط) .
- البلاغة العربية ، عبد الرحمن بن حسن حبنّكة الميداني الدمشقي ، دار القلم _ دمشق ، دار الشامية _ بيروت ، ط : ١، ١٩٩٦.
- بلاغة النهج في نهج البلاغة ، د. عباس علي الفحام ، دار الرضوان ، عمّان _ الأردن ، ط : ١، ٢٠١٤.

- البلاغة والأسلوبية ، محمد عبد المطلب ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت _ لبنان ، ط : ١ ، ١٩٩٤ .
- بناء الصورة في البيان العربي ، كامل حسن البصير ، المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٧ ، (د. ط) .
- البيان والتبيين ، عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، دار ومكتبة الهلال _ بيروت ،١٤٢٣هـ .
- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بالمرتضى الزبيدي ، تحقيق . مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، (د.ت) . س
- تأويل مشكل القرآن ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ط : ٣ ، ١٩٧٣ . س
- التبيان في علم البيان ، لابن الزملكاني(ت ٦٥١هـ) ، تحقيق د. احمد مطلوب و د. خديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٤.
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني (ت٦٥٤هـ) ، تحقيق: د. حفني محمد شرف ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ،(د.ت) .
- تحقيق الفوائد الغياثية ، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (ت٧٨٦ هـ) ، تحقيق د. علي بن دخيل الله بن عجيان العوفي ، مكتبة العلوم والحكم، السعودية ، ط: ١ ، ١٤٢٤ هـ .

- تحليل الخطاب في ضوء أحداث اللغة ، محمود عكاشة ، دار النشر للجامعات ، القاهرة ، ط : ١ ، ٢٠١٤ .
- التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان ، محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة . ط : ٣ ، ١٩٩٣.
- التصوير الفني في خطب الإمام علي (ع) ، د. عباس علي الفحام ، مؤسسة الصادق الثقافية ، عمّان _ الأردن ، ط : ١ ، ١٤٣٣هـ_ ٢٠١٢ م.
- التعريفات ، العلامة الفاضل علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ، دار الكتب العلمية بيروت_ لبنان ، ط : ١ ، ١٩٨٣ .
- التفسير الكبير ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٢٠هـ .
- تقنيات السرد بين النظرية والتطبيق ، الدكتورة آمنة يوسف ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت _ لبنان ، ط : ٣ ، ٢٠١٥ .
- التلخيص في علوم البلاغة ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ) ، ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي ، دار الفكر العربي ، ط : ١ ، ١٩٠٤ .
- التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر ، عصام حفظ الله واصل ، دار غيداء للطابعة والنشر ، ط : ١ ، ١٤٣١هـ _ ٢٠١١م .
- التناص في الشعر العربي الحديث ، حصة البادي ، دار كنوز المعرفة العلمية ، عمّان _ الأردن ، ط : ١ ، ٢٠٠٩ .

- تهذيب اللغة ، محمد بن احمد الأزهري الهروي (ت٣٧٠هـ) ، تحقيق محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط : ١ ، ٢٠٠١ .
- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ضياء الدين ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) ، تحقيق مصطفى جواد ، مطبعة المجمع العلمي ، ١٣٧٥هـ .
- جدلية الخفاء والتجلي دراسات بنيوية في الشعر، كمال أبو ديب ، دار العلم الملايين ، بيروت _ لبنان ، ط : ١ ، ١٩٧٩ .
- جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي عند العرب ، ماهر مهدي هلال ، دار الرشيد للنشر ، بغداد _ العراق ، (د.ت) .
- الجملة العربية تأليفها وأقسامها ، الدكتور فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر ، عمّان _ الأردن ، ط : ٢ ، ٢٠٠٧.
- جمهرة الأمثال ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت٣٩٥هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط : ١ ، ١٩٨٨ .
- جمهرة اللغة ، أبو محمد بن الحسين بد دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ) ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط : ١ ، ١٩٨٧م .
- جنان الجناس في علم البديع . صلاح الدين الصفدي ، مطبعة الجوائب ، قسطنطينية ، ط ١ ، ١٢٩٩هـ .
- الجنى الداني في حروف المعاني ، الحسن بن قاسم المرادي(ت٧٤٩هـ) ، تحقيق فخر الدين قباوة و محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط : ١ ، ١٤١٣هـ _ ١٩٩٢م .

- جوهر الكنز تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة ، نجم الدين احمد بن إسماعيل ابن الأثير الحلبي (ت٧٣٧هـ) ، تحقيق محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، الإسكندرية _ مصر ،(د.ت) .
- حسن الصياغة في فنون البلاغة ، الأستاذ هارون عبد الرزاق ، مركز الراسخون ، الكويت ، ط : ١ ، ٢٠١٨ .
- الخبر في الأدب العربي دراسة في السردّية العربية ، محمد القاضي ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، ط: ١ ، ١٤١٩هـ _ ١٩٩٨م .
- خزانة الأدب وغاية الأرب ، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله بن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ) ، تحقيق عصام شقيو ، دار ومكتبة الهلال_بيروت ، ط : الأخيرة ، ٢٠٠٤ .
- الخصائص ، أبو الفتح بن عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) ، تحقيق محمد علي النجّار ، دار الكتب المصرية ، (د.ت) .
- خصائص التراكيب ، د. محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة _ القاهرة ، ط : ٤ ، ١٩٩٦ .
- خطاب الحكاية بحث في النهج ، جيرار جنيت ، ترجمة محمد معتصم وآخرون ، الهيئة العامة للمطابع الأميرية ،(د. م) ، ط ٢ ، ١٩٩٧ .
- الخطاب في نهج البلاغة بنيته وأنماطه ومستوياته دراسة تحليلية ، عبد الحسين العمري ، دار الكتب العلمية ، بيروت_ لبنان ، ط : ١ ، ٢٠١٠ .
- الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية ، عبد الله محمد الغذامي ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، الإسكندرية _ مصر ، ط : ٤ ، ١٩٩٨.

- الخوارج تاريخهم _فرقهم_ عقائدهم ، د. احمد عوض أبو الشباب ، دار الكتب العلمية ، بيروت_ لبنان ، ط : ١ ، ٢٠٠٥ .
- الخيال أداة الإبداع ، الحسين الحايل ، مكتبة المعارف ، (د.م) ، ط : ١ ، ١٩٨٨.
- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) شرحه وعلق عليه ووضع فهارسه د. محمد التنجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت _ لبنان ، ٢٠١٤ .
- ديوان الهذليين ، الشعراء الهذليون ، جمع وتحقيق محمد محمود الشنقيطي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة _ مصر ، ١٩٦٥ .
- سر الفصاحة ، أبو محمد بن عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط : ١ ، ١٩٨٢ .
- السرقات الأدبية دراسة في ابتكار الأعمال الأدبية وتقليدها، بدوي طبانة ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، (د.ت) .
- سير أعلام النبلاء الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ_ ١٣٧٤م) ، حققه وخرج أحاديثه وعلّق عليه شعيب الأرنؤوط ، ط: ١ ، ١٤٠١هـ_ ١٩٨١م، ط: ٢ ، ١٤٠٢هـ_ ١٩٨٢م.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، علي بن محمد بن عيسى ، نور الدين الأشموني الشافعي (ت ٩٠٠هـ) ، دار الكتب العلمية بيروت_ لبنان ، ط : ١ ، ١٤١٩هـ_ ١٩٩٨م .
- شرح الرضي على الكافية ، محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي ، نجم الدين (ت٦٨٦هـ) ، تصحيح وتعليق ، يوسف حسن عمر ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، ط٢، ١٩٩٦.

- شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ، صفي الدين عبد العزيز بن سرايا ين علي السنبسي ، (ت ٦٧٧_٧٥٠هـ) ، تحقيق د. نسيب نشاوي ، دار صادر ، بيروت_ لبنان ، ط : ١ ، ١٩٨٢ .
- شرح المفصل للزمخشري ، يعيش بن علي بن يعيش الموصلي (ت٦٢٣هـ) ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه ، د. إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط : ١ ، ٢٠٠١.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي (ت٨٢١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، (د.ت) .
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ) ، تحقيق احمد عبد الغفور عطار ، دار اعلم للملايين ، بيروت ، ط : ٤ ، ١٤٠٧هـ _ ١٩٨٧م .
- صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ) ، تحقيق ، محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، ط: ١ ، ١٤٢٢هـ .
- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت (د.ت) .
- الصورة الأدبية تاريخ ونقد ، علي علي صبح ، دار إحياء الكتب العربية ، (د.ت).
- الصورة الأدبية في القرآن الكريم ، صلاح الدين عبد التّواب ، الشركة العالمية للنشر ، لونجمان ، ط : ١ ، ١٩٩٥ .

- الصورة الشعرية : سيسل دي لويس ، ترجمة احمد نصيّف وآخرون ، مراجعة عناد غزوان إسماعيل ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٢.
- الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ، بشرى موسى صالح ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط :١، ١٩٩٤.
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، د. جابر عصفور، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط : ٣، ١٩٩٢ .
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي (ت ٧٤٩هـ) ، دار المقتطف ، مصر ، (د.ت) .
- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، طاهر سلمان حمودة ، الدار الجامعية ، الإسكندرية_ مصر ، ١٩٩٨ .
- علم البديع ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت_ لبنان ، (د.ت) .
- علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع ، د. بسيوني عبد الفتاح فيّود ، مؤسسة المختار/ دار المعالم الثقافية ، ط : ٢ ، ١٩٩٨ .
- علم المعاني ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت _ لبنان ، ط: ١ ، ٢٠٠٩ .
- علم النص ، جوليا كرستيفا ، ترجمة فريد الزاهي ، مراجعة عبد الجليل ناظم ، دار توبقال _ المغرب ، ط : ١ ، ١٩٩١.
- علوم البلاغة . د. محمد احمد قاسم ، د. محي الدين دبي ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس_ لبنان ، ط :١ ، (د.ت) .

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، أبو علي الحسن بن ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل _ سوريا ، ط : ٥ ، ١٤٠١هـ_ ١٩٨١م .
- العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (ت١٧٠هـ) ، تحقيق د. مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ، (د.ت) .
- الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) ، حققه محمد إبراهيم سليم . دار العلم والثقافة ، القاهرة ، (د.ت).
- في النحو العربي نقد وتوجيه ، مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي ، بيروت _ لبنان ، ط : ٢ ، ١٩٨٦.
- القاموس المحيط ، محي الدين طاهر بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ) ، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، محمد نعيم العرقسوسي ، بيروت _ لبنان . ط : ٨ ، ١٤٢٦هـ _ ٢٠٠٥م .
- القصة والحكاية في الشعر العربي في صدر الإسلام والعصر الأموي ، د. بشرى محمد علي الخطيب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط : ١ ، ١٩٩٠ .
- قواعد الشعر ، أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار ، المعروف بثعلب (ت ٢٩١هـ) ، تحقيق: رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي _ القاهرة ، ط: ٢ ، ١٩٩٥
- الكامل في اللغة والأدب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة _ مصر ، ط : ٣ ، ١٤١٧هـ _ ١٩٩٧م .

- كتاب الصناعتين ، أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) ، تحقيق محمد علي البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت . ١٤١٩هـ.
- كتاب سيبويه ، أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر الملقب بـ(سيبويه) ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط : ٣ . ١٤٠٨هـ_ ١٩٨٨م .
- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، محمد علي التهانوي ، تحقيق : الدكتور علي دحروج ، مكتبة لبنان _ ناشرون ، بيروت _ لبنان ، ط: ١ ، ١٩٩٦ م .
- الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل ، أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ) ، اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلق عليه خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت_ لبنان ، ط : ٣ ، ١٤٣٠هـ_ ٢٠٠٩م.
- الكناية والتعريض ، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩هـ) ، تحقيق : الدكتورة عائشة حسين فريد ، دار قباء للطباعة والنشر ، مصر ، ١٩٩٨م .
- اللباب في علل البناء والإعراب ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي (ت٦١٦هـ) ، تحقيق د. عبد الإله النبهان ، دار الفكر ، دمشق ، ط :١ ، ١٤١٦هـ _ ١٩٩٥م .
- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين بن منظور الإفريقي (ت ٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ط : ٣ ، ١٤١٤هـ .
- اللغة العربية معناها ومبناها ، الدكتور تمام حسّان ، دار الثقافة ، المغرب ، ١٩٩٤.
- ما هو علم الكلام ، الشيخ علي الربّاني الكلبيكاني ، دار انتشارات، ايران ، (د.ت).

- مبادئ العربية في النحو والصرف ، رشيد الشرتوني ، مؤسسة المطبوعات دار العلم ، قم ، (د.ت) .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،ابن الأثير ضياء الدين نصر الله بن محمد الجزري (ت٦٣٧هـ) ، قدمه وعلق عليه د . احمد الحوفي ، د. بدوي طبّانة ، دار نهضة مصر ، القاهرة . ط : ٢ ، (د.ت) .
- مجمع الأمثال ، أبو الفضل الميداني ، احمد بن محمد بن احمد بن إبراهيم النيسابوري (ت٥١٨هـ) ، تحقيق و محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة _ بيروت ،(د.ت).
- مجمع البيان في تفسير القرآن : الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، صححه وحققه وعلّق عليه باسم الرسولي الحلاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،(د.ت).
- مجمل اللغة ، احمد ابن فارس بن زكريا القزويني الرازي (٣٩٥هـ) ، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ _ ١٩٨٦م .
- مدارك التنزيل وحقيقة التأويل ، عبد الله بن احمد بن محمود النسفي (ت ٧١٠هـ) ، حققه وخرّج أحاديثه ، يوسف علي بديوي ، راجعه وقدّم له محي الدين ديب متو ، دار الكلم الطيب ، بيروت ، ط : ١ ، ١٤١٩هـ _ ١٩٩٨م .
- المدخل إلى دراسة علم الكلام ، د. حسن الشافعي ، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ،(د.م) ، ط: ١ ، ١٩٨٩.
- مستدرك سفينة البحار ، الشيخ علي النمازي الشاهوردي ، تحقيق ، حسن بن علي النمازي ، مؤسسة النشر الإسلامي _ قم المشرفة ، ١٤١٨هـ .

- مسند الإمام احمد بن حنبل ، أبو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ) ، تحقيق شعيب الأرئؤوط ، عادل مرشد وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، ط: ١ ، ١٤٢١هـ _ ٢٠٠١م .
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، احمد بن محمد بن علي الفيومي (٧٧٠هـ) ، المكتبة العلمية ، بيروت ، (د.ت) .
- معاني الحروف والصفات ، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجّاجي (ت٣٣٧هـ) ، تحقيق علي توفيق الحمد ، ط : ١ ، ١٩٨٢ ، (د.م)
- معترك الأقران في إعجاز القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق محمد علي البجاوي ، دار الفكر العربي ، (د.ت) .
- معجم الاستشهادات ، علي القاسمي ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط :١ ، ٢٠٠١ .
- معجم السرديات ، محمد القاضي وآخرون ، دار محمد علي للنشر ، تونس ، ط :١ ، ٢٠١٠ .
- معجم اللغة العربية المعاصرة ، احمد مختار عبد الحميد عمر ، الناشر عالم الكتب ، ط: ١ ، ١٤٢٩هـ _ ٢٠٠٨ م .
- معجم المصطلحات الألسنية ، الدكتور مبارك مبارك ، دار الفكر اللبناني ،ط: ١ ، ١٩٩٥.
- معجم المصطلحات البلاغية ، بدوي طبانة ، دار المنارة ، جدة ، ط : ٣،(د.ت) .
- المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون ، مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة ، (د.ت).

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا_ بيروت ، ١٤١١هـ _ ١٩٩١م .
- مفتاح العلوم ، الإمام سراج الملة والدين أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ) ، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط : ١ ، ١٩٨٣ .
- مقاييس اللغة ، احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر ، ١٩٧٩ .
- المقتضب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ، ١٤١٤هـ _ ١٩٩٤ م .
- مناهج البحث في اللغة ، تمام حسان ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٢.
- مواد البيان ، علي بن خلف الكاتب (ت ٤٣٧هـ) ، تحقيق حاتم الصالح الضامن ، دار البشائر ، سوريا ، ط: ١ ، ٢٠٠٣ .
- موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط : ٢ ، ١٩٥٢ .
- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت _ لبنان ط : ١ ، ١٣١٧هـ _ ١٩٩٧م .
- النحو الوافي ، عباس حسن ، دار المعارف بمصر ، ط : ٣ ، (د.ت) .
- نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصا ، الأزهر الزناد ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط : ١ ، ١٩٩٣ .

- نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية ، د. عبد العزيز الحويدق ، دار كنوز المعرفة ، عمّان ، ط : ١ ، ٢٠١٥.
- النظرية البلاغية عند الإمام الزمخشري (٤٦٧_ ٥٣٨هـ) في الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل ، الدكتور عطية نايف الغول، دار يافا العلمية ، الأردن _ عمّان ، ط: ١ ، ٢٠١٤ .
- نظرية البنائية في النقد الأدبي ، الدكتور صلاح فضل ، دار الشروق ، القاهرة ، ط : ١ ، ١٤١٩هـ _ ١٩٩٨م .
- نظرية التأويل وفائض المعنى ، بول ريكور ، ترجمة سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء_ المغرب ، ط: ٢ ، ٢٠٠٦ .
- نظرية علم النصّ رؤية منهجية في بناء النصّ النثري ، د. حسام احمد فرج ، تقديم سليمان العطار و محمود فهمي حجازي . مكتبة الآداب ، القاهرة . ط :١ ، ٢٠٠٧.
- النقد الأدبي مناهجه وأصوله ، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٠ .
- نقد الشعر ، أبو الفرج قدامة بن جعفر(ت ٣٣٧هـ) ، مطبعة الجوائب ، قسطنطينية ، ط : ١ ، ١٣٠٢هـ .
- نقد النثر، قدامة بن جعفر، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ١٩٨٠،(د. ط).
- النكت في إعجاز القرآن ، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني المعتزلي (ت ٣٨٤هـ) ، تحقيق محمد خلف الله ، د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر . ط : ٣ ، ١٩٧٦ .

- نهاية الأرب في فنون الأدب ، احمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي ، شهاب الدين النويري (ت٧٣٣هـ) ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ط : ١ ، ١٤٢٣هـ.
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت٦٠٦هـ) ، حققه نصر الله حاجي مفتي اوغلي ، دار صادر ، بيروت ، ط : ١ ، ١٤٢٤هـ_ ٢٠٠٤ م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين عبد الرحمن بن بكر السيوطي(ت ٩١١هـ) ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوقيفية ، مصر (د.ت) .
- الوساطة بين المتنبي وخصومه ، علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت ٣٩٣هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ، صيدا _ بيروت ، ط: ١، ١٤٢٧هـ _ ٢٠٠٦م.
- وفيّات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (٦٠٨_ ٦٨١هـ) ،تحقيق: الدكتور إحسان عباس مطبعة أمير _ قم ، ط :٢ ، ١٣٦٣.

ثانيا : شروح نهج البلاغـة

- الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة ، محمد الغروي ، مؤسسة النشر الإسلامي _قم ، ١٤٠٧هـ.
- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، محمد تقي التستري ، دار أمير كبير ، طهران _ إيران ، ط : ١، ١٤١٨هـ_ ١٩٩٧م.

- تصنيف نهج البلاغة ، لبيب بيضون ، مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي ، ط : ٢ ، ١٤٠٨هـ.
- توضيح نهج البلاغة ، محمد الحسيني الشيرازي ، دار التراث الشيعي ، إيران ، (د.ت).
- حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة ، قطب الدين محمد بن الحسين البيهقي الكيذري ، تصحيح ، عزيز الله العطاردي ، مؤسسة نهج البلاغة _ قم ، ١٤١٦هـ.
- الدّرة النجفية في شرح نهج البلاغة الحيدرية ، السيد إبراهيم بن حسين الخوئي ، تم التأليف ١٢٩١ق ، (د.ت) .
- شرح نهج البلاغة ، ، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ) ، وفا _ إيران ، ط : ١ ، ١٤٢٧هـ.
- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت٦٥٦هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتاب العربي ، بغداد ، ط : ١ ، ٢٠٠٧ .
- شرح نهج البلاغة ، السيد عباس الموسوي ، دار المحجة البيضاء ، بيروت _ لبنان ، ط : ١ ، ١٩٩٨ .
- شرح نهج البلاغة ، محمد كاظم القزويني الحائري ، مطبعة منيمنة ، بيروت ، ١٣٨١هـ.
- في ظلال نهج البلاغة محاولة لفهم جديد ، محمد جواد مغنية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط : ١ ، ١٩٧٣.
- مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة ، محمد تقي النقوي القايني الخراساني ، مطبعة زنبق _ طهران ، ط : ٢ ، ١٤٢٨هـ.

- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، الميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي ، المكتبة الإسلامية ، طهران ، (د. ت) .
- نهج البلاغة ، الإمام علي (عليه‌السلام) ، حققه وضبط نصه الشيخ قيس بهجت العطّار ، مؤسسة الرافد للمطبوعات ، قم ، ط : ١ ، ١٤٣١ هـ _ ٢٠١٠ م .

ثالثا : الرسائـل والأطـاريح :

- أساليب البديع في نهج البلاغة دراسة في الوظائف والدلالية والجمالية ، خالد كاظم الحميداوي ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الكوفة ، كلية الآداب ، ٢٠١١ ،
- أساليب السرد في رواية ملكة العنب لنجيب الكيلاني ، محمد الأمين يزيد ، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد ، كلية الآداب واللغات ، الجزائر ، ٢٠١٥_٢٠١٦ .
- التناص في رواية المخطوطة الشرقية لواسيني الأعرج ، بلعباس ياسين وبلقاسمي نعيمة، رسالة ماجستير ، كلية الآداب واللغات ، جامعة عبد الرحمن ميرة ، بجاية، الجزائر .
- خطية الخلق والبناء في نهج البلاغة ، زينب ثجيل نعمة ، رسالة ماجستير ، كلية التربية للبنات ، جامعة الكوفة ، ٢٠١٦م .

رابعا: البحوث والدوريات :

- الإدراك وحسية الصورة الشعرية ، د صباح لخضاري ، جامعة تلمسان ، الجزائر ، مجلة فكر ١٤٣ .

- أسلوب الاستفهام وتأثيره في شعر سميح القاسم المقاوم ، علي خضري ومجموعة ، مجلة بحوث اللغة نصف سنوية علمية محكمة لكلية اللغات الأجنبية بجامعة أصفهان العربية ، عدد ١٨، ١٤٣٩.
- الإعجاز بإيجاز الحذف في القرآن الكريم، ستنا محمد علي مجلة العلوم والبحوث الإسلامية ، جامعة السودان ، العدد :٢ ، ٢٠١١ .
- أهمية الاستشهاد بالشعر ، د حسن غريب ، (بحث منشور) ، مجلة الأثر ، عدد ٢ ، ٢٠١٦ .
- الإيقاع الصوتي الإيحائي في القرآن الكريم . د. جنان محمد مهدي ، مجلة كلية التربية ، مجلد ٢١ ، عدد ٤ ، ٢٠١٠.
- بناء الجملة الطويلة في القرآن الكريم ، د. علي ناصر غالب ، كلية التربية ، جامعة بابل .
- التناص وإشاريات العمل الأدبي ، حافظ صبري (بحث منشور) مجلة عيون المقالات ، عدد٢، ١٩٨٦.
- الجملة الاعتراضية في سورة (ص) بين الموقع والدلالة ، مخزوم علي الفرجاني ، مجلة الجامعة الأسمرية ، عدد ٢٦ ، ٢٠١٣ .
- شبهة استعمال السجع وتنميق الكلام في نهج البلاغة ، علي حاجى خانى ، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية ، عدد ٢ ، ٢٠١٦ .
- الصور الشعرية بين التشكيل الجمالي إلى جماليات التخيل ، ابتسام دهينة ، كلية الآداب واللغات ، جامعة محمد خيضر ، سكرة ، الجزائر ، العدد ١٠ _ ١١ ، ٢٠١٢ .

- الصورة الشعرية مفهومها وتقنياتها في الشعر الحديث ، عادل بشير الصاوي ، الجامعة الأسمرية ، عدد ٢٦ ، ٢٠١٣ .
- مصطلح السرقات الأدبية والتناص بحث في أولية التنظير : رامي أبو شهاب (بحث منشور) ، مجلة علامات في النقد ، عدد ٦٤، فبراير ٢٠٠٨ .
- مكانة الأمثال في الأدب العربي ، السيد إسماعيل حسيني ، (بحث منشور) فصلية دراسات الأدب المعاصر ، السنة ٣ ، العدد ٩ ، جامعة كيلان .

The Republic of Iraq
Ministry of Higher Education
& Scientific Research University of kufa
Faculty of Education for Girls
Department of Arabic Language

The Rhetoric of Tale in Nahjul-Balagha

A Thesis

Submitted to the Council of the Faculty of Education for Girls\
University of kufa
A Partial Fulfillment of the Requirements of the M.A. Degree
in Arabic Language

By:-
Budoor Abdul-Sajjad Khadim

Supervised by :-
Profe. Dr. Abbas Ali Hussain Al-Fahham

2019 A.D **1441 A.H**

Abstract

Nahjul-Balagha is considered as important resource of the Arabic literature in general, and in prose in particular; it represent the peak of rhetoric which Imam Ali had derived from rhetoric of the holy Qur'an , so there are many studies upon this book which attracts the attention of all the scholars and researchers . (The Rhetoric of Tale in Nahjul-Balagha) is one of these studies . Always tale represents one of the types of narration ; it is to narrate the others' sayings honestly , Imam Ali (P.U.H) sometimes narrated them in brief , and in details in another times , according to the situation and the purpose of narrating which had been tolled with many styles.

The study includes there chapters . The first chapter deals with the constructional structure of the Always tale : the detailed and brief, each has its own elements and each participates in giving a coherent and cohesive tale , though , the elements of the detailed tale is less than the brief one.

The second chapter is devoted to the rhetorical depiction in the tale ; where the ways of depiction are varied : simile, metaphor: figurative and statement and metonymy which occupied a great deal of the rhetorical depiction. The aim of this diversity is to avoid repetition and monotony . Diversity does not restrict to the rhetoric elements , in includes the intonation elements within the Always tale which had been studied in the third chapter; this diversity appears in alliteration , antithesis and rhyme . The textual interactive has a great effect on the coherence of the narrated text , it is clarified by the quotation ,implication and citing .

The research concludes a number of important results such a : the detailed according is common more than the brief tale to the subject nature , metonym is used largely as a means of depiction as it can give more significance with a few word , alliteration is used largely as it gives the significance of emphasis in addition to its effective tone , the written tale became more apparent in front of the rhythm and the theological doctrine appears clearly among the elements of the textual interaction, so it becomes one of the mains that participate in constructing the Always told texts .